

كمال الملاخ

صالون میں ۰۷۱۹

إليه.. صاحبة عقلي وقلبي..!

ط.

على عتبة الصــالون !

□□□ .. انك تدير الراديو من موجة الى أخرى .. بحثا وراء خبر . عن أغنية . عن انسان يتحدث .. فى عتمة الليل .. أو حتى مع فجر نهار .

انك تقلب الصفحات . صفحات : مجلة . جريدة . كتاب .. لعل وعسى تجد ما يشدك فكرا . ما يثيرك عقلا . ما يجذب انشغالك !!

أنك بعد دقائق صمت .. تتأمل فيها وترنو ، الى لا شىء . ثم تستمع الى نغم . ثم صمت . زقزقة عصفور يرفرف : يؤنسك . يملأ عليك الدنيا . يشاركك الوجود . يبدد الصمت . أنت تود اذن المشاركة ؟

انك بعد دقائق صمت ، تبتسم . تقول أى كلام . هامسا الى من يجاورك فى الطائرة . أو أمامك جالسا على مقعد قطار .. أو حتى عند موقف أتوبيس لحظة الانتظار ، وما أطولها فى ساعة الزحام ! .. اذن أنت تود المشاركة ؟

انك فى زحام الدنيا : وحيد .!. أين الصحاب ؟ أين الرفاق ؟ بل أين أنا وأين أنت ؟. فليجمعنا اذن صالون من الفكر ، حتى ولو كان : صالونا من ورق !

وما أجمل أن يجتمع انسان بالفكر . حتى بالحوار

الصامت الذى تلملمه حروف الكلمات المطبوعة ، لتدوى بالمعرفة . وتبعدك عن العزلة .

أنك تسبق الغد . وتمضى مع أمس ، الى أبعد من الأمس . الى الماضى . وتقفز الى ما بعد غد . كالبندول تروح وتجىء .. حائرا لا تستقر . مثل هذا القلم الذى تقرأه عندما يخط . انه يعرف ما كتب ولكـن القلم لا يعرف ماذا سيكتب بعد كلمة واحدة .. حتى لو عرف معنى الموضوع فانه لا يعرف بالضبط أى الكلمات سيختارها ليعبر عنه ، بعد دقيقة واحدة !! .. حتى الاصابع التى تحركه . حتى اليد التى تهزه . حتى ذراع صاحبه . انه مجرد فكر يروح ويجىء على الورق . يعربد فى هدوء . يرحل كالبرق . ويغدو أسرع من الصوت . ويسرح كالحلم .. ثم يانف فى غموض الضباب ليتساءل الى أين ؟

وما أحلى مصاحبة الفكر . حتى ولو كانت مصاحبة على ورق .

تعال اذن ندخل الصالون الابيض . مقاعده كلمات يكسوها سواد الحروف ..

تعال اذن ندخل الصالون .. صالون من ورق . على شرط واحد . أن تطلب أنت القهوة أو الشاى ، على حسابك ، قبيل أن تدخله .

وأعتقد أن المسألة ــ عند هذا الحد ــ بسيطة !!

ك . الملاخ

و ... يسكت العصفور الاصفر !

■ .. نادى الجزيرة الاخضر : مساحته التى تفترش نحو ١٤٠ فدانا ، تتوسط جزيرة الزمالك : أجمل جزر العاصمة [القاهرة] الاربع القابعة فى نيلها .. تعلو حافة ساحات النادى الرياضية خمائل من شجر تعشش فوق فروعه عصافير وقلة من غربانه .. وهدهد : يبدو بين حين وحين ناقرا خضرة أرض الملاعب الخضر الملساء .. باحثا بمنقاره عن دود طعام .. وقط متحفز فى هدوء الأحذر يسعى من بعد اليه ، يحلم به طعاما شهيا . والهدهد الذكى المتزن الصامت يتهادى من تحت تاجه فى وقار .. يتظاهر بانه غير مهتم ، ولا شىء يهم ! والقط مغتاظ .. فسرعان ما يباغت الهدهد القط .. يقفز بعيدا عنه . ويعود القط مع الخيبة .. يتمسح بأركان الموائد التى لا تبدو لا هى ولا قوائمها فى قلب الزحام ، تحت الخمائل !!

وما أغرب هذا الزحام : غـرام متسكع عجوز يتذكر .. صبية يحلمون ، يصيحون مع هتفة الشباب الاول . نكتة تقفز . يضحكون . غمزة عين . وابتسامة رضى وخفقة قلب . هذا يهمس وذلك يزعق . وهذه معجبة بذاتها ـــ لا ترى الدنيا الا لهـا ومن تحتها ـــ والثانية غيرى . وعجوز متصابيـة تكاد تتعثر مـع الحسرة على الزمن الغادر الغدار .. وتجاعيد الزمان وكيف تتجرأ على سمك مساحيق المكياج! وغادات يرتدين

« الميكرو » و « المينى » . وصغيرات يرتدين ويلبسن « الميدى » و « المـــاكسى » . أحدث صيحات الموضة . طاولة مستديرة تجمع أفراد عائلة وضيفة عليهم . وشابان من الغرباء .. عيونهما حيرى .. وأعضـــاء دخلوا النادى حديثـــا يبالغون فى التزين والزحلقة . والباروكة المشتراة حديثا من السوق السوداء والسوق الحرة .. تهتز فوق الرؤوس .. اليس هو نـــادى الجزيرة المرموق المشهور باناقته ومجتمعه .. وذكريات تجمع بعض الناس الذين تفرغوا بعـــد المعاش .. يجلسون كندوة فلاسفة اليونان على هيئة نصف دائرة .. يضعون الايدى تحت الرؤوس . ويستعرضون ما فات وكان .. أمام العيون !. وعاشق سارح .. ورجل يبتهل والمسبحة لا تفارق حركة أصابعه .. تتلمسها مع البسملة والدعاء .. وكلام وحديث . كلام الناس كثير . انك ترى متناقضات ترسمها الحياة . رياضى يتمرن فى منتهى الجد للدورة القادمة . مريض القلب يمشى فى تؤدة حسب مشورة طبيب . مترهل الجسد يهرع خافى القدمين يلف ملعب السباق ويدور .. لعل الحركة تذيب بعضا من الشحم العالق ببطنه وجانبيه . وهذه الشقراء حريصة على أن تستلقى الى جانب حمـــام الليدو . لا لتستعرض جسدها . معاذ الله . ولكن ربما بحثا عن سمرة .. ثم تقوم لتجرى وتجرى وراء «الرجيم» . ولنترك « فريق الشمس » يجرى لاهثا وراء فيتامينات .. لعل الجسد — المتعب المجهد — يمتصـــها من خلال أشعتها !

وبعيدا عن الصحة والرياضة .. قريبا من المجتمع .. هذا يقرأ كتابا .. شابة تتصنع الخجل ومعها أخوها الصغير .. وثالثهما شاب ارتوى من دنياه يريـــد

الزواج .. ومع كل خبرته الماضية فانه يتلعثم ويبدو أن الفأس قربت من رأس عزوبيته الطليقة . وهـــو حائر بين عذاب الوحدة وجنة الزوجية المقيدة بأسلاك مهما كانت مصوغة من ذهب ! ..

ثم .. رياضيون شبه عراة الصـــــدور يقفزون ويتصايحون .. يتركون الساحة الحقيقية للملاعب .. يقتربون من حافتها حتى يلامسوا الجالسين فى أمان الله يتحدثون ويتلمسون الهدوء ..

حلا لهذا البعض من الشباب اللعب عند الحافة . ويقتربون أكثر وكأنهم مصـــــابون بعقدة الاستعراض فيتخيلون أنهم يلفتون نظر العذارى من الجالسات . وهن عنهم غائبات فى أحلام الزواج والحب والبيت والكليـــة وربما الدرس . ولا يهم من يلعب . أو . من يرمى الرمح . أن يصيب واحدا سيرميه القدر بسهمه !. أو أن تندفع الكرة من قدم زميـــل له الى رأس أصلع جالس فى وقار . متأفف من هذا [التلاعب] والجرى والنط فى استعراض .. فيجلس معطيا ظهره الى كل هـــذه الصبيانيات ونزق الشــباب . يهب ثائرا . وقد أزعجته [ضربة الجزاء] متصايحا زاعقـــا على قلة النظام . وأين ادارة النادى ؟ . والشباب يضحك طبعا . يسخر . والوقار يفلت .

ولكن هذا لا يمنع نشاطا رياضيا حقيقيا ورياضيين جادين ان صح هـــذا التعبير . يلعبون على ساحات النادى العديدة بعيدا عن التهريج .. بل ان بعضهم وصل الى الدولية أو عالمية لعبته .. والنادى يشهد الى جانب الرياضة نشاطا ثقافيا ، واجتماعيا ، لا زيف فيـــه .

وأعود الى بعض ملامح النادى .. يشدنى منظر هذا المفتون الذى راح فى مشيته ولباسه والبسايب ضاغطا عليها بأسنانه .. متخيلا أنه شبيه لممثل عالمى معروف !

وعصافير آمنة تلتقط الحب ومن حولها الحب كله . لا تستمع الى أحاديث لا تفهمها ، ولكن بالقطع هى أحاديث مضخمة مكبرة الصوت — مهما كانت هامسة — بالنسبة لآذانها الصغيرة الدقيقة !. ان أصوات الناس تبدو وكأنها صادرة من أبواق وميكروفونات !.

وأولاد تحت السن القانونية يدخلون المنطقة المحرمة عليهم . هكذا رأى الكبار لمزيد من الهدوء .. حيث أن للصغار والطفولة الحديثة أركانا خاصة للمرح والهيصة والصياح والبكاء . والمراجيح والزعيق .. وليس كل الرجال آباء لهم . ولا كل السيدات أمهات بالطبع . فما بالك بالآنسات ؟ ان أى ولد رضيع أو بنت باكية ليست كالغزال عندهم وانما قرد أفلت من رقابة ((الكونترول)) !

ووسط هذا الحابل والنابل . يثيرك صوت راديو ترانزيستور اندفع صوته من حقيبة من تحمله ، متصايحا باغنية صارخة . ثم تبتسم لهذا الطالع فى المقدر الجديد .. يتظاهر بالثقافة ، حريصا على أن يطل من تحت ابطه كتاب ، أغلب الظن أنه لم يفتحه بعد رغم أنه قد اشتراه منذ شهر أو أسبوع لو أحسنا الظن والحساب ! .

ولكن .. أعود وأسأل نفسى هل هو النادى الوحيد الذى يجمع كل هذه الملامح والصفات . لا أعتقد .

فقط هو المعها ! .. فالنـــاس هم النـــاس .. أينما كانوا .. على شـــاطىء بحر أو على خضرة حديقة .

ولكن مالنا والناس . فلنعد الى : ((عنتر)) النوبى الذكي وزملائه : ((ذهب)) و ((أبو رجيلة)) و ((على)) و ((كوته)) و ((عباس)) .. يروحون ويجيئون بالطلبات ، فى خـــدمة ممتازة مع الابتســـامة ، يشرف عليهـــم (الرويسة) : عم ((يوسف)) و ((صالح)) و ((فتحى)) و ((سيد)) .

وعلى البعد يبدو : عبد الرحيم بهجت : المســـئول عن مطعم النادي .. وكل معدة تتلهف اليه .. ينظر الى الحركة وكأنه قائد فصيلة .. عيناه مع هذا وسمعه مع ذاك .. يقف على درجتى سلم شرفة صالون النادى .. ليرى التفاصيل التى لا يراها على البعد برج القاهرة الذى يعلو بزواره ١٨٦ مترا عند حد ساحة النادى .. لايرون ما أرى .. بل لا يهتمون به .. وبالطبع لايسمعون ما أسمع .. من هيصة وضجيج .. وحوار .. بقدر منظر القاهرة الساحر من الجو .. وقد امتدت الى خلود الاهرام وسحر الصحراء والنيـــل يشق الارض بلمعـــة رقرقتــــه التى تتراقص وتسبح من تحتهـــا الاسماك .. رزقا يحمله ماؤه .. وبيوت وعمـــائر وخضرة تلتف باكثر من ٥ ملايين ساكن ، تحت سمائها . التى يعبرها قرص من ذهب كل نهار .. وتلعب وتتشاقى على زرقة عتمة المساء .. نجوم وكواكب تلمع .. قبل ان يهل الفجر . فتتلاشى بعد ان تفرش له صـــفاء الصباح .

والزحام لا أهتم به بل اهرب منه . فكل الذى يهمنى

فى النادى اذا ما ترددت اليه هو : .. كشك الجرائد والكتب الذى يديره الاخوان : عبد المعطى .. ثم لعبة الكروكيه ، التى هويتها مع كراتها الاربع الملونة بين ازرق وأحمر وأسود وأصفر ، وارتبطت بود وصداقة مع من يلعبها .. ثم تلك ((الشلة)) ، التى تكبرنى عمرا وخبرة .. استمع اليهم كلمـــا جلست بينهم ، وأسرح الى لا شىء .. لاعود الى السمع والانصات كله . ولا أسرح وانما أصبح كالمأخوذ . قصة عمر تحكى . فما بالك بحديث المصارى .. بينهم ؟

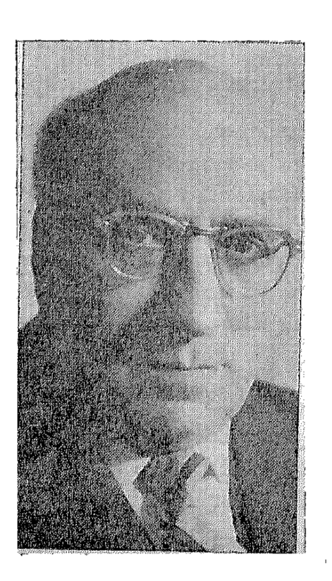
والدنيا جد وهزار . وهكذا أى جلسة وأى حديث .

نلف الدنيا ــ كلاما ــ باحداثها . نعلق على الغادى والماشى فى حـــاله والمعجب بذاته .. وحتى الجالس من بعيد . ثم خبر سمعه أحدنا فى الاذاعة وهو يرتدى ملابسه قبيل أن يجىء .. أو كتاب قرأه . أو ... أكلة شهية يتغزل بها بعضنا كما يحلم الشاعر بقوام غانيته الغائبة ذات النهدين ــ وكأنها تحمل فاكهـــة الجمال على صدرها ــ يهتزان كلما .. خطت .! .. والنسمة .. نسمة الهواء الحلوة تلفح الشجر.. وزهوره الحمراء تحمل الينـــا عبق ليلة صيف .. حيث تتمايل الورود وزهور الزنبق من حول جلستنا وقد ألبستها الطبيعة أحلى ألوانها .. تعلنها زهور أشجار الـــ بوانثيانا ريجيا الملتهبة الاحمرار والـــ جاكاراندا البنفســـجية والـــ تيوكوما الصفراء .. ودقن الباشا يهتز فوق شجرته الضخمة وكأنه ساخر بغيرة العملاقة شجرة الكافور التى نجلس تحتها .. فلا ورد لها ولا زهر ! حاسدة تلك القصيرة الجذع والرقبة شجرة الـــ أكسيانا ذات الازهار الوردية الزاهية !! ونور الكهرباء خافت ينير ويضىء بلا [لعلعة] ..

ذات أمسية قريبة الزمان .. رأيت : ((الشلة)) . دنوت منها . جلست وأنا أحيى بالكلمة لا بمصافحة اليد. هكذا تعودنا فى تقاليدها غير المكتوبة ولا المتفق عليها الا بالتعود .

وابتسامة ترتسم على الشفاه الجالسة : مرحبة .

وبينما أهم باختيار المقعد الذى سأجلس عليه فى ٣/٤ دائرة جلستنا المفتوحة .. تكاد أذناى تلتقطان آخر جملة من حديث عمدتها ((الباريسى)) المزاج
((المصرى)) السمات : الكاتب الكبير : أحمد الصاوى محمد .. كان يتحدث عن : آناتول فرانس .. الذى استطاع بأدبه أن يحبسه على البعد سنة كاملة يترجم له فيها روايته [تاييس] غانية الاسكندرية التى حاول الراهب [بافنوس] أن يهديها الى الصراط المستقيم والطريق القويم .. الا أنه غوى مع قلبه الذى



□ .. الصاوى : والعصفور ؟

عشقها .. فانعكست الصورة . واحتل كل منهما مكان الآخر . هي: الراقصة اللعوب : في جو القداسة البيضاء أصبحت . وهو على مرتع طين العشق وأرض الشيطان يتمرغ مع شهوة الغواية الحمراء ! .

وكيف تصادف نشره [تاييس] بالعربية لاول مرة في ذات العام الذى توفى فيه : اناتول فرانس .

وأسأله بينما الكل منصت : أنت تملك الايجاز .. في سطر واحد : كيف توجز رواية [تاييس] مع [بافنوس] ؟

ويرد الصاوى : .. هداها وضل !

ويتلاشى حديثنا على حوار بين أفراد الشلة .. حول تعليق ديبلوماسى بين سفرائها الاربعة السابقين . اسكندر الوهابى وعبد الحميد سعود وعلى كامل فهمى وعبد الحليم البدرى .. أنهم خدموا البلد في انحاء الارض .. ألمانيا ، بلجيكا ، اليونان ، كندا ، الباكستان ، أمريكا ، تركيا ، تونس ، النمسا ، تشيكوسلوفاكيا ، حتى غانا .

والسفير على كامل فهمي : تفيد وزارة الخارجية من تجاربه فيعود ليحاضر في المعهد الديبلوماسى . كما يشرف في الوقت نفسه على نادى السيارات . ويشترك في حديثهم محرم جودت الجريتلى : مدير بنك الاسكندرية . انه ينوى التفرغ لاعمال حرة تتعلق بالتصدير .

بينما سعد الشوربجى ، يحكى عن جو الاسكندرية التى راح اليها بعد أن مر على الزراعة . انه يفضل الريف . الأرض الطيبة . على الاسكندرية وتسمتها . انه

يود لو بقى مع النبت الاخضر يرعاه .. بعيدا عن الزحام .

المستشار الاديب انور حجازى : يتحدث عن اغرب ما صادفه فى المحاكم .

عبد المنعم عبد الهادى : رجل السياحة والفندقة : وهو المدير العام لهيئة فنادق الوجه القبلى .. يتكلم عن نسبة الاشغال فيها .. وكان من الطبيعى أن يتنـاول الحديث .. الطعام .. وقد جاء المساء . وجاع وتلمظ للعشاء .. واللواء محمد شرابى ، ينسحب فى هـدوء لتأدية صلاة العشاء فى زاوية النادى . بينما عبد الحليم البدرى يحكى عن الاكلات الدمياطية الغريبة .. وكيف أنه هناك من يستطعم كفتة ما فى جوف السمك من امعاء يختلط بها الدهن السمين . ! بينما الصديق رجل الاعمال زميل الصبا محمد مدكور : يتابع وصفه فى شهية نادرة وقد حرمه الاطباء من الاكل الا بحكمة وحدود .. والمسلوق أحسن وأصح وأسلم . ! ؟

والطبيب الوحيد فى جلستنا د. نصوح النابلسى : وقد انصرف الى شؤون الجامعة العربية زمنا طويلا .. يحكى عن اى شىء الا الطب . أنه يذكرنى بالاطباء الذين تركوا الطب الى هوايات أخرى .. مثل سمرست موم وانطوان تشيكخوف ومصطفى محمود ومحجوب ثابت ويوسف أدريس والكاتب حسين فوزى .. مع فارق .. أن هؤلاء اتصلوا بدنيا أفكارنا مع الحروف والكلمات .. أما صاحبى فقـد اتجه الى السـياسة العربيـة وشؤونها وشخصياتها .

وأصغى الى الاحاديث .. وأنا صامت ذلك المساء القريب الزمان .

ويبدو أن الصاوى .. لحظ أو لاحظ : صمتى .

سالنى : .. مالك يا كمال .. الليلة أنت ساكت ؟ مش طبيعى . فيه حاجة وإلا أيه ؟ ..

أقول له : أبدا .. ده : [تشيرنى] مات . النهارده .. فى انجلترا وهو واقف على الرصيف ينتظر الاتوبيس . ! فى أكسفورد .

ويتساءل واحد من ((الشلة)) .. [تشيرنى] مين .؟ مين هو : تشيرنى ؟

أتابع كلماتى عنه : .. ياروسلاف تشيرنى .. علامة أساتذة اللغة الهيراطيقية المصرية القديمة . خبيرها الاول فى عالمنا . مات وعمره ٧٢ سنة فى بلد هاجر اليه . اذ فى الاصل كان تشيكوسلوفاكيا . وولد فى بيازن .. بلدة البيرة . أشهر مدينة فى تشيكوسلوفاكيا ، تصنع البيرة .. تقدروا تقولوا أن القدر هو الذى دفع به فجأة الى الاهتمام بالمصريات . وفى الواقع حكايته معنا ومع أجدادنا بدأت بنكتة ؟

كيف ؟

كان وهو صغير : ردىء الخط .. كأغلب الاطفال .

.... ـ أن خطك [منعكش] لا يقرأ .. صعب القراءة مثل الهيروغليفية !

هكذا سمع من أستاذه . معلم الفصل . وهو يمر عليه متطلعا الى كراسته .

لم يفهم ما يعنيه معلمه . ما أن وصل الى بيته ، حتى راح ((يارو)) الصغير ـ وهكذا كان اسم تدليله

فى منزله — يسأل والدته .. عما يقصده المدرس . ؟ وما معنى : « الهيروغليفية » ، التى سمعته يرددها لى ؟ !

وكانت اللبنة الاولى .

ردت عليه .. بأنها أسلوب كتابة مصرية عتيقة .. كتبها كهنة المصريين القدماء ، بعيدا فى المكان والزمان . المكان ليس فى أوربا . وانما فى شمال شرق أفريقيا . حيث رأس النيل .. وكتفاه .. انه يطول من مشارف السودان حتى مصبه ١٥٠٠ كليو متر . فيكاد هــذا الامتداد يطول ربع مسافة رحلته الطويلة الضارية من بحيرات منابعه فى قلب أفريقيا قبل أن تنساب مياهه معربدة مع الامطار وصخر الجبال متعاركة مع الاحراش والغابات .. والطير يرفرف حائما متصايحا فوقها .. مارقة من أوغندا ومن الحبشـــة لتتدفق وتتلاقى فى السودان قبيل أن تصل الى مصر .

تاق الصبى يارو الى معرفة الهيروغليفية .. تلك الكتابة القديمة .. التى لفتت سمعه قبل أن يراها .

وما أن بلغ عمره الخامسة عشرة حتى أهداه والده اول كتاب رآه عن مصر القديمة . قرأه فى نهم .

فى سن التاسعة عشرة .. التحق « يارو » الطفل الذى كبر .. وعاد الى اسمه الاول تشيرنى بجامعة كارل فى براج .. ليتعلم « المصريات » على أستاذه « ليكا » . واستمر مندفعا فى غرامه العلمى .

عمره الان ٢٧ سنة . وهو يصل الى مصر ليراها لاول مرة . عمل كثيرا فى غرب الاقصر . فى حضن جبل

القرنة . اهتم بدراسة [ديرالمدينة] .. وهى المنطقةالتى عاش فيها وسكن منازلها فنانو وعمال الخلود .. الذين حفروا ونقشوا بعد أن صمموا مقابر الاشراف والملوك والملكات .. تتبع حياتهم مما تركوه . اتخذ منهم رسالة حياته العلمية . ومع ذلك اشترك أيضا مع د. جمال مختار ولبيب حبشى فى تسجيل ودراسة آثار بلاد النوبة بمناسبة انقاذ آثارها ومعابدها العشرين . ومن أشهر أعماله ترجمته للوحة زواج رمسيس الثانى فى معبده عند « بو سمبل » ولوحة امنحتب الثانى ومرنبتاح فى « عمدا » .

ويعود — وأراه فى القاهرة حديثا — جاءها ليقضى شهرين فى العمل مع المعهد الفرنسى للآثار .. لينشر آخر مقال علمى له عن دير المدينة .. بعد أن ألقى آخر نظرة وهو يعتلى قمة [جبل القرنة] .. وكأنه أحس نهاية أجله . ولكل أجل كتاب .. هكذا حكمة الدنيا ومن عليها .. فكانت الحسرة مصاحبة لنظرته الى [الجبل] .

وفجأة يقطع الصاوى تتابع حكايتى وقد قاربت على الانتهاء منها .. ليقول .. وكأنه تذكر شيئا .. :

.... — [الجبل] .. أنك تذكرنى بحكاية كتبتها منذ زمن طويل . ولم أنشرها . تتصل بذات الجبل : جبل القرنة .

.... — وأين هى ؟

.... — سأحضرها لك غدا .

... ...

وفى الغد جاء الصاوى . جلس وسط الشلة .. ثم مال الى أذنى هامسا .. وأخرج من جيبه صفحات .. تحمل سطورها حكاية [العصفور الاصفر] .. قلت له سأنشرها ولكن تحت عنوان آخر .. [عصفور الجبل] .. ايه رأيك ؟

رد الصاوى — [العصفور الاصفر] أحسن .. ولك ما شئت على كل حال .

وأبدأ قراءة الصفحات السبع :

... ...

□ .. جاء من الشمال البارد المثلج من الجزيرة التى تصفع جوانبها الامواج وتظل شهورا عديدة فى السنة غارقة فى لجج من الضباب والظلمات بعضها فوق بعض طبقات . جاء ليعيش فى [وادى الملوك] بين الرمل والصخر تحت اشعاعات شمس محرقة يضرب فى المجهول باحثا عن مقبرة أحدث ملوك الفراعنة سنا وأعظم العصور فى تاريخ مصر القديمة ازدهارا وفنا .

اسمه « هوارد كارتر » . كان رساما عاديا قبل أن يصبح أثريا شهيرا . وكان من حسن طالعه أن آمن به رجل من بنى وطنه — ذائع الغنى شديد الشغف بالتاريخ — هو « لورد كارنارفون » يثق به ثقة عمياء ، ففتح له اعتمادا غير محدود — أعطاه بطاقة بيضاء يوقع عليها .... كارتر — ويبعث بها الى المصرف وينفق ما شاء .. وقتما شاء .. وكيفما شاء .. بلا حساب ..

ومضت الايام وانقضت الشهور وانطوت السنون ..

السنون الطوال .. ولكنه وهو يطوى السنين .. كان يطوى القرون ..

- وطـــوى القرون القهقرى حتى أتى
فـــــرعون بين طعــــــــامه وشرابه

وقضى كارتر على هذا النحو المرهق المرير عشرين سنة كالمحكوم عليه بالاشغال الشاقة ، يقطع الجبل فى صحراء مصر العليا ، فلا هو قد ساوره اليأس ، ولا الرجل الذى ينفق ويبذل آلاف الجنيهات قد ساوره الشـــك .

وتلك وحدها عبرة أخرى من عبر التـــــاريخ .. وجلس كارتر على شرفة الفنـــدق التى بدأ يراودهــــا النسيم ، ورأى بعين الفنان قمرا روائيـــا طالعـــــا فى السماء نابضا باللونين الوردى والبنفسجى ... شفق الصحراء الذى ينفق على المزارع من حوله أمواجا من الياقوت والمرجان بعد أمواج . وكانت قوافل السياح الذين جاء بهم اكتشافه تعود أدراجهـــا بعد ما ملأت يومها بالتأمل فى تماثيل الفراعنة والنصوص الهيروغليفية والدخول فى سراديب الحفائر ، وبعد ما شحنت ذاكرتها بكثير من أسماء الملوك والالهة .. ونظر كارتر اليهم وقد أضناهم التعب وقال لصاحبه :

.... ـــ ستظل هذه البلاد العظيمة لغزا لا حل له وسرا لا ينكشف لمخلوق . انهم لا يدركون معنى ما يرونه بالغا ما بلغ من الجمال والجلال .. وبالغا ما بلغ تفسير العلماء والتراجمة والادلاء . ترى ما الذى يجذبهم ..

فقال صاحبه :

.... ـــ السر والخفاء ...

فأجاب كارتر :
.... ـــ أجل ، هناك فعلا أشياء لا يفهم الناس سرها ولكنهم يشعرون بها ..
فسأله صاحبه :
.... ـــ أتؤمن بالتطير .. والوساوس ؟ ..
ابتسم كارتر وسكت هنيهة ... ثم قال :
.... ـــ ما أكثر ماوجه الىهذا السؤال منذ اكتشاف المقبرة .. ومع ذلك فلست من الموسوسين . فى حين أنه اذا كان لاحد أن يتشاءم ويتطير وتقلقه الوساوس فأنا أولى الناس بهذا كله .
فصاح صاحبه :
... ـــ **ولعنة الفراعنة** .. وتلك الموتاتالغريبة التى تنشرها الصحف ويرددها الناس ! ؟
فهز كارتر . كتفيه مستنكرا هذه الفروض الخيالية .. التى لا تحتمل الاختبار ..
وذلك أنه لم يكن قد قرأ بعد فى لوح الغيب أن بعوضة ستسلع « لورد كارنافون » ، وأنه سيقضى منها نحبه ، وأن وفاته على هذا النحو المؤلم ستهز أركان العالم .. وتؤكد لعنة الفراعنة ..
وعاد صاحبه يحاوره :
.... ـــ الم تستشعر اضطرابا وشيئا كما لو كان انذارا خفيا يوم دخلت لاول مرة مقبرة توت عنخ آمون . ثم قاعة كنوزه ..
.... ـــ أما الاضطرابفلا .. لكنه شىءآخر .. لقد حدث بعدما اكتشفت قاعة الناووس أن قررت الدخول بعد انتظار ٦ فصول .. الى قاعة الكنوز . ولم تكن كبيرة . ستة أمتار طولا فى أربعة عرضا وارتفاعها

متران .. وذلك بساطة متناهية . ورغم هذا .. أى وربى .. لقد كان الماضى يهيمن أشد الهيمنة على المكان .. وأن قداسة تلك البقعة التى لم تدنسها قدم منذ ثلاثة وثلاثين قرنا قد جعلتنى أرتجف كريشة فى مهب الريح . ولم يكن ذلك منى خوفا ، بل كان خجلا، كأنما خشيت أن أمزق حجب ذلك الصمت والسكون الذى كان يجب أن يظل أبديا .. ثم كيف أقول .. لقد كانت تصدر من جميع هذه الاشياء الجادة طمأنينة لا حد لها ... بالله تلك دقائق معدودة فى الحياة ...

لشد ما أتمنى لو كنت مكانه .. ذلك الوجه الضارب الى السواد مخططا بالذهب .. وجه ابن آوى .. (أنوبيس) الملفوف بالكتان .. الجاثم على محراب فى شكل باب .. كان قابعا عند العتبة يمنع الدخول . وكان يواجه أنوبيس مشعل صغير من الغاب . ووراءه رأس بقرة غريب . رمز العالم الاخر حيث تنكسف الشمس ويسود الموت .

وكانت البقرة برأسها الذهبى وقرنيها النحاسيين وجيدها الاسود تمثل آلهة وادى الآخرة . وكان المشعل الصغير يخفق باللهب المقدس المخصص لطرد أعداء الموت بأى شكل جاءوا . وكنت أنا الذى قد جاء ..

وتوقف كارتر عن الكلام هنيهة .. ثم استطرد :

.... ـ وكان أنوبيس بمجلسه هذا يحرس مدخل القبر . بينما هو محتفظ بدائرة نفوذه . وكان محضره لا يجعل الباب يغلق أو يختم ..

وكذلك أقسم أننى فى خلال الستة الفصول التى اضطررت أثناءها أن لا أدخل غير حجرة الناووس كان يعوزنى الكثير من الشجاعة وضبط النفس حتى لا ألقى

الحاجز الخشبى . الذى يحجب قاعة الكنوز ..
ولكنك تعلم أنه لا يمكن اخفاء شيئين فى وقت واحد .. وكانت توجد تحت المشعل كتابة سحرية هـذا مؤداها : « اننى أنا الذى أرفع الرمال عند اقتحام الحجرة .. اننى أرغم الماضى على اتخاذ الطريق المخالف .. اننى حماية الموتى » .. ولعل هذه الجملة الاخيرة هى التى سببت قلقى واضطرابى خاصة ..

.... — أفلم تحدث لك حوادث سيئة من ذلك الحين ؟

فأجاب كارتر متفلسفا :

.... — كلا .. اذا استثنينا وفود السياح — ومع ذلك لو لم أكن متعقلا — لو أننى كنت من الموسوسين المتطيرين .. واليك القصة :

.... — كنت قد قضيت عشر سنوات وأنا أبحث عن موقع قبر توت عنخ آمون . وقد مررت على ساعاتى . أو بالاحرى على سنواتى . بالتشجيع والصبر وتجديد الامل . وهذا نصيب كل الباحثين عن الاثار ... وحدث يوما أن عثرت على البشير بقرب اكتشاف القبر . وياله من بشير يعصف بالفؤاد ... ثم قصدت القاهرة فى طلب شىء من الراحة . وفى ذات يوم فى شارع من شوارع مصر القديمة حيث كنت أتسلى بالدخول فى الحوارى والازقة . ودخلت حانوتا من حوانيت السوق ، وكنت أساوم على شراء شىء لا أدرى أى شىء كان ، فاذا أنا أسمع كناريا يغرد ، ولكن ما من كنارى سبق له أن غرد بمثل ذلك الابداع العجيب .. كان يقسم كالعندليب .. ووالله ما طرق سمعى أشجى من ذلك على الاطلاق . فطلبت فى الحال أن أرى الطائر ، فقيل لى أنه ملك أحد

الجيران . فقصدت الجار وسألته هل هذا الكنارى للبيع . فأجابونى سلبا . فألححت وأصررت وقدمت اسعارا جنونية . جنيهات عديدة تكفى لشراء أقفاص بأسرها من عصفور الكنارى ، ثم حظيت آخر الامر بالكنارى .. فقدمت له قفصا جميلا واسعا . وسافرت عائدا أدراجى الى الاقصر ومعى رفيقى الجديد . وكان يبدو عليه أن سروره يعدل سرورى . اذ لم يكن الكنارى يكف عن الغناء الا لينام ، فاذا ما استيقظ فلكى يسمعنى التغريد والنشيد والترنيم والتنغيم .. وقصارى القول أجمل موسيقى فى الدنيا ... وحسبك أن تعلم أننى كنت أقطن على مقربة من الحفائر بيتا صغيرا قريبا أشعر فيه بالوحشة المطلقة . ولكن العصفور بدل عالمى تبديلا . ولم يكن التغريد لديه تعبيرا تافها مبتذلا كما لدى سواه من الطير . بل أنه كان يغرد بلذة ويغرد للذة . وكان يصغى الى نفسه مغردا .. أجل .. ان الكنارى لم يكن يكف عن الغناء الا ليأكل أو لينام ...

ولكن حدث يوما أنه لم يغرد . وكان ذلك اليوم هو يوم الموعد المضروب لدخول القبر . وما أن بدأنا فتحه حتى اضطررت الى اغلاقه فى انتظار قدوم عمال جدد ليفضوا أختام المقبرة بحضور مصلحة الاثار المصرية ... وما أن أغلقوا القبر حتى عاد الكنارى يغنى .

وبعد ذلك وصل العمال وفتحوا المقبرة وفضوا أختام الناووس . وقد أرسلت ختمين منها الى مصلحة الاثار بالقاهرة . ثم أغلقت الكهف حتى نستروح ونستجم . وما أن أغلق حتى غنى الكنارى من جديد .

ثم كانت أخيرا عملية الحفر الثالثة والاخيرة . والكشف عن مومياء الملك توت عنخ آمون للعيان .. فحدث فى تلك اللحظة .. ويالها من لحظة .. فى تلك

الدقيقة نفسها التى فتح فيها الناووس .. أن تسللت حية الى بيتى ونفذت الى القفص وقتلت المصفور فى تلك الدقيقة نفسها . نعم . لا قبلها ولا بعدها . وليس هذا كل شىء . فمن المعروف أن الحية أو الثعبان الذكى هى الحية الالهية التى تعلو تيجان ملوك المصريين القدماء وتزين جميع صور الاحداث ..

وفى اليوم الذى كشفوا فيه عن مومياء توت عنخ آمون رفعت بصرى الى النصوص الهيروغليفية فقرأت اسم الحجـــرة التى تميز النـــاووس .. أفتعلم كيف كانت تسمى .؟. كانت تسمى : حجرة المصفور الاصفر .

.... ـــ رباه .. أبعد هذا كله لا نتطير ولا نكون موسوسا ؟

... ...

وكان الليل قد جن منذ أمـــد طويل ... وأرخى سدوله .. وكان ليلا منعشا بنسيمه العليل وجوه الصحو حتى كأنه ليل مسرحى . فبدت الاشجار من حولنا كما لو كانت فى وضح النهار . وهناك على مدى من الصحراء تتلالأ فوقها الكواكب ... لان بلادنا هى البلاد الوحيدة فى العالم التى تسد فيها الكواكب الافق ... نجومهـــا لا تغيب أبدا ولا تخبو .. فمن أين نظرت وجدت كوكبا ..

ثم بدأ جمل يسير هوينا على حقل من النجوم ، ثم تتبعه جمال ثلاثة ، ثم صارت عشرة ، فكانت قافلة ..

وكان يمتطى آخرها صبى سحرى نحيف أسمر لكز الحيوان الاصيل بعصاه النباتية فتدافعت الجمال متسابقة ــ وهى تضع فى اناة كرامتها ــ وتتابعت رؤوســـها المتوازنة تحت ضياء القمر واختفت متثاقلة ... ودخلت بدورها فى ذمة التاريخ ... □

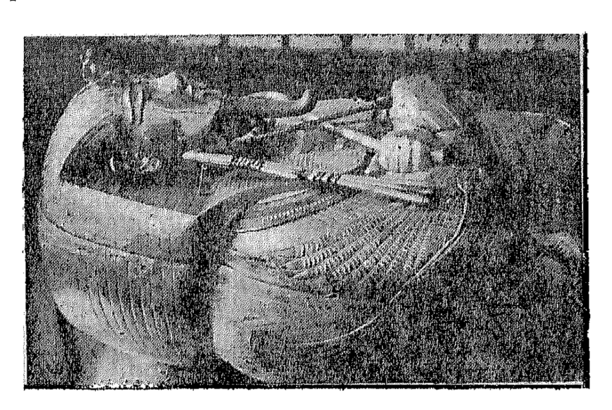
وتنتهى كلمات الصاوى ...

وتدور أطياف الماضى : تتشبرنى .. كارتر .. توت عنخ آمون .. جبل القرنة .. والعصفور الاصفر .

ان ٥٠ عاما تكاد تتم منذ الكشف عن مقبرة توت عنخ . أن الحدث ستحتفى به بريطانيا : بلد الرجل الذى كشف عنه ، تكريما له وتخليدا .

ويرفرف العصفور الاصفر من جديد . أسمع تغريده . ولا أراه ... ولا أفيق الا على اقتراب ((عنتر)) بقائمة الطعـــام .

ولعنتر حكاية مع الفكر وثقافة بلاد النوبة سأحكيها مع الايام .



□ □ □

شرقى يدفع ½ مليون .. لنصاب النمسا !

■ .. وأخـــذ الرجل الانيق يتحدث الى المليونير الشرقى زائر ((فيينا)) .. فى لهجة فيها رقة ودهاء ونفاق اجتماعى لطيف .. عنــدما أحس : كيف لمس المليونير وأعجب بالدخل العجيب للسياحة فى النمسا .

اذ قال له ــ صادقا ــ ان دخل النمسا من السياحة ٣ر٨ مليار من الشلنات .

ولم يدهش المليونير .. فهو يرى الحركة السياحية امامه تتدفق . تتلاطم كأمواج بحر هائج !

وكان الحديث فى ملهى ليلى بفيينا اشتهر بعرض نمرة الراقصة العارية .. العارية تماما .. والدافئـــة المثيرة غالبا .. وكان المليونير يذهب الى هنـــاك كل ليلة لاعجابه الشــديد براقصـــة تظهر كل مســاء عارية كيوم ولادتهـــا منذ ٢٠ ربيعا !! الفرق الوحيد انهـــا عنـــدما ولدت بكت ككل مولود .. أما اليوم فهى تبتسم وتغمز وتهتز .. ومن حولها العيون والنغم الذى يصاحب رقصتها الساخنة فيرتعش كل جسدها .

وفى لحظة انبساط عرض الرجل النمسوى الانيق على المليونير ان يذهبا فى رحلة جميلة لقضاء فراغ النهار فى اجمل مكان فى أوربا .. ((سمرنج)) !

والرجل الانيق ذكى من غير شك .. فان ((سمرنج)) هى حقيقة من أجمل ٣ قرى رأيتها فى حياتى .. بل لا أبالغ اذا قلت أنى أتصورها قطعة من الجنة .. الخيال .. والاشجار .. والالوان تتزين بها الزهور . تتأنق مع العطر . والطريق الصاعد الذى يلتف مع الجبل يعانقه ويرتد عنه فى انسياب .. وما يلبث أن يخاف من الارتفاع فيسرع اليه ليضمه فى لهفة .. حتى يرتفع معه ١٠٠٠ متر فوق سطح الماء . والرائحة الحلوة تائهة لا تعرف أين تستقر . تملأ الجو كله . والثلج الابيض يعلو قمة الجبل .. وأوراق الخريف الذهبية تتطاير مع الهواء .. والطيور .. والفاكهة .. والندى .. والحور اللاتى يتهادين هنا وهناك . وهمس عديد من مختلف اللغات . لا لست أدور فى برج بابل .. بل أخطو فى الجنة .

وصعد المليونير الى سيارته ، والى جانبه الرجل الانيق .. وبدأت الرحلة .. وفى الطريق الذى يبعد ٣ ساعات عن فيينا أخذ النمسوى يصف (لسعادة) المليونير ، مزايا : سمرنج صيفا وشتاء .. فهى مصيف، ومشتى ، وملتقى السائحين الذين يفدون من ايطاليا ، والعالم كله ، وحتى من أهل البلد : النمسا ، اذ تقع سمرنج فى الطريق بين تريستا وفيينا ..

وبدأ المليونير يرتاح الى سمرنج قبل أن يراها .. وبدأ يسمع احصائيات غريبة عن مكاتب السياحة والفنادق .. وكيف لا يمر يوم هناك الا وشىء من النشاط السياحى يحدث ، حتى هواة التزحلق على الجليد يأتون من بعيد ليجروا على سهل الجبل الثلجى الابيض

راحت سيارة المليونير ترتفع فى طريق الجنة المؤدى الى سمرنج .. وبدأ يقترب من السحب .. من السماء .. من الجنة !!

وأخيرا وصلا الى « بان هانز : هوف » ، أكبر فنادق سمرنج . وأخذ المليونير يتطلع من حوله ولا يصدق أنه يقف على الارض .. خضرة وجمال وشعر منثور منظور .. هى الطبيعة التى تحيط به .. والرجل الانيق يكلمه ويكلمه عن الفندق ، وعن الخلاف الذى حدث بعد وفاة جده ، وكيف أن الحصة الكبرى منه قد آلت اليه . وينتقل حديثه فجأة الى الاموال الطائلة التى تتدفق على الفندق ، وكيف كان امبراطور النمسا فرانسوا جوزيف يتخذ منه مصيفا خلال ٦٤ سنة هى مدة حكمه .

وبدأ المليونير يسأل عن ثمن الفندق .. والرجل الانيق يرده فى عدم اهتمام :

.... ــ لماذا تسأل سعادتكم ؟ .. ثم يرجوه أن يقوم بجولة ليريه عظمة الفندق .. حمام سباحة تركى تحت الفندق .. وفى حديقته حمام دافىء مكشوف وسط الغابة ولكنه مغطى بالزجاج .. وتلفريك ينقل الزائر الى قمة الجبل .. وكباريه ليلى .. و .. و .. و

ويعيد المليونير سؤاله عن ثمن : الفندق .؟ والرجل الانيق يقول له للمرة الثانية :

.... ــ لماذا ؟! ياصاحب السعادة ؟

فيرد المليونير :

.... – لانى قررت أن أشترى هذا الفندق .

.... – ولكن ثمنه كبير .. وأن تكن مكاسبه خيالية .. ولهذا لا أعتقد أنى أبيعه .

.... – لماذا ؟

.... – لانى أكسب منه .. فلماذا أبيعه .. صحيح انى أريد أن أعيش فى فيينا ، لان ...

ويقاطعه المليونير ويقول له :

.... – أنا مستعد أن أدفع لك الان أى مبلغ تريده عربونا ..

وأخرج المليونير دفتر الشيكات .. وقع بأن يصرف للرجل الانيق نصف مليون دولار . مجرد عربون !
وذهب الرجل الانيق ليغيب بضع دقائق كى يحضر من مكتبه بادارة الفندق ورقا ليكتب عليه عملية التنازل والبيع الاولى .

شد الرجل الانيق على يد المليونير يهنئه بهذه الصفقة . واتفقا على اتمامها بعد شهر للتسجيل فى العاصمة ((فيينا)) ، وحتى يقنع الرجل الانيق أفراد عائلته .. الذين توارثوا الفندق أبا عن جد .. بأنهم سيبيعون الفندق للمالك الجديد ..

ورجع صاحب السعادة مع الانيق حامل الشيك .. الذى صرفه فى اليوم التالى .. بينما ذهب المليونير – كعادته – لمرقص مكسيم يستعرض صاحبته وجسدها العارى الذى يهتز كل مساء أمام كل الزبائن والسائحين !!

وفى اليوم الثالث سألهـا المليونير عن صديقه .. فاعتذرت له بأنه متعب .. وبعدها بيوم قالت له ان عنده مأمورية فى بلد قريب وسيحضر بعد أيام .. وسأل عنه للمرة الخامسة . فلم يجدها ولم يجده !.

وبعد شهر ذهب المليونير الى سمرنج لينهى العقد .. وبهت واستغرب لانه لم يلق اهتماما ظاهرا بسعادته كصاحب جديد للفندق .. وسأل عن الرجل .. فقالوا له انهم لا يعرفونه !

.... ـ ولكن كيف ؟ فهو صاحب الفنـدق الذى اشتريته منه .. وأنا مالكه الجديد .

وكان الرد فى ابتسامة وبساطة :

.... ـ لا نعرفه يا سيدى .. أغلب الظن أنه نصاب !!

□ □ □

٦ جثث تبحث عن مؤلف !

■ .. من أمنية الصحفى أن يصبح مؤلفا .

ولكن الحكاية انقلبت هنا وانعكست الصورة !

مؤلف شاب أمنيته أن يصبح صحفيا . ولم يستطع . الحظ لم يساعده بعد .

ماذا يفعل اذن ؟!

يؤلف كتابا تحكى صفحـــاته ال ٣٥٠ .. خبرا وتفاصيل جريمـــة وقعت فى بلده فى أمريكا . فى قرية صغيرة جدا اسمها هولكور من ضواحي كنساس راح ضحيتها ٦ .. بلا ذنب اقترفوه . أربعة من أعضـــاء أسرة واحدة . اشتهر صاحبها بأنه رجل وقور ورع .. لا يقرب الخمر . حشمة و حمش مع بناته . ينام مبكرا ويصحو مبكرا لينتج طوال يومه عارفا ربه .

ولكن بلا ذنب او جرم .. يهجم على البيت ـــ الواقع فى مزرعة منعزلة ـــ مجرمون .. لا أحد يعرف عددهم ولا أشكالهم ولا حتى أســـماءهم .. هجموا وصوبوا رصاص مسدساتهم الى من وجدوهم من أفراد هذه الاسرة التعيسة .. رموهم بالرصاص .. لا من أجل الانتقام . فالناس أبرار صالحون لا يعرفون الا الخـــير صنيعا .! ولا يرضون عنـــه بديلا !! ولا من أجـــل السرقة .. فلم يظهر دليـــل على أن شيئا قد سرق منهم .

وتعت الجريمة فى ١٥ نوفمبر ١٩٥٩ . وراح الناس وأهل القرية والمدينة ثم الولاية كلها يتحدثون عن غموض الحادث . من أين جاء الجناة ؟ ومن هم .؟ ولاى غرض أو هوى اقترفوا جريمتهم الشنعاء ؟

وظل السر غامضا دون حل .

وكان الشاب ترومان كابوتى وقتها جديدا على عالم التأليف طامعا فى أن يصبح صحفيا مخبرا .. ولكن لا أمل لكل محاولاته . اقتنع بأن يقبع .. وأن يقرأ مع القراء أخبار الصحافة .. ولكنه أمام هذه الجريمة التى هزت مشاعره لا يستطيع أن يقتنع الا عندما بدأ يتحرك فى هدوء الى القرية الصغيرة الميكرسكوبية جدا التى استيقظت ذات يوم على طلقات مجنونة تصرع ٦ أبرياء .

وبعد ٥ سنوات و ٤ أشهر و ٢٩ يوما مضت على اقتراف الجريمة .. ظهر الحق الذى اختفى الى حين.. والله يمهل ولا يهمل !

.. وفى ١٤ أبريل فى شتاء ١٩٦٥ ألقى البوليس القبض على الجناة الذين ظهر أن عددهم .. اثنان فقط . !!

قدمهما المؤلف ترومان كابوتى بعد أن استغل كل مواهبه الصحفية المكتومة فى اظهار الحق بعد القاء الضوء على الجناة !!

ودارت المطابع تصدر كتابا ، ألفه ترومان كابوتى ، بكل ما كتب ليظهر على صفحاته . اختار لكتابه عنوانا: هو « قتل بلا شفقة » .. **وترجمة عنوانه حرفيا هى**

« مع سبق الاصرار والترصد » ، رمزا الى دم الستة الذين اغتيلوا عنــوة .. ودم قاتليهــم اللذين كتبت جرائمهما نهايتهما معلقين ، دم بارد كالصقيع يسرى ويتجمد فى عروقهما مع الموت !! ؟

لقد ربح ترومان كابوتى (٣٣ ســنة وقتــئذ) ٢ مليون دولار من روايته هذه .. التى أصبحت الرواية الاولى والكتاب الاول ـــ عام أن صدر ـــ الذى يقرأونه ويتحدثون عنه فى كل أنحاء أمريكا .. طغى على كل كتاب .. حتى أشهر كتاب عن حياة كيندى لمؤلفــــه سورنسن ، الذى يأتى ضمن الكتب العشرة الاولى ـــ حينئذ ـــ ولكن ليس أولها فى البيع وترتيب التوزيع مثل كتاب الجريمة التى استطاع كاتبها الذى فشــل أن يطرق باب الصحافة .. أن يجعل منها أدبا رفيعا !. انه كتب قصة الحياة والموت !!

وطبعا الجريمة لا تفيد ، فقد حكم عليهما القضاء بالاعــدام .

والسؤال .؟ هل لو ابتسم حظه وعمل صحفيـــا وقتها ! أكان يربح مثل هذا المبلغ .؟؟ المبــلغ الذى تضــاعف الى ٤ ملايين دولار بعــد أن تعــاقدت معه احــدى شركات السينما على حق شراء قصته ووقعت معه عقدا قيمته ٢ مليون دولار أخرى .

ان روائى ايطاليــا العـــالمى الصقلى : لويدجى بيرانديللو .. بنى مجده الادبى على رواية تخيلها وأعطى لها عنوانا .. كاد ينافس اسمه هو « ٦ شخصيات

تبحث عن مؤلف » .. ولكن صاحبنا مازال يبحث عن حظه من خلال « ٦ جثث تبحث عن قاتلها ! » . حالما بعد أن اغتنى بعالم الصحافة أن يصبح صحفيا لاكاتبا؟! مجرد طمع أليس كذلك ؟

ولكن ما الذى يجعلنى أتذكر هذا كله ؟



□ .. شارون : أشهر ضحية ؟

نعم . حكاية أشهر محاكمة تهز أمريكا الآن . فى عاصمة السينما . فى لوس أنجلوس. حكاية محاكمة (المهووس) زعيم « الهيبيز »الطائش مراهق الفكر السفاح : تشارلز مانسون (٣٥ سنة) . الذى هزت جرائمه البشعة الضمير العالمى ، بعد أن تملكه روح شيطان عربيد .. فتسلط على أرواح ضائعة لشباب شقى متهالك على عقارات الهلوسة ل.س.د.

والماريجوانا . يدفع بهم مسلوبى الارادة الى ضياع أكبر . فى لهب ليال حمراء : اطارها المتعة وبهيمية الجنس والانحلال .. خمرهم دم مسفوك .. لذتهم صرخات مراهقة على آهات حشرجة الموت !

هكذا تسلط منذ ١٥ شهرا على عصابة من الشباب المهزوز الاحمق . أطلقوا العنان لكل شهوة .

وفجأة .. اقتحموا بلا سبب .. بيتا مضاء النوافذ فى حضن أشجار الحديقة الهادئة . كانت صاحبته الممثلة : شارون تيت ، تحتفل بضيوف لها .. جاءوا يزورونها ليضيعوا بعض الملل .. الذى كان يصاحب غياب زوجها مخرج السينما رومان بولانسكى .

هجوم . قفزات فى الهواء . أهى رقصة الشيطان ليلة الموت ؟ طبول : صرخات كابوس . صيحات الصرع. تشنجات تقطع وتهلل وتمزق الليل . فزع . هلع . صراخ . دموع . ضحكات . طعنات سكاكين تحفر الحقد الاصفر على أجساد صاحبة البيت وضيوفها الخمسة .. تهوى لتعلو من جديد لتهوى .. لتنفرس وتذبح وتشق البطون وتطعن الصدور . مجزرة من البشر . أصبحت الاجساد الممزقة نازفة الدماء ... توسلات . لا مجيب .. انما حشرجة رمادية تبتلع الموت .. وقهقهة عصابة صعاليك الهيبيز . تتعالى قافزة فوق أشلاء الموتى المصروعين مفتوحى العيون .. ممدودى الايدى .. وكأنهم يتلمسون الرحمة فى قلوب سافكى دمائهم وقد قدت من صخر . !

يعلو نباح كلاب حديقة البيت . رصاصات الحمقى ترديها أرضا .

صمت .. يغطى الهرج والمرج .. هرب . تضسيع معـالم القتلة لا الجريمة .. التى تفرد صفحات وتهز الهواء .

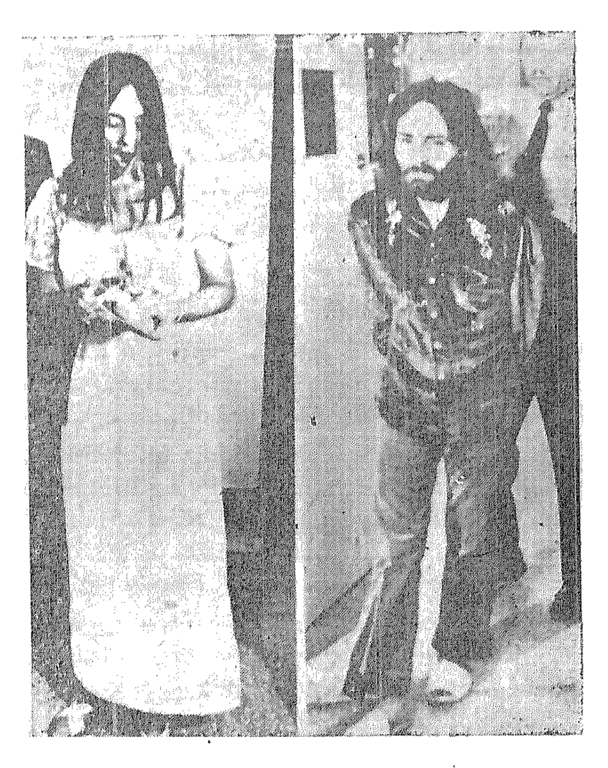
تدور مطابع الصحافة تدوى بأخبار الجريمة . تصرخ تعليقات الاذاعة أمام حدايد الميكروفونات . تتدافع صور أفلام التليفزيون والسينما .

ولكن الدم ينفجر ثانية . بعد أقل من ٢٤ ساعة !

تظهر العصابة نفسها فى الليلة التالية تماما .. وقد زين لها غرور نجاح جريمتها الاولى .. وفى الضاحية نفسها . ولكن على مسرح بيت آخر ، هذه المرة ، يوقظون صاحب البيت المليونير ملك البقالة : « لابيانكا » وزوجته « روز مارى » .. التى تنال من قاتليها بعد أن يوقظوها ٤٤ طعنة فى كل أنحاء جسدها العارى بينما اكتفوا بأن يمزقوا جسم زوجها بـــ ٣٨ طعنة سيف فقط !

زأرت صحافة العـــالم واذاعاته وتوهجت شاشات التليفزيون تحتج على الجريمتين المتعاقبتين وأسلوبهما واحـــد !

وزادت دهشة الرأى العام .. اذ لم تكن السرقة ولا الانتقام ولا حتى الجنس سببا لها . بل بالعكس .. ظهر ما هـــو أغرب .. اذ وضعت الشرطة يدهـــا على أفراد العصابة .. عصابة مانسون وشبابه المتسكع فى ضباب الجريمة مسلوب الضمير .. وسألوا أفرادها الخمسة ومن بينهم ٤ طائشات لا يتعدى عمر أى منهن ٢٢ ربيعا ومعهم طالب طب غنى مدلل فاشل : .. لـــماذا قتلتم ؟ .. هل تعرفون ضحاياكم من قبل ؟



□ .. تيكس وساتى : من لامعى مراهقى سفاكى هوليود : باعا مذكراتهما من وراء القضبان — وما زالا وراءها دون أن يصدر الحكم بعد — بربع مليون دولار لكل منهما !

وكان الجواب واحــدا : أبدا .. اطلاقا . اننـا لا نعرف واحدا منهم من قبل . حتى ملامح وجوههم لم نرها من قبل . وانما هى لذة الانطلاق . واللامبالاة .

وتستمر المحاكمة . ويتكهرب جوها أكثر عنـــدما يدلى الرئيس الامريكى نيكسون بتصريح فى مطار دنفر اثناء سفره . بأن : مانسون : مجرم .. كيف يحق له أن يجزم .. والحكم يومها لم يصدر بعد . هاج الدفاع !

والناس تعجب كيف أن نيكسون وهو المحـــامى الســـابق الذى يعرف أصول مهنة العــدالة يسبق الحوادث بتصريحه ويحـــكم على المتهـــم بالجريمـــة والاجرام . ولكنه قالها والســـلام . فى محاولة لحفظ هيبة الامن العـــام . ثم حاول البيت الابيض أن يبرر ما قاله معتذرا عن السبق للتسرع وكأنما يريد أن يطمئن الراى العام .

وحرصا على نزاهة وتأثر هيئة المحلفين قيـــدوا حركتهم . حجزوهم فى فندق . لا يقابلون أحـــدا . لا يسمعون أحدا . لا يكلمون أحدا . ولا حتى يقرأون صحيفة ولا مجلة .

تفاصيل : المذبحة الآدمية هـــذه .. ربما تتذكرهـــا الآن ، وتفتكر معى أفراد العصـــابة .. الذين سرقت المخدرات عقولهم ومحت شخصياتهم بعد أن تاهوا فى تيه الخطيئة والفشل .. يرتدون مسوح (الخنافس) والتقاليع المتسكعة الشاذة فى جو من الغرابة . مجرد لفت نظر الى شعر متهدل فوق الرأس .. أو ذقن متطايرة ، أو بنطلون ممزق . أو أرجل وسيقان حافية قذرة !

ولكن أتذكر الحكاية .. جرائم بلا هدف !

واعود الى نفسى : متسائلا .. هل كانت الجريمة الاولى التى بدأت بها حكايتى ووقعت منذ سنوات .. هل كانت البداية الاولى لعقارات الهلاوسة .. قبل أن تنتشر ؟ !

مجرد سؤال ؟



يتحدث مع الاوز ٠٠ !

■ ٠٠ « سليمان الحكيم » للقرن العشرين : يحمل الان الجنسية النمساوية ٠٠ واسمه : كونراد لورنز ٠

وكما كان سليمان الحكيم ، يتحدث الى الطيور ، ويتفاهم مع الحيوانات ، فان كونراد لورنز (٥٢سنة) قادر على أن يتكلم مع الاوز ، وأن يستمع الى الاوز ٠٠ والاوز فقط !!

فمنذ ١٠ سنوات لا صـــناعة له الا التخصص فى التفاهم مع الاوز ، بالكلام والاشارة ٠٠ الى أن وقف هذا العالم الانيق على كل ما يتعلق بلغة هذا الطائر ونشاطه ، فأصبح الاخصائى الوحيد فيهـــا ٠ وسوف يتقدم لنيل الدكتوراه فى تخصصه الناطق ، المكتوب ٠ المقروء ، لا المـــأكول ٠٠ !

وليس كونراد لورنز رجلا ساذجا ، يضيع وقتـــه فى مسألة تافهة كما قد تظن ٠ فعن طريق تخصصـــه دعاه المعهـــــــد المركزى لخريجى قسمى علم النفس والطب النفسانى فى نيويورك ، لكى يحدثهم عن الأوز ، ويساعدهم على فهم شخصية هذا الطائر ٠ كما أصبح مرجعا فى درس خصائص الحيوان ٠ وقد نشأت هوايته منذ صــــغره ، اذ لم يكن يصاحب غير الطيور على اختلافها ، بمنزله فى « التنبرج » على بعد ٢٥ كيلو مترا ٠

من فيينا • وكانت فترة الحرب الثانية قد أفسدت عليه هوايته ، التى فزعت وطارت وعامت بعيدا من دوى القنابل ، ثم بدأ يعاودها من جديد منذ عشر سنوات .

استطاع هـذا الرجل ، بفضـل هبة قدمهـا له « بريستلى » الكاتب القصصى ، أن ينشىء مؤسسة فى جنوب ميونيخ ، جمع فيها طيورا جارحة ترك لهـا حرية الطيران والتصرف ، فلم يربطها بالمنشأة الا مسلك لورنز وما يظهره لها من صداقة !؟

قال لى لورنز : أنه يملك ٢٣٠ أوزة . وهو يرى أن الأوز من أحسن ميادين الدراسة . فحياتها وقدرتها الانتاجية تحتاج الى البحث . تماما مثل النمـل والنحـل . ويقول أنه لا توجـد أوزة تحب أن تعيش وحدها .. وأن الاوز يتزاوج ابتداء من نهاية السنة الاولى من عمره .. ويذكر أن أوزة من كندا استمرت تبيض وتحضن بيضها حتى يفقس الى أن بلغ عمرها سنتين .

هذه هى قصة : لورنز ، أخصائى الاوز ، صـاحب الوجه الاسمر واللحية التى يظللها حاجباه المقوسان .

واهتمامه هذا ليس جديدا على البشرية .

فمن هنا على ضفاف النيل ، منذ مئات الالاف من السنين ، تصور المصرى القديم فيما تصور وتخيل من أسباب خلق العالم أنه من المـاء الازلى « نون » طلعت « أوزة » صاحت الصيحة الاولى • وفى البدء كانت الكلمة • ثم طارت انطلقت كالصاروخ من المـاء الى الفضاء الذى انشق ، متحولة الى قرص ملتهب ، هو الشمس التى تضىء الكون ، الذى بدأ يتشكل •!

أماه .. من أين جئنا يا أماه ؟

.. قطعا .. استكهولم وكوبنهاجن وأوسلو : كانت أقل البلدان التى رأيت فيها الازياء التى تكاد تكون ميكروسكوبية لبنات حواء .. من : مينى مينى سكيرت .. الى ميكرو ميكرو جيب .. تكشف حشمة المرأة وتبعد عنها الوقار .. عندما ترضى نزعة استعراضية لجمال سيقانها وما فوقها بلا ساتر من العيون . .مثل الذى أراه فى برلين أو باريس أو لندن .. التى كاد الهوس (الميكروجيبى) يبلغ فيها اللامحدود !!

ولا عجب كثيرا

فقديما قالوا وما زالت هى الحكمة عند الناس : .. الممنوع مرغوب !

هناك فى الدانمرك والسويد ، خاصة ، أطلقوا العنان لحرية المعرفة بالجنس . بل وصلوا الى حد تعليمه فى المدارس مع بداية السابعة من عمر كل بنت وولد ، أصبح تعليمه مادة اجبارية . لا خرافة تقال عندما يسأل طفل أو طفلة .. أماه .. من أين جئنا ؟ وانما أصبحت الاجابة واضحة المعالم . بلا خجل . مجابهة الواقع . والمعرفة بلا دنس .

ويزداد تعليم مادة ((الجنس)) للطلبة والطالبات كلما كبروا . يختلف البرنامج ايضاحا .. الى الدرجة

التى يمرون فيها بعمر المراهقة والشباب الاول حتى سن العشرين من ربيع العمر . يتعلمون كل التفاصيل ليلموا بها أو يتحاشوا المضاعفات خاصة لبنت حواء .. وهناك من الكتب المقررة كتاب اسمه : ((معا)) .

فنظرية الجنس هناك .. متساوية الرغبة لدى البنت والمرأة مثل الولد والرجل .

لا خبيئة لرغبة ولا ظلال تكتمها وتقـذف بهـا الى سرداب ظلام .

وانما وضوح بلغ مداه .. حتى وصل الى شاشة التليفزيون .. يعرضون عليه ((الجنس)) .

بل هناك كتب ومجلات واضحة المعـالم فى كل تفاصيلها التى فاقت حد الاثارة .. لا تجد الدانمرك مانعـا من نشرهـا حتى فى المحـال العامة . وفيها صور عـارية . وأوضـاع مزدوجة ملوثة يقبـل عليهـا السياح والـزوار .. بلا تردد ولا خوف من بوليس الآداب . بالعكس . فان حكومة الدانـمرك أصدرت قانونا يسمح بتداول هذه الصور والمجلات ، وأفلام جنسية تباع لمن يرى ويتردد على هذه المحال . بل هناك ما هو أكثر : دور صغيرة للعرض السينمائى . والمعروض فيها أفلام جنسية .

والنظرية هناك أن الجنس ليس عيبا . ولا يدعو الى الاشمئزاز ، بدليل أن السماء باركت المعاشرة للمتزوجين . وانما هو اتصال بين اثنين .. أما للمتعة أو للانجاب .

ولعل هـذا التسـاوى فى النظرة ، أى الجنس من الطرفين أو الجنسين ، هو الذى يجعـل المرأة هنـا

ليست مجرد شيء متعة
لآدم. ولم يجعل من الرجل
دائما : صيادا . وانما
جعل من الاثنين شيئا
متساوى الرغبة متساوى
المشاركة .

علماء النفس والطب
والقانون هناك .. ناقشوا
كل هذا ومن بينه عرض
الصور والمجلات والافلام
ولم يجدوا مانعا .. بل
أن عدد من يقبل على شراء
كل هذا أصبح من جانب
السياح أكثر .. بل ان
مناقشة دائمة على
صفحات الصحف اليومية
المتداولة فى كل بيت ...
بابها مفتوح للقراء ،
ومردود عليها من عالمى
الطبيعة الدانمركيين :
ستن ، وانج هيجلز .

وانتزعت استكهولم
وكوبنهاجن السبق من
باريس .. الى آخر
الشوط والمدى بلا حدود ،

عن طريق المعرفة ، وجعل الأمر حقيقة تحت الضوء ، ما دام الله خلقه لنا .. لا سرا مكنونا يعتريه الخوف ويتردى به الى مهاوى الرذيلة .

وفى السويد هيئة رسمية اسمها ر. ف. س. و. وهو مختصر اسمها الطويل : الهيئة السويدية لتعليم الجنس . أوجدتها الباحثة الاجتماعية النرويجيـــة : اليزس أوتينصون .. كانت رقم ١٧ من ١٨ ولدا وبنتـــا أنجبتهم قرينة واعظ نرويجى .. فى وقت لم يكن فيــه طعام يكفى لافواههم .. ولا أفواههم العـــديدة اذا ما تفتحت .. تجد قوتا !

تحمست لتعليم الجنس ، ونجحت فيـــه ، بحيث تزعمت تعليمه فى المعاهد ، من الروضة حتى مشـــارف الجامعة فى السويد . ولمعت أبحاثها خارج بلادها . وهى الآن حية ترزق ــ تعدت الثمانين ــ بعد أن جعلت من الحب والجنس متعة وعلاقة رقيقة حرة .. بعيدة عن حيوانية الاثم واضحة تحت ضوء المعرفة .

أليس مقررا علينا دراسة النبات والحيوان .. فلماذا لا يكون مقررا أيضا دراسة : الانسان : ذكرا كان أو أنثى .. ! ؟



طه حسين أحب فتاة من ٢٠٠٠ سنة !

■ .. من بين ١٢ ولدا وبنتا أنجبهم الشيخ حسين على : الموظف الصغير فى شركة السكر فى محافظة المنيا ، لمع سابعهم : طه حسين . بل لمع بين أقرانه فى أدباء هذا الجيل ، فأصبح عميدا للادب العربى ، الى جانب مكانته فى الوظيفة ، اذ صار يوما أستاذا ، فعميدا لكلية الآداب ، وبعدها مديرا لجامعة القاهرة ، ومن ثم رئيسا للمجلس الاعلى للجامعات ، ووزيرا للمعارف .. ولمع قلمه بما يسطره من فكر على صفحات الصحف والكتب التى أربى عددها على أربعين مؤلفا — تعددت طبعات أغلبها — وأشهرها كتابه الذى ألفه عن طفولته وصباه وفتوة حياته : ((الايام)) ، الذى ترجم الى الانجليزية والفرنسية والعبرية والصينية والروسية ، وكان طه حسين قد بدأ نشره مسلسلا فى مقالات نشرتها مجلة ((الهلال)) أولا ، وذلك منذ ٣٥ سنة . والسينما تفكر الآن فى تحويله الى فيلم بعد أن صورت قصته ((دعاء الكروان)) ومؤلفه ((ظهور الاسلام)) .

واحتفل د . طه حسين وقرينته سوزان شريكة حياته بمرور ٥١ سنة من يوم أن تزوجها بعد أن حصل على ليسانس الآداب من جامعة السوربون قبيل نهاية الحرب العالمية الاولى فى باريس . ومن ثم تفرغ لرسالته للدكتوراه عن ابن خلدون .

.. قابلتهما ومعهما زميل بعض عمره وصـــديق فكره : فريد شحاته ... محتفلين بعيد ميلاد طـــه حسين اذ فاتت ٨٠ سنة من عمره ليبدأ عاما جديدا .

حضرت عيد ميلاد عميد الادب طه حسين .. فى بيته : « رأمتان » المطل على طريق أهرام الجيزة .

هلال القمر يكاد يبلغ من العمر ٧ ليال .. يلقى بضوئه الخافت على فروع الشجر المحيط بالبيت ، وكأنه يستريح على أوراقهـــا الخضراء التى تترنح مع نسمة شتاء . لعل الهواء يجمعها . يقربها فتدفأ .

وهدوء يحيط بمكتب طه حسين ــ وهو ليس كبيرا ولا صغيرا وانما متوسط ــ تكسو جدرانه جلود تغلف أمهات الكتب . وأغلبها عتيق . وعدد من الزوار . انهم أصدقاء جاءوا من بعيد ليهنئوا من قريب . وباقة ورد تحت احدى الأباجورات الأربع التى يلمع ضوؤهـــا . ويدخل طه حسين وعصاه فى يده اليمنى .. وذراع قرينته مع الحنـــان فى يده اليسرى . ويرحب . ويجلس . ويسأل . ويحيى . ويدخن سجارة . يحرص على أن يولعها هو

وأسأله عمن بعث بباقة الورد ؟

ويردد طه حسين اسم من بعث بها .

ويتدفق الحديث الى السياحة وما يجرى فيها . ثم الى الآثار ليحكى ساهما مع الذكريات :

« .. زمان .. سنة ٣١ كده .. قالوا أن فيـــه منطقة أثرية غرب ملوى ــ تونة الجبل ــ .. أردت

أن أبعث اليها .. سامى جبرة : ليجرى حفائر هناك .. ولكن لما علم أستاذ الآثار يومئذ ، وهو الانجليزى : نيوبرى .. لم يرض .. وصممت أنا .. فهدد بالاستقالة .

وذات يوم كنت أجلس مع وزير المعارف وقتئذ وأظنه مراد سيد أحمد .. واذا « سمارت » سكرتير السفارة البريطانية يدخل .. فيقول : .. والله صدفة ان طه حسين هنا علشان نسوى موضوع حفائر تونة الجبل ونجد لها حلا .. اذ أن نيوبرى غاضب . ومصمم على الاستقالة اذا ما ذهب سامى جبرة الى تونة الجبل كما يقترح طه حسين ؟!

فما كان من : مراد سيد أحمد الا أن قال لسمارت .. قل لنيوبرى اذا كان عاوز يستقيل فليرسل استقالته !! .

ويومها أرسلنا سامى جبرة . وعمل ، واكتشف اكتشافات كويسة وثمينة .. ومقابر تدل على أول تزاوج والتقاء بين الحضارتين اليونانية والمصرية ... ونقوش (فريسك) نادرة ، ومنها أسطورة « أوديب » . ومعبد بتوزوريس . وبعدين سامى طلع على المعاش . واذا الجامعة تقفل الحفائر ، وكانت مشرفة عليها .

ثم يبتسم طه حسين . وكأنه يتذكر شيئا جميلا وهو يتابع حديثه : .. وأنا كان لى غرام هناك فى تونة الجبل بفتاة . وانما كانت فتاة مصرية قديمة . قيل أنها ذهبت فى الليل تسبح . فغرقت .. ومن حسن حظها أن عثروا على جثمانها . فحنطوه ودفنها والدها ..

الذى راح طول أيام عمره يذهب الى قبرها الذى أقامه لها ليوقد مصباحا من الزيت ويصلى — والمقبرة محفوظة ، ولكن ويا للاسف عندما مس الهواء مومياءها أصبحت : ترابا .. لم يجدوا الا خاتما حول أصبعها .

وفى أثناء ما كنت أذهب وأتردد على ملوى كانت هناك — كما تعلم — بلدة قديمة مصرية يونانية رومانية اسمها الاشمونين .. لم تكن يد الترميم قد لحقتها الا قليلا فيما بعد ، ولكن الاهمال اصبح مأوى لها .

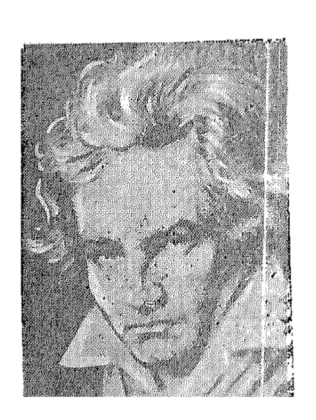
وأنصت الى مزيد .. من حديث طه حسين .

ويسكت طه .. ويسكت نغم البلاغة .

□ □ □

حريق .. فى بيت بيتهوفن !

■ .. جيوبه فاضية فارغة من الماركات . كان فقيرا وهو ولد صغير يجرى على شاطىء الراين . يحلم بان يكون شيئا . فاذا هو يعطى ٩ سيمفونيات هزت مشاعر العالم عندما كبر .. تحسس أذنيه . كاد يجن .. ان أذنيه أصبحتا فارغتين من السمع .. لم يستطع أن يستمع حتى للنغم الذى ابتدعه وأهداه للناس .



ومع ذلك فالناس لا تنسى .. حتى ولو بعد زمن .. فهذه الايام تمر ٢٠٠ سنة على مولده .. مولد بيتهوفن .

كما سيحتفلون به بعد ٧ سنوات بمناسبة مرور ١٥٠ سنة على وفاته .

□ □ □

□ النار . النار . النار تندفع مندلعـــة متراقصة اللهب . مهرولة فى حارة بون .. أو « بون جاز » فى قلب القرية و « بون » تطل على نهر الراين .. والناس تهرول صارخة مرتاعة وهى ترى النار تحرق ذاتها . هائجة مائجة مولولة . تلتهم الهواء . تخرج ألسنتها الحمراء من نافذة جانبية من البيت الصغير رقم ٢٠ فى الحارة التى تفخر به وبصاحبه الذى ولد فيه منذ ٢٠٠ سنة .. ولد فى الحجرة المتواضعة جدا جدا ، التى يتصاعد من نافذتها الدخان يتراقص فوق اللهب . انه بيت الموسيقار العـــالمى العبقرى . لودفيج فان بيتهوفن (٥٧ سنة) ، الذى أصبح من يوم أن مات منذ ١٤٣ سنة مزارا تفخر به ألمـــانيا وعاصمتهـــا « بون » . ومن أجل هذا البيت يتهافت عليهـــا أهل الادب والفن .

ووسط الصخب ، ورجال المطافىء ، وخراطيم المياه ، والزحام ، قبضوا على الجانى . ظهر أنه رجل المانى مخبول ، دخل البيت الصغير الذى أصبح متحفا . صعد سلالمه الخشبية الضيقة الى الدور الثانى ، حيث الحجرة الصغيرة المحدودة ، وفيها كان بعض أثاث طفولة بيتهوفن .. وأخرج من وراء سترته زجاجة ، أفرغ ما فيها فى غفلة من المشرفة على الدار ، التى تعودت أن تشرح للزوار أحيانا كدليلة .. وبسرعة أخرج علبة كبريت وأشعل عودا رماه .. فكان وهج ولهب وحريق ودخان وناس وزحام ومطافىء .. لحقت البيت من العدم والحمد لله .

وأسأل الدليلة التى شهدت الحريق ، وكانت تحكى لى ما حدث :

.... ــ ولكن .. ما السبب ؟

.... ــ الرجل كان مخبولا . عندما التف حوله الناس وهم يشدونه خارج البيت . كان يصرخ فيهم .. قائلا انه سعيد لانه أحرق بعض أثاث بيتهوفن . ولو أنه كان يود لو أن الحريق كان قد التهمه كله .. لماذا

يصبح بيتهوفن مشهورا .. وأظل أنا مغمورا . ؟ من الآن سأصبح مشهورا . سأدخل التاريخ .. وأخذ المجنون يقهقه !!

.... — وما اسمه ؟

.... — لاأذكر الان . .ولكن الذى احصيه أنا تقديرا للخسائر يبلغ ٣/٤ مليون جنيه . هكذا قدر عشاق فن بيتهوفن . والحمد لله .. ان الحريق التهم جزءا بسيطا من أثاثه .. ولم يحرق أو يصل الى مخلفاته الاخرى ..

وتجولت لأرى البيت وآثار الحريق . فهو اكثر بيت يزار الان فى بون . وما أكثر الصور التى تؤخذ خارجه لمدخله . أو فى حديقته الداخلية التى لا تزيد مساحتها على ٣ × ٥ أمتار .. يتوسطها الان تمثال نصفى لبيتهوفن .. وفى المدخل بائعة صور كارت بوستال وكتب عن بيتهوفن .. ثم سلم ضيق يلتف بك قبل أن تصعد عليه .. ينقلك الى الدور الثانى . وهو شقة صغيرة عبارة عن ٣ حجرات مفتحة بعضها الى بعض ، وأغلبها مضاف الى البيت الصغير الضئيل لبيتهوفن . وفى هذه القاعات ترى صورا ولوحات صغيرة وكبيرة . ملونة . أوأبيض وأسود . لبيتهوفن . صديقاته . أصدقائه ومن بينهم معاصره : فرانتز شوبرت ، وأرغن . والبيانو الذى ألف عليه بيتهوفن : سوناتا « ضوء القمر » .. ان أوتاره رباعية .. حتى تستطيع ترديد النغم الى سمعه المتلاشى . لقد صممه : كونراد جراف خصيصا له فى فينا .. وفى المتحف حكايت وحكايات .. ولوحة لجنازته ، وأكثر من ٢٠ تصميما لتماثيله



□ .. الحجرة التى ولد فيها بيتهوفن !
فى منتهى التواضع والضيق عرضا وارتفاعا !

المتعددة . ونوت، موسيقية له يبدو منها كيف جعله الصمم عصبيا .. ونظاراته البيضاوية العوينات فى اطار من أسلاك الفضـــة ، معروضة من تحت زجاج فاترينـــة أفقية ، والى جانبها كارت زيارته الذى كان يطبعــه كلما أراد ، بأكشيه يحتفظ به . ثم مقص .. وموسى حلاقة من الطراز القديم . كان يحلق لنفسه بالطبع . ثم نظارته المكبرة وسماعات أذنيه .. وخصلة شـــعر سوداء فى صباه .. ثم خصلة أخرى من شعره بعد أن دب فيه البياض ليعلن أن سنوات مضت من عمره الى مأساة سمعه الذى فقده قبيل الثلاثين ربيعـــا من شبابه .. غير ساعة جيب عتيقة .. وقفت عقاربها !!

.. ثم ماذا ؟

الحريق .. وقد ترك لمساته فى حجرة مولده .

الحجرة لا تزيد مساحتها على ٢١/٢ متر × ٣ أمتار .. ولد فيها عبقرى فنان خالد هو : بيتهوفن .

بيتهوفن : ابن القرية الفقير : الذى يحتفـــل العالم هذه الايام بمرور ٢٠٠ سنة على مولده .. فى ١٦ ديسمبر ١٩٧٠ .

□ □ □

كاربوكا .. والرجل الابيض .. !

■ .. الاسكندرية .. نهاية فصل شتاء .. حديقة فندق بوريفاج .. الدنيا شمس .. وكأنه يوم صيف دافىء لطيف . سماء زرقاء بلا سحاب .. سمك أحمر يسبح فى حوض صناعى من حوله أعشاب .. وفى حرص تنبت من حولها بشائر ربيع قادم ملونة .. على أعناق خضراء .. وكان ضيفى الى جانبى ((جمال الفرا)) سفير ج.ع.م. فى البرازيل وهو فى أجازته السنوية يمضى جانبا منها فى القاهرة والاسكندرية التى يعود منها آخر اليوم الى العاصمة ، ومنها الى دمشق ، ليتركها الى أمريكا الجنوبية .

والكلام يدور ويلف حول القهوة التى تؤلف ثلثى ميزانية البرازيل (٩٠ مليون نسمة) .. وتعدادها ومساحتها يساويان نصف مساحة تعداد أمريكا الجنوبية .. وشكلها مثلث ارتفاعه ٣٠٠٠ كيلو متر ، وعرض قاعدته ٢٠٠٠ ، وينسحب حتى يصبح ٢٠٠ كيلو متر فقط .

ثم يتحول الكلام الى السامبا وكرة القدم فى البرازيل التى يتوقف العمل بالمكاتب على معرفة نتائجها .. وينتقل الكلام الى أكلة البرازيل الشعبية الاولى .. وعاصمتهم الجديدة «برازيليا» التى سيحتفلون بافتتاحها احتفالا عالميا فى ٢١ أبريل .. والجاحظ .. والسباحة..

وأورسون ويلز .. وكرنفال ريو دى جانبرو .. وسوزان هيوارد .

ولعل بداية الحديث كانت جملة عابرة من الجرسون .. عندما سأل السفير جمال الفرا :

.... — قهوة أم شاى ؟؟

وبدورى سألت السفير عن القهوة والشاى فى البرازيل ..

وكان رده :

.... — الشاى لا يحس به الفرد العادى فى البرازيل قدر القهوة والبن . فهى تصدر من البن ٣٥ مليون كيس سنويا ، والكيس فيه ٦٠ كيلو جراما .. وكل دولار من دخل البرازيل ثلثاه من البن !! وعلى كل حال فان القهوة دخيلة على البرازيل ، وربما كان العرب هم الذين أحضروها معهم عندما هاجر بعضهم اليها ، اذ يسكن البرازيل حوالى ٤/١ مليون عربى أو منحدر عن أصل عربى .

وأرجع لاسأله عن البرازيل التى تفترش ٩ ملايين كيلو متر مربع ، وتكاد تتماثل فى المساحة مع أوربا ، وأكثر من أربعة أخماس أرضها ما زال فى حاجة الى مهاجرين .. كالذين هاجروا من البرتغاليين الى سان باولو وريو دى جانيرو ..

.... — نظام الحكم هناك على الطريقة الامريكية . . جمهورية لها نائب رئيس ، ثم مجلسان للشيوخ والنواب ، ولكن الذى يختلف عن النظام الامريكى هو أن لكل ولاية

(وفيها ٢١ ولاية) مجلس نواب وحكومة اقليمية .. والهجرة الى البرازيل قديمة .. فمثلا عندما دخل البرتغاليون خليج « جوانا بارا » ظنوه نهرا عريضا ، ولهذا سموا البلد الذى أقيم الى جانبه « ريو دى جانيرو » ، أى « نهر ينـاير » ، لان الغزو كان يوم أول ينـاير ، أول سـنة : من أول جيـل : فقد تم فى بداية سنة ١٥٠٠ ، أى منذ ٤٦٠ سنة .. ومع ذلك فاسـمها الذى لا يستعمله أحد كاملا هو « سـان سيبستيان ريو دى جـانيرو » .. ولـما رأى أهل البرازيل الاصليون أولئك الاوربيين البيض فى ذلك الوقت سموهم : « كاريوكا » .. أى : « الرجل الابيض » .. اذن فهى ليست رقصة .. والرجل الابيض البرازيلى مرح طيب محب للحياة واسعاد الآخرين .

.... — تماما كتعبير « طرزان » .. فهو تعبير أفريقى باللغة السواحلية معناه « الرجل الابيض » .

.... — ومع ذلك فان أهمية ريو دى جانيرو ستضيع أمام العاصمة الجديد « برازيليا » . لقـد رأى أهل البرازيل أن ريو دى جانيرو تقع على الشاطىء ، وأرادوا أن تكون عاصمتهم الجديدة فى قلب البرازيل .. فهى تبعد عن ريو بمسافة ١٢٠٠ كيلو متر ، وعلى ارتفاع ١٢٠٠ متر .. واختير مكان لعاصمة المستقبل المثالية وسط هضبة « ماتو جرسو » اى الغابة الضخمة .. وقطرها ٥٠٠ كيلو متر .. اختاروا مساحة كانت لاشىء .. هبط اليها نائب رئيس جمهوريتهم بالهليكوبتر ، مع المهندس نيماير الذى بنى كوخا ليكون نواة لمتحف كبير فى العاصمة الجديدة ، التى أخذوا يدرسون تخطيطها

بحيث لا يتقاطع شارعان فيها ، على أحدث نظريات العمارة ، فمهندسها نيماير مدير كلية العمارة هناك هو تلميذ لكوربوازييه أشهر معمارى فى العالم .

بنوا أوبرات ومسارح ودورا للملاهى والمدارس والجامعات والعمارات .. انها صيحة فى تاريخ العمارة وفنها العالى .. نموذجية جدا .. مثالية جداً .. فيها بحيرة صناعية .. وحى للمصالح .. وأهدت حكومة البرازيل قطعـــا من أرضهـــا مجانا للدول المختلفـــة لبناء سفاراتها عليها .. ان ريو دى جانيرو (٣ ملايين نسمة) ستتحول الى عاصمة ولاية .. ولكى تعرف أهمية العاصمة الجديدة « برازيليا » لأهل البرازيل يجب أن تعلم أنهم مهدوا لاول مرة فى تاريخهم طريقـــا معبدا مسفلتـــا طوله ٢٥٠٠ كيلو متر ، شق غابات الامازون لاول مرة ليصلوا بلدانها اليها .. من الشمال الى الجنوب .. وآخر شجرة فى الطريق ، احتفلوا بقطعها فى حفل تاريخى .

.... ــ ولكن .. ما معنى كلمة « البرازيل » ؟

.... ــ «برازيل» اسم يطلقه الهنود الحمر ، ســكان البلد الاصــليون ، على « الخشب القـــوى الاحمر » . وأطلقوا هذه الكلمة عليها لانها بلد الخشب الاحمر .. وهكذا اشتقوا اسم عاصمتهم الجــديدة « برازيليا » ، بمعنى « ذات الخشب الاحمر » .

.... ــ وكرة القدم فى البرازيل ؟

.... ــ اذا كانت ألحان « السامبا » هى النغم ، فان كرة القدم هناك هى السلطان .. المصالح الحكومية

تحبس أنفاسها . .والموظفون يتركون المكاتب لمعرفة نتائج المباريات .. اهتمامهم بها كبير جدا ، لدرجة أن ستة ماتوا بنوبات قلبية عند معرفة احدى النتائج .. الملاعب عندهم ممتازة وكاملة .. أعظم ملعب فى العالم موجود عندهم .. وهو يتسع لربع مليون نسمة .

.... ــ والاكلة الشعبية عندهم ؟

.... ــ اسمها «فيجاون» أو الحب الاسود..وهى مكونة من الفاصوليا واللحم والارز ، كلها فى طبق واحد رخيص .. المواشى هناك لا حصر لها ولا عد ، كذلك الارز كثير جدا .

.... ــ وهوايتك ؟

.... ــ هى الملاحظة الاجتماعية النفسية والكتابة حولها فى أسلوب خاص .. انى أشعر بأن لى نفس فنان .. أكتب لنفسى قضايا ومذكرات عن غير السياسة .. سجلتها خلال ١١ سنة عملت فيها خارج بلدى فى الدبلوماسية .

.... ــ كم لغة تتحدث ؟

.... ــ أتحدث أربع لغات ، وألم بأربع أخرى ..

.... ــ وأديبك الاول ؟

.... ــ بين المعاصرين .. أقدر طه حسين ، أداء واتساع آفاق ووصلا بين الثقافة العربية وتيارات الثقافة العالمية .. واعجابى شديد بالجاحظ فى تنسيقه وتوفيقه بين الأدب العربى بمعناه اللفظى والحرفى والشكلى وبين التحقيق العلمى ، ثم لنفوذه النفسى للتحليل الى ضمائر

الناس حتى ليخيل الى أن جحوظ عينيه كان سببه اطالة النظر والامعان فى نفوس الناس !

.... ـــ والسينما ؟

.... ـــ اهواها ، كما أهوى السباحة .. واتتبع أفلام انجريد برجمان وجريتا جاربو وسوزان هيوارد و ج. روبنسون وأورسون ويلز .

.... ـــ أمتزوج أنت ؟

.... ـــ فى البرازيل مثل دارج « كازاليس أوو نيليس ؟ » . أى « أمتزوج أنت ، أم .. سعيد ؟ » .. وأنا سعيد !!

□ .. وتمر أيام وليالى شهور وفصول تعدها ١٠ سنوات .. لأعود وأتذكـــر ذلك الحديث الذى كان

والذى جرى على ذات الحديقة .. حديقة فندق بوريفاج ضحى ذات يوم فى منتصف الصيف المـــاضي ، وموج الاسكندرية يغنى ويعزف سيمفونية البحرالزرقاء،وقرص الشمس يلفنا مع دفء تبدده نسمة صيف ، وأذناى تتابعان صوت معلق كرة القدم ينبعث من الترانزيستور الصغير الذى يكاد يقارب علبة الكبريت التى أمامى .. أتابع معه وصف مباريات كأس العالم لكرة القدم التى جرت فى المكسيك .. كانت المباراة النهائية . وفازت البرازيل بالكأس بعد أن اصاب ساحرها الاســـمر « بيليه » ٤ أهـــداف .

وأصحو من سرحتى على جنون هوس التصفيق العالمى للبرازيل . لأقول لنفسى .. متخيلا ماأقول . مبتسما مما

أتخيله : .. لكل برازيلى فى ذات مكان القلب .. شيء دائرى آخر ، هو : كرة قدم .. كائنة مكانه : العشق والفيض وتدفق الحياة . فيه تستقر : كرة ، بديلا عن خياله الحبيب أو الحبيبة !

وتنتهى المباراة والتصفيق والخيال الذى سرحت فيه لافيق ويدى تمتد الى فنجان قهوتى .. لارشف منهـــا من ذلك البلد البعيد : البرازيل .. رشفة بن .. وأذناى تستريحان مع موج الاسكندرية الذى يعزف سيمفونية البحر الزرقاء . وقرص الشمس .. وهج ساخن من الذهب يود لو غطس بدوره — متعجلا — فى برودة المـــاء .. عند المغيب !

□ □ □

مطلقة رئيس سابق لوزرائنا .. صاحبة مقهى

.. الفتاة التى هزت القاهرة وريف مصر ودوائرها السياسية منذ ٣٣ سنة .. أصبحت الان مديرة لاجمل مقهى فى النمسا .

لم تكن قوية بذكائها .. ولكن بشبابها قبل جمالها الذى هز مشاعر رئيس الوزراء ، تلك الايام ، ((توفيق نسيم)) (باشا) .

وكانت الفتاة فى السابعة عشرة من عمرها عندما كان (رفعة الباشا) فى سن جدها أو أكبر ، فكان قد تعدى السبعين عاما .

وخفق قلب الشيخ الجليل توفيق باشا نسيم للحب والغرام من أول نظرة رأى فيها الانسة .. وبدأ الباشا يطبق حكاية السداسى المشهور :

نظرة .. فابتسامة .. فسلام

فكلام .. فموعد .. فلقاء

ولكن عند اللقاء قامت القيامة ..

كانت النظرة والاعجاب هناك فى ريف النمسا .. وكان اللقاء المفروض هنا .. ولكن القيامة قامت كلها تتهمه بالجنون .. اذ كيف يجرؤ شيخ فى عمره على أن يصاحب الصبا والشباب .. وكيف يجرؤ ما بعد الخريف على أن يتحد ويمتزج مع بداية الربيع !!

وهكذا بدا الفيلم الطويل العريض لذكريات مضت على هذه القصة ، يتراءى لى واستعيده فى خيالى وأنا فى طريقى الى غابات فينا ، داخل سيارة أخذت تمرق بين الاشجار العالية المتعالية علىشجيرات العنب النابتة على السهل ٠٠ وفى الطريق بيت صغير قيل أن بيتهوفن ألف فيه سيمفونيته الثانية ، ولكنى لم أقف عنده هذه المرة ، فقد كنت متجها الى المقهى المشهور الذى يعتلى قمة جبل الغاب . وهناك قابلت الآنسة : هوبنر ، التى أصبحت سيدة . وتملك المقهى الذى يتجمع فيه (أشيك) سائحى النمسا ليروا غابات فيينا تترامى كلها تحت أقدامهم .. ومن بعيـــــد نهر الدانوب يلمع عندما ينحنى ويتثنى متسكعا .. وأبعد منه بأربعين ميلا ومن وراء الضباب تقع حدود تشيكوسلوفاكيا !..

وبدأت أتأمل صاحبة المقهى وأنا أصافحها ٠٠ السيدة التى هزت أوساط القاهرة ، وملكت مشاعر رئيس وزراء سابق لنا ، منذ ٣٣ سنة ! .. ان علامات الزمن بدأت تزحف الى ملامحها .. لقد أصبحت تقرب من خمسين عاما !!

وكان حديث . وكلام ذكريات مع مارى هوبنر . التى قالت لى كيف أنها تشتاق لزيارة القاهرة وشارع الهرم خاصة ، حيث أقامت أياما فى عمارة نسيم باشا ٠٠ خطيبهـــا السابق [!] .

.... ـــ انهـــــا أيام مضت على كل حـــال .. لقد كان عمرى وقتها ١٧ سنة ٠٠ عندما عرفت عزيزى توفيق باشا .. وكان الباشا قد نزل عندنا فى فندق والدى فى « كوبنزل » ليقيم بعض الوقت ، فشاهدنى

واعجب بى ، وعرض على الزواج . ولم يمانع والدى.. انى مازلت أذكر كل التفاصيل ، و « الضجة » الصحفية التى قامت أيامها فى صحافة مصر وبريطانيا ، وهنا فى النمسا .

وسألتها ؟

.... — هل صحيح أنه أهداك مجوهرات عائلته ، وكانت يومها تساوى ٨٠ ألف جنيه كما أذكر ؟

وردت مارى هوبنر ببساطة :

.... — لا .. لم يهدنى الباشا الا خاتما ثمينا من الالماس فقط ، وكان شبكة « الخطبة » .

وكأنى فتحت لمارى هوبنر بابا أطلت منه على الماضى .. فبدأت تسأل وتتحدث عن رحلتها فى طائرة مائية بريطانية فى سبتمبر ١٩٣٧ الى الاسكندرية حيث جاءت ليعقد قرانها على توفيق نسيم . وكان والداها قد سبقاها الى مصر .. واستقبلها خطيبها توفيق باشا مع والديها على رصيف محطة مصر ... وذهبوا جميعا الى بيته الكبير فى طريق الهرم حيث أقاموا ..

وسألت مارى هوبنر عن عدد أولادها الان من زوجها الحالى الذى يساعدها فى عملها .. قالت :

.... — لم أرزق بأولاد .. ان أولادى هذه الطبيعة التى تراها ! ووالدى الذى ما زال يعيش فى فيينا ، وقد تعدى عمره السبعين .

وتركت مارى هوبنر لأعود من حيث أتيت الى فيينا ..

الى فندق ((بارك شونبرن)) ، وهو من أفخر فنــادق الدرجة الاولى فى عاصمة النمسا .... وجلست أحكى لاحد أصدقائى قصة مارى هوبنر .. فابتسم . وسألته عن سر ابتسامته . فقال ، وابتسامته تتحول الى ضحكة:

.... ـــ انك تقيم الآن فى فندق حمى توفيق نسيم .. ان مالك الفندق هو هر هوبنر الذى يملك ٧ من الفنادق والمقــاهى والكازينوهات الكبرى ، من بينها فندق فى ايطاليا هو فندق قيصر أغسطس على قمة جزيرة كابرى !



صاحبة اللسان الطويل ٠٠ !

■ ٠٠ كنت أقرأ لهـــا طوال عمرى وأضحك من سخريتها عندما تصور وتغمز الناس بقلمها كما يحلو لها ٠٠ ورأيتها وقابلتها وتحدثت معها ذات صيف فى فندق كيمبيسكى ببرلين ، وكانت قد جاءت لتقابل صوفيا لورين أثنـــاء مهرجان السينما ٠ وجلست معها والى جانبنا كارلو بونتى ينتظر زوجته ٠٠ فانتهز فرصـــة الانتظار بحديث سريع معها : ٠٠ مع ((الزا ماكسويل)) التى ماتت ـــ فيمـــا بعـــد ـــ عن ٨١ سنة فى أحـــــد مستشفيات نيويورك ٠

والحق اننى لم أشعر مع : الزا ماكسويل ، بسلاطة لسانها قدر كمية [التشنيع] والهجاء الذى يبدو بين سطورها واضحا اذا ما أرادت وكتبت عن انسان مهما كان ، حتى لو كان رئيسا لدولة أو ملكا أو ملكة أو كوكبا أو نجما أو شخصية مشهورة ٠

شعرت بها عجوزا شمطاء مترهلة هربت من وجهها كل لمحة من الجمـــال ٠٠ ومع ذلك فلم يخب ذكاؤها ولا سرعة بديهتهـــا وهى تمزج الحاضر بالمـــاضى ٠٠ بالذكريات ٠ وكيف زارت مصر ٣ مرات كانت أولاها سنة ١٩٠٦ حيث أقامت فى شبرد ٠ وكانت المرة الثانيـــة لحضور مناسبة الكشف عن آثار توت عنخ آمون فى أواخر نوفمبر ١٩٢٢ ٠ أما المرة الثالثة فكانت أحدث ٠٠ حيث جاءت مع على خان الذى قدمته يوما ما الى ريتا

هيوارث .. وأصاب كيوبيد قلبيهما فتزوجا . وأنجبا ابنتهما الوحيدة ياسمين التى تتعدى الآن العشرين ربيعا ! .

وأسألها : .. هل صحيح أن مجدها الصحفى كله .. بنته على تكتم فضيحة ؟

يبدو أنها فوجئت . لم تتوقع سؤالى . قالت وشفتا فمها تختلجان :

— لا .. لم تكن الا ثقة متبادلة بين صديقين. ....

وكان الموضوع الذى قصدته هو ما يقال عن رحلة بحرية قامت بها فى شبابها على يخت يملكه صاحب مؤسسة صحفية .. وأن جريمة قتل قيل أنها حدثت عندما سقطت احدى الراكبات فجأة الى أمواج البحر فى خليج سان فرانسيسكو . وكانت الزا ماكسويل ، احدى شاهدات الحادث ، وصمتت وكأنها لم تر شيئا . وبعدها وجدت الزا من يساعدها ، وكان أن لمعت ، فجرؤت على المجتمع كله تنقده . تفضحه . تهزه . ترعشه . ولهذا عاشت طوال عمرها بلا نقود فى حقيبتها . ان نقودها وأموالها هى نقود وأموال وثروات أصحاب التيجان والعروش والمال والنفوذ والالقاب والشهرة . أنهم يرتعشون أمامها وهم يبتسمون .. يفتحون خزائنهم وقصورهم وسياراتهم لها .. ويتظاهرون بفتح قلوبهم أيضا اذا دعا الامر . أما امعانا فى طلب الشهرة . أو بعدا عن الفضائح وتجنبا لها .

انها .. وهى وحدها .. أشبه بعصابة ((المافيا)) المتسلطة الخطيرة . !!



□ .. صوفيا تعانق القبح ؟

وجلست تحــكى عن دفء مصر • وشمس مصر • وأمنيتها فى زيارتنا مرة رابعة •

وجلست أتأمل اندفاع كلماتها من خـــلال أسنانها الصناعية ونبع ملامحها .. والمنتج المليونير الاصلع : كارلو بونتى .. حذر جدا فى كلماته أو تعليقاته • وكأنه تلميذ خائب أمام حضرة الناظرة القاسية !

وجاءت صوفيا لورين .. وجلة .. تكاد ترتجف .. وهى تتكلف الابتسام .. ومع النفاق كله ، احتضنت القبح كله .. أعنى الزا ماكسويل .. التى لم تقف لها .. وانما انحنت صوفيا لها ، وكأنها تتلمس رضاءها .؟

ومن جديد جلست أتأمل الثالوث الذى أمامى .. وأبدأ حديثى مع صوفيا لورين ، لانتهى منه ، ونتابع السهرة • وتهم صوفيا .. ونحن نخرج من الفندق .. على أن تتقدمها الزا ماكسويل : مقدمة ٥٠ فى المائة من شخصيات مجتمع العالم .. !!



بدأت أعرف حياتى بعد الـ ٨٠ !

■ .. أشهر استاذ باحث فى تاريخ ولغة الامــة العربية فى أمريكا .. قابلته مكسور الذراع !!

ذراعه اليسرى مشدودة بلفائف بيض .. وقد علقت الى رقبته .. يخبئها تحت سترته البنية .. مسندة الى قميصه الابيض (الاسبور) بلا ربطة عنق .

وهكذا قابلت ورأيت وتحدثت مع العالم المفكر اللغوى المؤرخ : فيليب حتى (٨٤ سنة) .

اذا تحدث فعلم ومعرفة على لســانه الذى ينطق العربيــة أغلب الحديث ، والامريكية أحيانا .. واذا سكت ــ وهذا قليل ــ فالابتسامة تعلو شفتيه !

واذا أردت أن أصــفه : فهو رجل بسيط بلا تكلف ولا خداع ولا مكر .

سألته عن ذراعه وكيف انكسرت ؟

قال : .. كنت استحم حيث أقمت فى فندق بالقرب من البحر الميت ، فتزحلقت وانكسرت كتفى .. وأعتقد أنها ستعود الى حالتها الطبيعية بعد شهر .

وعن اسمه « حتى » ، وهل هناك فتحة على حرف الحاء أم كسرة تحتها ، ومن أين جاءت التسمية ؟ .. قال :

.... ــ ينطق اسمى بالكسرة . أهلى من شــمال

لبنان . عاشوا فى بلدة : « حدث » بالقرب من بشرى حيث ولد جبران خليل جبران . واعتقد أنه مع الزمن تحولت « حدث » الى « حتى » .

... ...

وفيليب حتى .. كان يزور القاهرة ، ومعه مارى زوجته الامريكية اللبنانية الاصل ، على رأس أعضاء من جمعية هو أحد مؤسسيها، هى « جمعية أصدقاء الشرق الامريكية » ... فى جولة يقومون بها حول شمال افريقيا والشرق العربى ، بدأوها بأسبانيا ثم المغرب وتونس وليبيا .

والبعثة مكونة من ١٦ عضوا بينهم طبيبان ومحام ورجل دين ورجل صناعة وبعض السيدات المشتغلات بالمسائل النسوية .

والمقصود من رحلتهم ان يتعرف كل منهم الى زملائه العرب فى مهنته التى تخصص فيها .

وثمة شىء آخر يربط المؤرخ فيليب حتى بالقاهرة .. فهنا تعيش ابنته الوحيدة « فيولا » وزوجها ويندر وحفيده فيليب .. وقد جاءوا الى هنا فى بعثة علمية عربية .. وزوج ابنته ويندر كان تلميذا له ثم اصبح استاذا فى جامعة برنستون .. أى زميلاً له — بعد أن ترجم يوميات نائب فى الارياف لتوفيق الحكيم — وفيليب حتى أستاذ منذ ٣٤ سنة فى هذه الجامعة للآداب السامية..

وكان هذا أول كرسى فى جامعات أمريكا للاهتمام بآداب وتاريخ المنطقة العربية ولغتها .

قال لى فيليب حتى : .. أن أحدا فى أمريكا لم يكن

مهتما بالدراسة الموجهة الى الشرق العربى حتى بداية عهده بالتدريس هناك، وأن هذا الاهتمام زاد بعدالحرب العالمية الثانية ٠٠ ولهذا فان جامعة برنستون كانت هى الرائدة الاولى فى ارساء العلوم الاسلامية والعربيــة خاصة .. لأنها لم تكن فى بداية هذا القرن الا دراسة ملحقة لتفهم العبرانية أو للمقابلة اللغوية أو لفهم العهد القديم من الكتاب المقدس .

وانه ما زال يذكر كيف قدم طالب علم فى جامعة هارفارد رسالة للدكتوراه عام ١٨٨٨ وأورد فيها بعض كلمات عربية . ولكنهم لم يجدوا فى هذه الجامعة وقتئذ أحدا يعرف معنى هذه الكلمات .

ولهذا فمن أمنيات : فيليب حتى ، الذى ألف نحو ٠ اكتب تاريخية اجتماعية حول العرب ، أن يرى دائرة للعلوم الاسلامية والعربية فى يوم قريب فى أمريكا بالانجليزية ، حتى يعتمد عليها ويلم بها الباحثون .

ثم أخذ : فيليب حتى يتحدث عن تقدم العلوم العربية الآن واتصالها بالفكر الامريكى فى أغلب الجامعات هناك .. حيث تدرس التركية والعربية والفارسية .. وكيف ان هناك أساتذة أصبحوا متخصصين فى الاقتصاد السياسي والاجتماعى بالشرق الاوسط ٠٠ كما ان فى جـامعة برنستون أستاذا للشريعة الاسلامية .. هو : د. فرحات زيادة ، الفلسطينى .. كما أن فى هذه الجامعة ما يزيد على ١٠ الاف مخطوط عربى قد لا يكون لها مثيل فى جامعاتنا العربية .. وهناك مطبعة عربية أيضا فى جامعة برنستون أخرجت العام الماضى ٢٠ مؤلفا آخرها « أطلس جغرافى للتاريخ الاسلامى » .

واسأل : فيليب حتى عن آخر كتبه ، فيقول :

.... ـــ انى أراجع الآن « بروفات » كتابى « الشرق الأوسط فى التاريخ » ، وهو يجمع المنطقة العربية تركيا وبابل والفينيقيين فى العالم القديم والحديث ، وسيكون فى ٨٠٠ صفحة . أما آخر كتاب صدر لى فكان فى العام الماضى . عندما تآمر على بعض المتخرجين من تلامذتى منذ ٣ سنوات .. ووضعوا تاريخ حياتى وأبحاثا لى .. تحت عنوان « عالم الاسلام » .

ويسكت فيليب حتى قليلا .. ليقول لى :

.... ـــ هل أسألك بدورى : كم يبدو عمرى ؟

قلت له : .. فى الستين .

وأخذ فيليب حتى يضحك .. وهو يقول :

.... ـــ انى اعتبر أبناء الستين أولادا لى .. ان الحياة لا يتذوقها أحد الا بعد الثمانين . وأنا سعيد بحياتى ، لانى أعرفها منذ ٤ سنوات !!

□ □ □

معجزة توفيق الحكيم مع نجيب محفوظ !

■ ٢٠٠ رأس بشرى وكأنها ٢٠٠ مكتبة أدبية فنية قد علت وارتفعت فوق أجساد ٢٠٠ مدعو ومدعوة امتدت سواعدهم وراء كل دفع أدبى فى مصر . ووراء كل نهضة أدبية فنية تقدم شعلة الفكر على صفحات الادب . على صفحات كتاب . على خشبة مسرح . على شاشة سينما . على موجات الاثير ليعلنها الراديو أو تطبعها شاشة التليفزيون .. اجتمعوا كلهم بين جدران أربعة بدعوة من ((الاهرام)) للاحتفال بعيد ميلاد الروائى نجيب محفوظ الخمسينى . وكان ذلك منذ ٩ سنوات مضت .

ما زلت أذكر حتى تفاصيل الصورة التى مر عليها ٩ سنوات ، وكأنها حدثت أمس .

وسطهم جلس نجيب محفوظ من وراء نظارته السوداء — يتطلع ويبتسم ويرحب بمن جاءوا يرحبون به — وحسنته من ذات الالون تتطلع على خده . والى يمينه أم كلثوم ومحمد حسنين هيكل ويوسف السباعى وفتحى رضوان ومندور وعزيز أباظة والى يساره توفيق الحكيم وأمينة رزق وحسين فوزى ومحمد كريم وأمامه جلست د . بنت الشاطىء بين لويس عوض ويوسف ادريس .
ووسط بساطة البهجة وصدق الفرحة وحلاوة اجتماع البعيد بالقريب .. وقف د. لويس عوض . وفى يده

ميكروفون . وفى فمه كلام . فتحـــدث عن المؤسسة الكبيرة التى هى ((نجيب محفوظ)) ، وقال انه كان أول من نقد أعماله . لكنه كان أيضا أول من يصفق له فى عيد ميلاده . وضـــحك نجيب محفوظ . واهتزت يداه تصفقان مع ١٩٨ أديبا وفنانا وناقدا .

ثم وقف فتحى رضوان ، يتحدث ضاغطا كل حرف من كل كلمة وكأنه يؤكدها . فقال أن نجيب محفـــوظ رفض احتفال وزارة الثقافة به منذ ٥ سنوات لان المديح يعذبه .. ثم طالب فتحى رضوان راجيا من حاضرى الحفل أن ينهالوا على ن. محفوظ بالمديح حتى يقتصوا من رفضه القديم الذى حرم محبيه من الالتقاء به .. ثم قال فى أدبه .. كلمة جميلة وقف فيهـــا الى جوار اللغة العامية . قال ان نجيب محفوظ قد كسب كل هذه الارض فى قلوب الناس لانه منح لغته العربية كل بلاغة اللغة العامية .

وتحرك على أحمد باكثير ، ليقدم قصيدة من شعره . مهد لها بأن الاحتفال بنجيب .. قد أعاد ملكة الشـــعر الى بنات أفكاره .

ثم قدم : محمد حسنين هيكل : باسم ((الاهـــرام)) كأسا من الفضـــة هدية الى نجيب محفوظ . وناولهـــا د. حسين فوزى الى توفيق الحكيم الذى قدمها بدوره

وفجأة . حملقت ٤٠٠ عين . منها ٣٩٨ عينا الى توفيق الحكيم . الى ذراعه وهى تمتد ليدسها فى جيب سترته الداخلى . وعينا توفيق الحكيم تحملقان وراءها فى اللفة الصغيرة جدا التى أخرجتها أنامله من جيبه ... ويحلها . ينفض ورقتها ، فاذا بصينية ((ميكروسكوبية))



□ .. ت. الحكيم والمفاجأة اللامعة !

من الفضة ناولها الى نجيب وكلماته تختلط بابتسامته ليقول للجميع ملوحا بالصينية فى الهواء حتى يتمكنوا من رؤيتها !!! ((هذا من حر مالى .. والله ! مش كـده والا ايه ؟ ! أى والله من حر مالى صحيح)) . ويحتفظ بها نجيب وهو لا يكاد يصدق عينيه . ثم تابع ت. الحكيم قـوله بأن .. أدب نجيب محفوظ معجزة لا تتكرر لانه استطاع أن ينتزع منه هذه الهدية ؟ !

وكانت لحظة سعادة ..

ووقفنا نجيب محفوظ ، وتحدث فى ختـــام الحفل . وشكر . شكر المـاضى والحاضر . حنى رأسه فى عيد

ميلاده الخمسين لاساتذته الذين قال أنه تعلم منهم .

وتحدث باختصار عن تجاربه فى الثقافة وقراءته للادب القـــديم والشعبى وتاريخنا . وقال ان أهم شىء بل أخطر شىء للكاتب هو : الا يخون ضميره ، وأن يقول كلمة الحق فى عصره ، وأن يستفيد من جو الحرية الذى كفله الميثاق وأطلق حـــرية الكلمة فى كل صورة من صورها .

لم ينس نجيب محفوظ أن يشـــكر أم كلثوم التى نعم بصوتها جيل كامل ، ولم ينس أن يشكر الحكيم على المعجزة التى وقعت فعلا من اهدائه الصينية الفضية ، واكد ثقته من أن هذه المعجزة لن تتكرر لان توفيق الحكيم الفنان العظيم لا يكرر نفســه أبدا !! ..

... ...

□ وبعد عام بالضبط .. سيبلغ كاتبنا نجيب محفوظ الـــ ٦٠ .. ترى أى مفاجأة [يحوش] لها من الان .. كبير روائيينا توفيق الحكيم !!



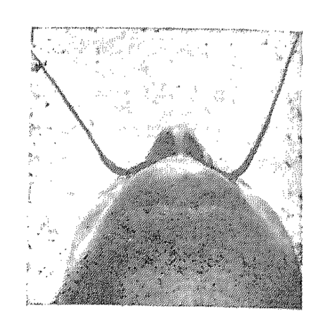
أنا أعظم من بيكاسو !

■ .. على قمة الفن العـــالمى المعاصر يجلس الآن بيكاسو [٨٩ سنة] وهنرى مور (٧٣ سنة) والى جانبهما يقف على ذات القمة : سلفادور دالى [٧٠سنة] حائرا .. لا يجد مقعدا يجلس عليه . هل يقعد على أرضية القمة !! انه زائغ العينين يبحث عن مقعد ثالث . أنه على القمة فعلا ويريد أن يتربع عليها ويستريح . هل يقوم ويضع مقعدا لنفسه .. وهذا سيأخذ بلا شك وقتا منه .. ماذا يفعل اذن ؟ هل (يزق) واحدا من العبقريين الخالدين ليجلس بدلا من أحدهما . اذن فليكن هذا .. !!

و (هذا) هذه هى مشكلة سلفادور دالى ووضعه على القمـــة ..

ولنرجع الى الصـــورة . صورة القمة . لازيد من ملامح أصحابها :

بابلو بيكاسو ــ شيخ الفنانين عمرا وفنا .. يجلس بكل عبقريته التى ترفعها دماؤه الاسبانية الروسية .. والتى تبدد بعض جوانبها وكأن نوعا من الشعوذة قـــد يلازمها اينما كان صاحبها بيكاســـو مقيما حيث أراد فى باريس أو عند نيس وكان .. مطلا من جنوب فرنســا على أمواج بحرنا الابيض زائرا لاسبانيا عندما يشـــده الحنين الى مسقط رأسه .





المثال هنرى مور .. فى كل بروده الانجليزى .. يقبع بعيدا عن الناس والمجتمع فى بيته الهادىء فى ريف لندن تحت غيومها .. ينحت وينحت وينحت ..

وثالثهما الواقف الحائر الزائغ العينين الاسباني : سلفادور دالى .. وقد رسم نفسه بشاربيه العموديين الطويلين [يفتلهما] و [يبرمهما] وكأنهما خطان متوازيان يقسمان ملامح وجهه ويحيطان فى حرص وبلا التواء بأنفه .. وتكون النتيجة ٣ خطوط رأسية بين عينيه وشفتيه ..

وسلفادور دالى لا يستقر مع ذلك فى حياته فقد اتخذ من نيويورك مشتى ومن أسبانيا عند بورت ليبيت فى جنوبها مصيفا .

... ...

كان لابد من هـذه المقدمة السريعة .. حتى يكون

هناك معنى لكل ما جرى فى نيويورك بينى وبين سلفادور دالى :

.. وسـط الزحام .. زحام حفلة افتتاح فيلم « د. زيفاجو » فى دار سينما لويس كابيتول فى نيويورك .. رأيت رجلا أشبه بالسيريالية المرسومة : .. وكأنه من عالم آخر : .. شعر رأسه الطويل أطلقه مسترسلا على الجانبين يكاد يلمس كتفيه . شارباه العموديان . صديريته المزركشة مختلفة الالوان المذهبة : وكأنها سجادة منمقة بالزخارف من الشرق البعيد . سترة بدلته الطويلة المشقوقة من الخلف .. ثم عصاه السوداء الرفيعة الطويلة ذات المقبض الذهبى الافقى المتعامد مع العصا .. أنه لا يمسكها من مقدمتها بل أحيانا كثيرا من وسطها أو من نهايتها . ملوحا بها للكل دون أن يخص واحدا منهم .. ثم اهتمام زائد منه بالمصورين .. الذين يندفعون يعكسون ومضات أضواء آلاتهم يصورونه .. محتضنا زوجته مبحلقا فى هيستريا غريبة الى أى اتجاه دون اتجاه معين ! ؟

وانتهى التصوير .. ومشى نحوى . صائحا :

.... ـ أسبانى أم ايطالى ؟

قلت له : .. مصرى ..

وكانت بداية حديث وتعارف . وفهمت منه أنه يقيم معرضا لنحو ٣٠٠ من لوحاته هنا فى نيويورك سيظل مفتوحا على مدى ٦ أسابيع . وتواعدنا على اللقاء فى المعرض عند عودتى من رحلة الى الغرب عند مرورى ثانية فى نيويورك . حيث أنى فى

اليوم التالى مشغول بعدة مواعيد ، قبيل سفرى .

ويأتى اليوم التالى . لأذهب الى بهو الفندق العريق: سان ريجس ، وكنت على موعد فى السادسة مساء مع عمر الشريف وجولى كريستى .

وبينما كنت أتطلع فى البهو الى واجهات بعض المحال أتفرج على تنسيقها وما تعرض ، اذا بمفاجأة لقــاء . سلفادور دالى يدخل متجها نحوى . صـــائحا ـــ وكان الوقت مساء ـــ : .. صباح الخير . بونجور . جود مورننج ..

ضحكت . قلت له : . نحن فى المساء . ! قال : . لا يهم !!! لمـــاذا لا تجرى معى حديثا الآن ؟ .. تعال معى فى جناحى .

قلت له : أنا على موعد هنا بعد ربع ساعة .

قال سلفادور دالى : . اذن فلنجلس فى كافيتريا الفندق . ثم صفق ـــ والتصفيق فى الفندق العريق شىء يلفت النظر ـــ وهكذا أثار كل الموجودين الى وجوده .. ثم قال : أطلب ما تريد . « بول » : على حسابى ضع القيمة . واحد قهوة .

قلت لنفسى أنها فرصة لا أضيعها فى تفسيرى للرجل . وبدأت أوجه له ما تدفعه عفوية أسئلتى ..

وعن بيكاسو تحدثنا ..

قال دالى : نعم ان بيكاســو هو العبقرى الحى مع دالى ..

سألته مندهشا : .. مع من ؟ .. وكأنى لم أستمع اليـــه .

فاخذ سلفادور دالى يشير الى صدره فى عنف : . معى أنا . . أنا سلفادور دالى . أن بيكاسو كان منذ ٥ سنوات فقط هو الاول . وكنت معجبا به . ولكن صـــدقنى . . أنا أعظم منه . أنا عبقرى أكثر منه . لماذا ؟ . . لانى أنا دالى اصدق منه وأذكى !!

وبسرعة رشف ســـلفادور دالى ما طلب أن يشربه . ليتابع . . ان بيكاسو أصبح هداما وسلبيا .

ـــ وبين فنانى الماضى ؟ ميكل انجلو أم دافينشى أم رمبراندت ؟

ـــ لا . لا . فارمير ورافائيل . تقدر أن تكتب أن بين القدامى : رافائيل وبين المعاصرين أنا . . دالى !

ولم أضـــحك أو ابتسم وانما ظللت أتظاهر بالجـــدية كلهـــا !!

واعود لاسأله عن حياته فيقول : من الصعب الاحتفاظ باهتمام العالم أكثر من نصف ساعة ، ولكنى وفقت فى اجتذاب الاهتمام لمدة ٢٠ سنة . وذلك عن طـــريق اهتمامى بالظهور فى المجتمع . بالقاء المحاضرات . بالصحافة . فى عواصم العالم . . أعتقد أن عنصر النجاح الذى صادفنى يتكون من معادلة هى : الحيوية + حبى لزوجتى + الايمان المحرك . . ان فائض المال والشهرة عندى لا تأثير لهما على شخصيتى . ولم يدفعنى الى التفكير فى الانتحار . كما أثر على غيرى . بل بالعكس فان حبى للحياة يزيد الفائض ولا أتردد فى العمل على المزيد منه ؟

ثم مد سلفادور دالى يده وأخرج قلما للرسم من جيبه وشد غلافا كنت أدون عليه بعض نقطالحديث .. ورسم توقيعا فى حجم ظرف الغلاف الكبير . قلت له : ما هذا . قال : هدية منىلك بمناسبة الاعياد . قلتله : اذن لماذا لا توقع على ورقة أحسن . فنادى الجرسون وطلب منه ورقة من الفندق .

ووقع عليها من جديد . بنفس الحجم الكبير .

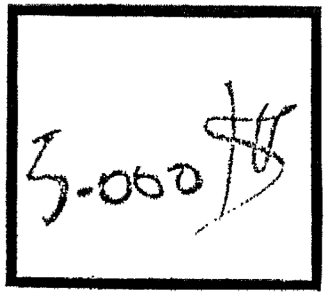
قلت له : أنت لم تزر بلدى . ولكنك قطعا سمعت عنه الكثير . عن حضارته . النيل . الاهرام . السماء الصافية ..

دالى ــ ماذا تعنى ؟

.... ــ قطعا بما لك من خيال واسع تستطيع أن تتصوره فى رسم صغير سريع يعكس تخيلك عن بلدى .. وسأضع (الاسكتش) فى قلب الحديث عند نشره .

دالى ــ أنا مستعد . أدفع ٥٠٠٠ دولار .

.... ــ ايه ؟ .. ماذا أسمع ٥ دولار



دالى ــ لا . أنا قلت (وهنا أخرج قلمه الحبر الضخم .. من جديد وأمسك الغلاف الذى أكتب عليه ... ليدون بسرعة الرقم الذى يطلبه ضاغطا لتحديده بـ (٥٠٠٠ دولار) ! .

قلت له : لنغير

الحديث . حتى لا آخذ فكرة أنك مادى بهذا الشكل .

.... — ما رايك فى هنرى مور ؟

دالى — .. أنه رجل انجليزى !

.... — واراجون ؟

دالى — أنه يملك اكبر قدر من الوصولية والانتهازية .. ولكنه لم يصل الا الى اقل القليل !

.... — وزوجتك حبيبتك : « جالا » .! ؟ هل هى زوجتك ؟

دالى — انها زوجتى مرتين . انى : أومن بالازدواج. كان لى اخ اكبر سماه والدى سلفادور . لما مات اطلقوا اسمه على . أنى أعرف نصف نفسى وأبحث عن النصف الآخر . أنى مرتين . ولهذا بعد أن تزوجت زوجتى على المذهب الكاثوليكى بعد أن طلقت من زوجها الشاعر الفرنسى بول الور .. تزوجتها ثانية منذ أسابيع على المذهب القبطى المسيحى .

.... — كم عمرك الآن ؟

دالى — ٦٥ سنة ! (وهو فى الحقيقة ٧٠ سنة) .. أنك تدهشنى يا صديقى المصرى . هل أنت صحفى . معلق صحفى أم بوليس . بوليس سرى ؟!

ثم بحلق فى بشدة .
وابتسم دون أن يضحك . وكأن فكرة هبطت عليه فجأة . ثم وقف وشد عصاه . مستأذنا : ٣٠ ثانية . دقيقة واحدة فقط يا صديقى وساعود اليك

ولم يمش . وانما بدا كأنه يجرى هاربا من قاعة كافيتريا الفندق .



□ .. شنب دالى وعيناه على « الجوكوندا »

وعاد بعد دقيقة واحدة . يلهث .. وفى يده كتاب . يبدو أنه اشتراه أو أخذه على حسابه من محل بيع الكتب من الفندق .

وبسرعة جلس . وبسرعة أخرج قلمه . وبسرعة فتح غلافه ليوقع من جديد بامضائه الكبير لا فى ركن الصفحة وانما على كل الصفحة الاولى منه .

قائلا : هذا كتابى هدية منى اليك .

وامسكت بالكتاب وقرأت عنوانه . ولم أتمالك أن امنع نفسى من الضحك هذه المرة . فقد كان عنوانه :

« يوميات العبقرى سلفادور دالى .. بقلم سلفادور دالى » !! ؟

□ □ □

يتشقلب على اصبع واحدة !

■ .. سهرت فى السيرك الايطالى ((تونى)) .. وخرجت منه وأنا أردد : حقيقة أنه سيرك جيد .

وأنا أرى أمامى شابا يطلع فوق مقاعد متتالية عليها زجاجات فارغة .. مرصوصة فوق بعضها .. ثم يقف على أعلى فوهة زجاجة فارغة منها .. واضعا أصبعه عليها . ثم يضرب [بلانس] فى الهواء .. ثم يقف فى وضعه الشاذ الغريب طوال التصفيق الحاد الذى يستمر ٣ دقائق وأنفاسه تستريح مع الهلع .. رأسه الى أسفل وقدماه مطلتان على السقف !

ان الطفل فى كيانى كان يتحرك ويصفق لمتعة الشقاوة والشقلبة التى أراها ..

والشباب فى عروقى كان يجعلنى أتابع مغامرة تونى عندما كان وحيدا بين ثمانية أسود أو ثمانية نمور .

والفن فى دمى كان يتفلسف وراء وجـوه المهرجين المرسومة فى تعـبير ضاحك .. وكنت أسـأل نفسى وصاحبى عما وراءهـا من هموم . ! انها تمرح لمجرد المهنة ومتعة الاخرين .. ومـع الفلسـفة تصورت السيرك قد امتلا بالحيوانات وهي تتفرج على بنى آدم

داخل القفص .. وقد وقف مروض حيوان يدربه على حركات القفز والخضوع والجرى وضرب : تعظيم سلام!

وفى مناقشة كان يتجاوب بها العقل اقتنعت بأن الانسان استطاع بذكائه أن يروض أقوى الوحوش .. لا عن طريق القوة .. ولكن بالاقناع و ((المحايلة)) .. وعن طريق التدليل أحيانا !

انها وجوه تمرح من أجل متعة الاخرين .. انها تسخر من نفسها .. وتسخر من أنوفهم المدهونة بالاحمر .. لارضاء من دفع ثمن تذكرة .. ثمن القوت الذى سيصرف على الاولاد !

+++ +++

ألا ترى معى أن الحياة نفسها .. سيرك كبير ! .. حيوانه الاكبر هو : .. الانسان . ؟

اللهم ارحمنى من صديقى الانسان .. أما عدوى .. أعدائى الحيوانات .. فأنا كفيل بترويضها ؟ !

□ □ □

هرم .. فى قلب روما !

■ .. هل تتصور .. أن فى عاصمة ايطاليا .. هرما يرتفع ٣٠ مترا !!!

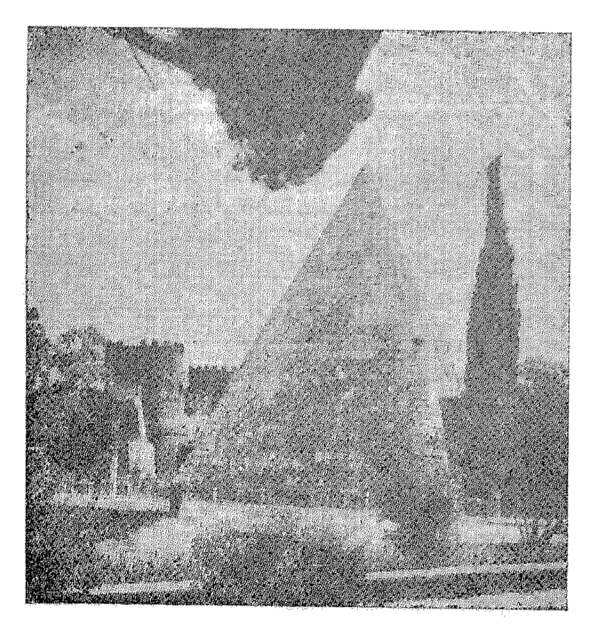
ان كتابا واحدا من كتب التاريخ المصرى ، لم يتناول هذه الحقيقة ... حتى ولو من باب العلم والمعـــرفة والمعلومات العامة .. والفن المعمارى المقارن حول انتشار فكرة وطراز مبانى الهرم .

فمن المعروف أن فى شمال الســـودان . هريمات صغيرة قليلة نشرها الفراعنة هناك كمدافن لهم ، فى العصر المصرى المتأخر .

وفى المـــكسيك .. أهـــرام .. تختلف وظيفتهـــا المعمارية عن أهرامنا الثمانين . فالهرم فى مصر مقبرة الملك أو ملكة خلال الدولتين القديمة والمتوسطة . أما فى المكسيك فأهرامها معابد . للقمر وليست للشمس مثلنا ! وهذه أقيمت بعد أن توقف الفرعون عن اقامة أهرامنا بأكثر من ألف سنة ..

ولكن الهرم فى روما .. لم يكن مجرد منظر قائم .. أو تذكار . انه مقبرة لحاكم روما .. كان قد أعجب بأهرام مصر فأراد أن يقلدها . فبناه ودفن فيه . . وللموضوع كله حكاية وقصة ترجع الى عصر كليوبترا وقيصر وآنتونيو !!

فبعد أن اتجهت أطماع روما الى مصر ·· يوم كانت كليوبترا [السابعة] على عرشها ·· وبعد أن صالت وجالت بدهائها وجمالهـــا بين قادة الرومان ···· واندفعت قصص الغـرام تحكى تحت صليل السيوف



☐ .. انك ترى هذا الهرم و ١٢ مسلة مصرية فى قلب عاصمة ايطاليا

ولمعان الخناجر .. بدأت كلمة مصر ومدنيتها وشكل آثارها التى يحيط بها الغموض .... وهى الاثار .. التى كان أهل روما يتناقلون عنها الاساطير وكأنها أعجوبة لها أسرار ، تنتشر مع مدنيتهم .. وهكذا .. أصبح بناء الهرم فى روما أشبه بتقليعة أو موضة العصر.

وكان اول وآخر من فكر فى بناء هرم من أهالى روما .. « كايوشسيتو » أحد كهنتها السبعة الذين كانوا يعدون مراسم العشاء الربانى (الوثنى) فى الاعياد ، وهو نفسه الذى أصبح حاكما فى روما عام ٤٤ قبل المسيح اى فى السنة التى قتل فيها بروتس ربيبه وصديقه يوليوس قيصر الذى خفق قلبه حبا وغراما بكليوبترا فتزوجها وأنجب منها !

وبعد أن ماتت كليوبترا منتحرة على هزيمة صاحبها وزوجها الرومانى الثانى آنتونيو : خليفة قيصر زوجها الرومانى الاول .. فراحت تمسك بالافعى بعد أن ران اليأس على فؤادها .. قالوا لها أن : أوكتافيوس (أغسطس) غرس الموت فى عنق آنتونيو حبيبها وزوجها الغالى ووالد ولديهما التوأمين : اللذين كانا زينة حياتهما بعد أن أسمياهما : « الشمس » و « القمر » .. أو (هليوس) و (سلينى) .. ودانت روما لاغسطس سنة ٣٠ قبل الميلاد. تأثر «كايوشسيتو» بثقافة الفراعنة . وكان أغسطس من روادها ودعاة فنها . وهكذا أخذت الفنون المصرية ولا سيما العمارة تتركز فى أرفع الاوساط الفنية فى روما . فى فترة كانت العقلية الرومانية المرهفة قد سئمت فيها الثقافة والفنون الاغريقية ..

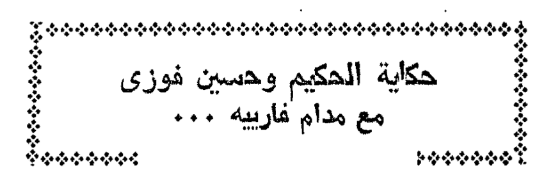
وهكذا شيد كايوشسيتو هرمه — على مقربة من بوابة باولو — من الطوب ، وغطاه بالرخام (زوايا هرمه أكثر انفراجا ٥٦٥) من زوايا هرم الجيزة الاكبر بأربع درجات . ولما مات سنة ١٢ قبل المسيح ، دفن فى احدى حجراته .

مر الزمن .. وتغيرت الدنيا .. وبدأ الهرم يتأثر بعوامل الطبيعة والعواصف والمطر ، فرممه البابا الكسندر السابع فى القرن الثامن عشر الميلادى .

ومر الزمن مرة أخرى .... واذا بشعراء وكتاب وفنانين غرباء عن أهل روما ... يدفنون فى مقبرة خاصة بهم على بعد خطوات من هرم ((كايوشسيتو)) ... ومن بينهم رأيت شاهدى الشاعرين البريطانيين : جون كيتس وشيللى .

انه التاريخ !





حكاية الحكيم وحسين فوزى مع مدام فارييه ...

■ .. توفيق الحكيم . رفيع القوام . شعر رأسه كثيف أسود شقى يتمربد على طاقيته [البيريه] الزرقاء التي يحاول أن يضغطه بها فيهرب خارجها — فى شقاوة — على جانبى رأسه !

وتوفيق الحكيم ، بلا عصا فى يده ، ولا نظارة فوق عينيه .. يقف فوق سلم خشبى مزدوج .. بالقرب من حائط . يمد يده الى رف مرصوص عليه عديد من الكتب .. وفجأة يزعق عليه شاب مصرى أحاط عنقه بفيونكة ضخمة كرباط العنق ، فلا يستمع اليه . فيشده من بنطلونه ليقول له : ((انت بتهبب ايه هنا ؟)).

الحكاية كلها بداية رحلة صداقة عمر .. بين الشابين : توفيق الحكيم ، و د. حسين فوزى .. بدأت منذ ٤٧ سنة !!

والآن تجمعهما رحلة أخرى . فعلى الفندق العائم ((ايزيس)) يقومان لاول مرة برحلة عبر النيل . الى الصعيد . مع ١٣٦ مسافرا بينهم المطربة الفنانة : شادية .

وفى منتهى الصراحة يحكى توفيق الحكيم وحسين فوزى ذكرياتهما .. كيف سأل الحكيم : حسين فوزى أن يغنى . ثم رجاه أن يصمت ؟ ! . وكيف استدان ح.





الطبيب يصبح كاتبا   الحكيم يصبح مؤلفا

فوزى من الحكيم . ؟ والنظارة التى صنعها فوزى للحكيم وبقيت ٣٠ سنة فوق عينيه ؟! وبماذا يتفاعل الحكيم . ؟ ! وكيف توسط الحكيم عند كامل الخلعى ليلحن أوبرا ((ليلة كليوبترا)) من تأليف ونظم د. حسين فوزى ؟ !

ومن هى ((مدام فاربيه)) التى عرفها الحكيم وفوزى فى باريس ؟!! ولماذا ترك حسين فوزى مهنته كطبيب عيون ليصبح سماكا . ؟ ! ثم أديبا .

ولكن متى كان هذا الكلام كله ؟ وأين ؟.

ان للسطور حكاية . بدأت مع .. بداية رحلة : ..

□ أضواء الفجر ، بدأت تزحف على أجواء القاهرة ، وسكانها [٥ ١/٢ مليون نسمة] يضعون نهاية لاحلام الليل وينهضون . ان اليوم عيد . وما اكثر الحركة والتهانى . أن ١٨١ منهم يحاولون أن يدبروا أمرا . وما زالت غلالة شبورة الفجر تهيم فوق العاصمة .



☐ .. الحكيم يخاف البرد والبلل ؟

تهيم فوق ٢٠٠٠ مئذنة و ٤٠٠ برج كنيسة وكأنهـــا أيد تدعو وتبتهل الى السماء .

ان ١٣٨ بدأوا يحزمون حقائبهم ، ويودعون اهلهم. اذ سيغيب كل منهم على الاقل اسبوعين عن القاهرة. ومع الساعات الاولى للصباح .. يتجهون فى‌سياراتهم الى شاطىء النيل .

والى الشاطىء أيضا تتجه « ايزيس » ، أحدث مركب سياحى ضخم ، وعليها طاقمها المكون من ٤٠ ضابطا ومهندسا وملاحا وفندقيا وطباخا .. بداوا رحلتهم قبل من سيستضيفونهم بعد لحظات الى سفينتهم . اذ اضطروا ان يبحروا قبلهم بمساء حتى ينفذوا من كوبري الجامعة والروضة .. ليرسوا عند شاطىء جزيرة الروضة . الوجوه كلها مبتسمة . بدأ الـ ١٣٨ الذين انتظروا بعض الوقت عند الشاطىء فى انتظار نزول المرساة .. بدأوا يتدفقون . خليط غريب من الناس . الجنسيات . النساء . الرجال . الصبية . الافكار . المهن .. حتى حامل اللبن الحليب كان له نصيب بينهم . ان اللبن الطازج يجب ان يكون على المركب . ان ٥ اقساط ضخمة حملها العمال بين الركاب ودخلوا بها من المدخل الرئيسى للمركب المكيف الحديث جدا . شىء من هذا لا يحدث على مراكب الراين أو التايمس . ؟ !! **ولكن الكل سعيد . أغلب الناس يتجه بأنظاره الى حسناء بين المسافرين . هل هى : الفنانة شادية ؟ .. نعم . ثم الى رجلين سارا خلفها تماما .. توفيق الحكيم يحمل عصاه فى يده . وأفكاره داخل رأسه . ونظرة شاردة وراء زجاج نظارته .. ثم زميله فى الرحلة الاديب د . حسين فوزى . يحمل كتبا تحت ابطه ، وابتسامة بين شفتيه ، وسماعة عند أذنه .**

بقيت دقائق على قيام الرحلة . الكل يذهبون ليسجلوا أسماءهم ، الا توفيق الحكيم ، الذى ينسى ، فيقوم بالمهمة بدلا منه . د . حسين فوزى .

... ...

ويضحك توفيق الحكيم ملء شدقيه وهو يرى محمد يوسف كبير مصورى « الاهرام » وزميلنـــا الصديق عدلى جلال .. ليقول له : د . حسين فوزى : « دى



☐ .. رحلة عمر حتى فى ممر المركب .

المسألة كبرت وبقيت جد . يعنى هو ضرورى حكاية التصـــوير دى . ويا كمال انت بقيت مخـــرج كمـــان والا ايه لا » .

ويدخل توفيق الحكيم حجرته . ولكن د . حسين فوزى يختفى فجأة داخل كابينته التى تجاورها . وبعد ثوان يخرج منها ليجلس معنا ، بعد أن خلع سترته ليضع رداء البحارة على صدره .. ويحاول الحكيم أن ننتقل جميعا الى حجرة د . **فوزى** لنشرب قهوة !! ويضحك .. ولكنا نستمر فى مجلسنا ، حيث يتأمل الحكيم المركب من الداخل ليقول :

.... — حاجة عظيمة والله !.

واسأل الحكيم عن آخر مركب ابحر عليه . ؟

ويرد الحكيم :

.... — سنة ٤٩ رحت أوربا برضه للتصييف لاشوف حصل لها ايه بعد الحرب . الطيارات كانت لسه مش قوى . ركبت المركب من اسكندرية الى مارسيليا . لكن بعد كده خلاص . ودعنا حكاية المراكب والحاجات دى .

.... — يعنى مابتخافش من السفر بالطائرة ؟

.... — «والله دى آخر مرة» كلمة بأقولها كل مرة .. ولكن بعد كده الواحد برضه بيطير !! دى زى حكاية السجائر . الواحد يقول حيبطلها .ولكن ! .. والا ايه؟ يعنى ايه . ؟ . خطر لابد منه !!

ثم فجأة يتطلع الحكيم الى صديقه حسين فوزى ليقول :

.... — هو عمل : بحار . ناوى يبدع .. راجل بحار قديم . مش كده .؟ . وانا راجل لا لى فى البحر ولا فى البر !! على كل حال أنا اشترطت وجود حسين ..

اولا : لانه بحار ، وثانيا : طبيب . وانا محتاج لطبيب في الرحلة . وينفع فى حالة وقوع حاجة للمركب .. لاسمح الله .

ويشترك حسين فوزى فى الحديث ليقول :

.... — صح والله ياكمال ، مافيش حد ياخد باله من صحته زيه .. أنا أحس بحالته . ده صديق أكثر من ٤٧ سنة !

.... — لكن الصداقة دى جت ازاى ؟ ومين اللى بداهـــا ؟

الحكيم : .. من سنة ٢٤ كنا نشوف بعض من النظر . بعيد كده فى تياترو الازبكية بالقاهرة .

د . فوزى : .. هو لسه طالب فى الحقوق ، السنة النهائية . وأنا متخرج حديثا ، من مدرسة الطب .. وتقابلنا تانى فى سنة ٢٥ فى باريس . فى ظــــروف تندهش لهــــا . عجب جــدا . بادخل مكتبة ناحية تياترو الاوديون ، مشهورة بكتب المسرح . بصيت لقيت واحد [مطرطر] فوق السلم . شديته من بنطلونه . قلت له مبتسما : ((انت بتهبب ايه هنا ؟)) . أقوم ألاقى توفيق اللى واقف على السلم الخشب . بص لى وقال لى مازحا فى مفاجأة وضحت على ملامحـــه : ((وانت كمان بتعمل ايه هنا ؟ . أنا أصلى ايه .. بادور على كتاب عاوزه)) !

.... — لكن ايه وداك على باريس ؟

د. فوزى : .. اشتغلت بعد تخرجى سنة جـــد

كطبيب رمـد فى مستشفى الرمد الاميرى بالجيزة ثم روض الفرج . وودونى طنطا الاميرى . وبنهـــا . وبعدين [زمت] على البعثة ، الاحياء المـائية . قالوا لى بغى تسيب الطب علشان تشتغل .. سماك . !!؟

وربما تندهش أكثر أنى أبحرت الى أوربا على الباخرة ((الجنرال مستزنجر)) ، وكنا ٣٠ طالب بعثة . وهى

.... ـــ ولكن ايه ظروف أول رحلة لك ؟

الحكيم : .. كان سنى ٢٤ ســنة . كنت خلصت ليسانس الدقوق . ورحت لاعمل دكتوراه فى جامعة باريس . طبعا معملتهاش !! انشغلت بالادب والفن .. ولكن أحب أحكى من ناحيتى ظروف لقائى أول مرة مع حسين فوزى .. كنت باعمل روايات عند عكاشة . جوق عكاشة ، يعنى . أنا كنت فى الليسانس . كتبت أيامها روايات : ((العريس)) ، ((خاتم سليمان)) ، ((المرأة الجديدة)) . وهو كان عامل رواية أوبرا اسمها ((ليلة كليوباترا)) .. كان داخل بيها مسرح الازبكية . وعهد بتلحينهـــا الى : كامل الخلعى اللى كان بيلحن مسرحياتى .. وأيامها علمت أن الخلعى رفض تلحينها لان نظمها لا يوافق طريقة تلحينه ، فأخذت الرواية من الخلعى لاقرأها ، فوجدتها ممتازة جداً من ناحية النظم . وان كان كاتبها ينحو نحوا جديدا لا يساير الشـــعر التقليدى الذى اعتاد عليه الخلعى .. فاشتقت أن أرى المؤلف لاعجابى بالمسرحية .. وفى يوم كنت مع داود حسنى .. وقد انتقلت اليه المسرحية لتلحينها ، فمدحتها له . وقلت أنها أعجبتنى كثيرا ، ويجب أن يوليهاعنايته .. ثم سألته هل تعرف مؤلفها ؟ . .واذا هو يشـــير

بالصدفة الى شاب مقبل علينا من بعيد ، يلبس رباط العنق الفيونكة [شنيطة كده] كرافت فالبير . يعنى فنان كده !!

.... ـــ كان لونها ايه ؟

الحكيم : .. اسود . ولكنه بعـــد كده اختفى عن انظارنا !! .. ولا أدرى أين اختفى حسين فوزى .. الى أن ذهبت الى باريس فى سنة ٢٥ .. فاذا هو قد حضر فى بعثة . وبالطبع تلاقينا هذه المرة ، لقاء حقيقيا .. وقلت له أنا قد أعجبت برواياتك الاوبرا .. ولكن مع الاسف سافرت الى أوربا ، الى باريس ، قبـــل أن اشاهدها على المسرح وأسمع ألحانها . فهل تستطيع أن تغنى لى بعض ألحانها . لاتعرف عليها ؟. **فاذا هو يترنم بلحن لم أعرف له رأسا من قدم . !! لانه والشهادة لله .. فى مسألة الغناء .. ايه . !! أهى .. [يضحك توفيق الحكيم ويضحك معه حسين فوزى الى جانبه] .. ولكن فى الموسقى .. فى الكمان : كان .. حط وحياتك [كان بارعا !!] بين قوسين كده .. وعندما نزلت فى بنسيون فى باريس .. كانت صاحبته تجيد العزف على البيانو والغنـــاء .. وكنت أنا قد بدأت أتذوق غنـــاء الاوبرا والاوبريت .. فكنت أحضر صديقى : حســـين فوزى بكمنجته ـــ كده ـــ ليعزف .. آه يعزف مصاحبا صاحبة البنسيون .**

.... ـــ مين فيكم كان صاحبها ؟

الحكيم : .. دى قد .. جدتنا . ستنا . !!

د . فوزى : .. بصراحـــة كانت عجـــوزا [غير شمطاء] ؟؟ !

الحكيم : .. من الستات اللى يعملوا كحكة فوق راسها . كانت ست شمالية .

د . فوزى : .. كانت بتحب توفيق الحكيم !

.... — يا ترى اسمها ايه ؟

وهنا يحاول توفيق الحكيم ان يتذكر لمدة ثانية .. ويهتف باسمها :

.... — مدام « فارييه » ..

ويتابع توفيق الحكيم ذكرياته :

.... — وبالصدفة كان صديقى : حسين فوزى هو اول من صنع لى نظارة باعتباره طبيب رمد . اذ ذهبت الى محل نظاراتى بجوار تياترو الاديون فى باريس .

قال لى صاحب المحل : .. تعال نقيس نظرك . فقلت له : انا جايب طبيبى الخاص المجانى معايا . !!

.... — يعنى من أيامها حكاية [البلوشى] . ؟

الحكيم [يضحك] : .. وفضلت النظارة فى الواقع ٣٠ سنة مما يدل على براعة الدكتور .. الدكتــور حسين فوزى . مش كده والا ايه .. آه .. فانت مع حسين تجد فيه كل الفوائد .

.... — وانت يا دكتور .. مافيش حاجــة فاكرها فيها توفيق الحكيم . يعنى أنا شايف لغاية داوقت انه هو الرابع على طول الخط من صداقتكما .

د . فوزى : .. لا .. ازاى .. ده هو الوحى فى كل حياتى الادبية . لانه حقيقة .. هــذه الشخصية

لازمتنى ٤٧ سنة . الراجل ده مش غنى ولا فقير .. وانما رجل يحاسب على فلوسه .. تصور ان توفيق .. يسلفنى .. عاوز أهم من كده . !؟!

الحكيم : .. أنا راجل معتدل !

د . فوزى : .. كان نفسى دائما ان ارى العالم .. وصممت على أن أشوف وأرى كورسيكا .. جزيرة الجمال .

.... – حيث ولد نابليون .

د. فوزى : .. بالضبط .. وعلم توفيق برغبتى وحاجتى للمال .. فسلفنى كذا الف فرنك قديم [يعنى ما بين ٥ جنيهات و ١٠ جنيهات تقريبا] .

الحكيم : .. وأعتقد أنه ردهم مع الفوائد المعنوية ؟! يعنى كان بيكتب لى خطابات دورية بانتظام عما يرى فى هذه العوالم .. وانا لسه فاكر جملة كتبتها لحسين فوزى .. أيامها .. اذ نصحته بان ينحو الى الادب بدل السمك ده .. فكتبت له : « ان قلمك [يتبول] ذهبا » !!

... ...

وفجأة رأينا من النافذة صياد سمك يجدف داخل زورقه الخشبى الصغير .. وسمك يلمع كالفضة يلعب داخل شباكه .. فقلت للحكيم :

.... – خير .. أنا أتفاءل بالسمك .. ترى بم تتفاءل أنت ؟

الحكيم : .. انفاعل .. ماعنديش الحكاية دى قوى. ولكن فى الحلم لمــا أشوف ((السمك)) طبعا فى الحلم أكون سعيد .. حتى لو كان مشوى أو مقلى . !!

... ...

وتمر سنوات .. شتاء ملتف يتعكز لاهثا . وراءه ربيع . متعجل ضاحك .. يفسح الطريق بالورد والزهر والرياحين وبعض من تراب وغبار يذره فى العيون . لا مانع بحجة الخماسين .. اصيف قادم يكاد يكون عاريا الا من الصبا والجمال ولفتات الأجساد المتحررة من كل ثقيل .. قبيل أن يثقله برد خريف أبيض الشعر : قادم ..

والتقى مع د . حسين فوزى مرارا .. ومرارا .

ومداعبــات يسمع نصفها أو منتصفها .. ويضحك لها كما يبتسم ويضحك للتى يسمعها . مع تقدير لفنه وادبه وسعة اطلاعه الموسيقى يلحظه ذكاؤه فى لمعــة عينى كلما التقينا . يغمز بعينه اذا ما رأى معى حسناء .. وفى ادب جم ينتحى جانبا . فلا وقت هنا للهزار . هكذا فهمت منه يوما عندما لاحظت تصرفه أكثر من مرة . يقول لى :

.... — أدب يا أخى . الاصول كده .

ثم يضحك ضحكته العالية .

أما لو كنت وحيــدا .. فياويلى . يستوقفنى بأية حجة . ومشاكسا متصابيا ، يداعبنى ، متضاحكا فى شقاوة الاطفال .. ثم يضع كف يده اليسرى وراء أذنه التى يضغط عليها من الخلف قليلا الى ناحيتى وكأنها :

بوق بيتهوفن .. حتى يسـاعد سمعه على الاستماع والانصات أكثر واكثر .. يسألنى : ايه الاخبار ؟

لحظتها أمثل الجـد كل الجـد .. واهمس مع الوقار بصوت لا أسمعه انا ، مخترعا حكاية . نكتة . وهو مصدق جدا ما أقوله له .. ثم أضحك عنـدما يسألنى فى منتهى الانشغال : ياه بقى كده . لا لا .. صحيح يعنى !!

ولا أدرى أى شىء صحيح فيما أقوله له .. الا أنها مداعبة ، ونتضاحك لهذا الهزار الذى [يستبوخه] بعد فوات الوقت . ولو تقابلنا بعد نصف ساعة يسألنى السؤال نفسه . واخترعت له دعابة أخرى أقولها له هامسا . لا يسمع كلماتى بالطبع . ولكنه يضحك لها عاليا . واذا ما استوضحنى عرف أنى أهزر .. ويثور

ومنذ أيام تقابلنا .

استوقفنى : .. ايه الاخبار ؟

قلت له هامسا : .. بدأت كتابا جديدا .

وبمنتهى الجد أمال يده اليسرى من خلف أذنه وقرب نحوى .. متسائلا :

.... ـ يعنى الحكاية حقيقى ..

قلت له :

.... ـ نعم .. أيوه .. وأنا أريد منك حديثا أضمه الى صفحات الكتاب .. عن الصيف .

وبدا على د . حسين فوزى .. أنه فهم من ملامحى

انى لا اهزر هذه المرة كما تعودت أناوتمود هو أن يمثل هذا الموقف كلما التقينا ..
وزعقت له .. قلت له :

..... ــ الصيف .. الصيف .. حكايات .. شقاوة .. حب : صيف .. حــديث .. يا دكتــور .. قلت لك هذه الحكاية مائة مرة ؟!!

ولم يضحك حسين فوزى ، العالم الموسيقار الاديب « السندباد » .. هذه المرة .. انما اعاد يده اليسرى مع ذراعه الى جانبه ، ثم مدها من جديد عالية الى كتفى.. ليقول :

.... ــ أيوه . أيوه . أنت تفكرنى الان .. غريبة . مرة واحدة كده .. أى والله . تفكرنى ببيتى شعر استوحاهمــا ((كارل أورف)) .. فى . كارمينا بورانا عن الصيف .. عندما قال .. قال .. يا سيدى . أيوه :

((على أبواب الصيف وقف الحب ترحيبا بنا
والارض أخرجت حبها حبا وهنا
وزهرات الصيف التى تختفى بقدومه هنا
ذوى عودها دون عطف الهوى وخبا منها السنا)) .

ثم قال : .. تعال الى مكتبك ..
جلسنا

تسألنى عن صيفية ثابتة الانطباع وسط ذكرياتى ، وفى ذهنك متعة الصيف ، وبهجة البحــــر ، شطئانه وخلجانه ، أو سفوح الجبال الشماء وبحيراتهــا وسط

الخضرة الزاهية . فأنت رحالة مغامر ، كمـــا انك مصرولوجى قادر ، أو صحافى شاطر .

ولقد حيرنى ســـؤالك ، استمهلتك أســـبوعا تلو أسبوع ، وأنا متردد بين ذكريات الغرام البعيـــدة ، ولقاءات الحبيب القريبة ، ولا أعنى الغـــرام « اللى بالى بالك » ، وانما عشق الطبيعة فى شتى حليها وحللها الارضية ، أو فى عريها الرائع فوق صفحات المـــاء ، سطح البحر والبحيرات ، ومسار الانهار والنهيرات .

فلا تستغربن ان ابتعد بذكرياتى الى قرابة اربعين عاما مضت ،حين سافرت فىنهاية صيف من الاسكندرية الى بورسعيد ، ومنها الى الاسماعيلية فالسويس ، على ظهر سفينة مصر الاولى للكشف البحرى ، فاذا بصيفى يمتد ، بعد صيف الاسكندرية ، الى تسعةأشهر ، لم اعرف فيها شتاء ولا خريفا ، كما لا فرق هنـــاك بين الربيع والصيف ، فهو هناك صيف دائم ، وربيع دائم .

انت تطلب « **حلم ليلة صيف** » ، او « **لحظة فاتنة** » تعاقد فيها الشيخ العلامة فاوست مع مفيستوفوليس على تنفيـــذ صفقة بيع ، يبيع فيهـــا الشيخ روحـــه للشيطان ، عندما يطالب فاوست تلك « **اللحظـــة** » بالتوقف ، لاحساسه ببلوغه ذروة نعيم يرجوه ان يقيم ابدا . وكأنه يقول لبعلزبول : اذا ما حققت لى السعادة القصوى ، ولو لحظة ، فلك أن تحملنى الى حيث ألقت بنفسها أم قشعم .

ومع انى لم اتعاقد مع جان ، ولم ابع روحى لشيطان ، فقد رأيت ان احدثك عن **صيف بدأ فى مايو عـــام ١٩٣٣**

بالاسكندرية واستطال حتى عدت اليها فى مايو سنة ١٩٣٤ ، وبقيت فيها الى الخريف وما بعده . قضيت اكثر ذلك الصيف الطويل فى عرض بحر القلزم ،وخليج عدن ، والبحر العربى ، فالمحيط الهندى ، أو « البحر الشرقى الكبير » كما عرفه العرب ابان العصور الوسطى .

توقفت ساعة لانصت الى بعض اشعار الرهبان الصعاليك فى القرون الوسطى ، لحنها الموسيقى الالمانى المعاصر كارل اورف ، بلغتها اللاتينية . استمعت اليها صدفة ، من البرنامج الموسيقى ، خير ما أنعمت به علينا الاذاعة المصرية فى تاريخ حياتها الطويلة .

وتوقفت فى الحق لاستوحيها ، **ففى اغانى اولئك الرهبان رنة فرح بالدنيا ، وحب الحياة ، والصعلكة فى حانات الخمر والغوانى** . ومجموعة الاشعار اللاتينية والالمانية التى اختار منها كارل اورف جزلا لالحانه تحمل عنوان « **كارمينا بورانا** » ، وهى من اعمال طلبة العلم ، والرهبان المتصعلكين ، فى خواتيم القرن الثالث عشر . جمعها راهب بندكتينى من دير « بويرن» فى بافاريا العليا ، وظلت مختفية حتى انحل بترميم الدير ، ونقلت مخطوطاته الى المكتبة الملكية بميونخ ، وهناك اكتشفت ، ونشرت عام ١٨٤٧ . والسر فى تخفيها ان الكثير منها قصائد لا تدخل فى نطاق العبادات والقنوت . **كانوا شبانا مؤمنين ، ولكن مسيحيتهم لم تتزمت تزمت العصور الوسطى ، بل تخذت بحب الطعام ، ومعاقرة بنت الحان ، والكلف بمباهج الدنيا .**

تقول هلين وادل التي نشرت بعض نصوص « **الكارمينا بورانا** » عام ١٩٢٩ ، مع ترجمة انجليزية منظومة شعرا ، بان من النظريات الادبية ما يرجع بها الى مؤثرات كلتية ، **وقيل عربية** ، ولو ان مصادرها المباشرة واضحة فى الشعر الرومانى المتأخر ، فان بترونيوس ، صاحب ((**الساتيريكون**)) ، أقرب الى مطالع الشعر الايطالى منه الى هوراس .

والقسم الاخير من « **الكارمينا بورانا** » يحتوى على اشعار الغزل والتشبيب ، والخمريات ، ومدائح الصعلكة ، وقصائد الشحاذة والاستجداء . بل فيها ما يعرف « بقداس القمارتية » . بعضها جرمانى ، واغلبها لاتينى ، واضح فيها اثر مدارس باريس واورليان واكسفورد وبولونيا وبافاريا وساليرنو .

اصحابها شعراء مجهولون ، ورهبان يتغنون بصعلكتهم قائلين :

« نطير من مكان الى مكان كالعصافير ، من هنا الى هناك ، ومن هناك الى هنا ، كاوراق الشجر تسفيها الرياح ، أو كالشرر فى الهشيم ، جوابى آفاق ، متعبين دون كلال » .

وهذه واحدة من قصائدهم اعود بها الى موضوعنا :

((رجع البصر وانتظار عودة كل شىء الى الحياة ، فقد ولى الشتاء الادبار مع برده ، والارض العبيبة اخرجت من حبها النبت والازاهير ، يفوح منها طيب الشذا والعبير .

« واكتسى الايك بالسندس ، وصدحت فوقه العنادل

والبلابل ، وتناثر النضار واللازورد والاقحوان ، ازاهير ازدانت بها الوديان .

« ما أحلى التجوال فى الادغال ، وما أحلى قطف الورد والسوسن . ولكن لا هذا ولا ذاك يعدل التشبيب بالغزلان .

لكن قلبى واجف عندما وقع نظرى عليها فاضطربت مقلتاى . ماذا يجدينى شدو الطير وجمال الربيع والتشبيب ؟ !

فالدنيا فى نفسى شتاء عصيب ، اذا ما صد الحبيب! »

... ...

لم اعرف صيفا أشد واعنف ارهاقا للروح ، مثلما عرفته ونحن نجتاز بحر القلزم فى سبتمبر : رطوبة خانقة ، وشمس تضرب فى سماء .. كصحائف الزنك ، وسفينة تبعث بدخانها الاسود ينعقد فوق مؤخرتها لا يريم ، وسواحل جرداء قرعاء ، تتردد اصداء الجحيم بين قناتها وسفوحها ، عند مكان اختار اسم جنات عدن ... تيمنا وبركة ، مثلما يعرف الاجرب او الملدوغ بالسليم .

وشاهدت جزائر خوريا موريا وسكانها الاربعين ، وكانهم السفار تكسر سفينتهم بعد عطب ، وتعلقوا بأهداب الحياة حيث لا هدب ولا هديب من نبت او شجر .

ودلفت الى بحر عمان ، وسط الصخور الشهباء الجهماء ، فوق بحر الزئبق الرجراج ، تقدح فيه ذكاء لألاء فضيا ، أحرى به أن يكون السنة اللهب .

واجتزنا رأس حنونى وجردافوى ، وجزيرة سومطرة تنضح مرا ، وتنبت حيات وصلالا ...

ثم أهل علينا الحرج الافريقى تطرز شواطئه الشعاب المرجانية ذات البهاء ، ونخيل النارجيل السلهب ، والاشجار العماليق من الباوباب وام الشعور ، وآجام القصب والخيزران والموز والمانجو ...

وكلما أوغلنا فى الجنوب صوب **سهيل** كشفت أننا طبيعة الصيف الدائم عن الفتنة الاستوائية فى جزيرتى **بمبا وزنجبار** . وقد عبرنا خط الاستواء حتى بلغنا **جزائر سيشيل** منفى الزعماء الاحرار ، حين عصفت بهم سموم الاسار والاستعمار .

كان البحر فى أغلب أيامنا كصفحة المرآة صافية الاديم ، وفاجأتنا فى أقلها بوادر الرياح الموسمية الجنوبية الغربية ، أثارت فى البحر روح الشر والندر ، فغدت السفينة ألعوبة العباب يرتفع جبالا من الماء ، تركب السفينة قناتها فيمتد الاقيانوس حولنا الى ملتقاه بالافق ، ثم تهبط الى قرار وديان ، لا نرى فيها دوننا غير حيطان من الماء خلف حيطان . واذ تخرج السفينة برأسها الفارق الى العراء تهز أعرافها من الموج كأنها جنية الماء مرسلة اللمة الشقراء .

وطفنا بجزائر اللحكديب والحلديب ، وهى « ذيبة المهل » ، حيث تلبث ابن بطوطة ردحا وتأهل بقريبة السلطان ، وجلس الى القضاء يرفض أن تدخل الى ساحته النسوة الا وقد غطين رؤوسهن وصدورهن وأعطافهن ، على خلاف ما درجن عليه من السير عرايا حتى ما تحت السرة !

ورأينا حيات البحر الصفراء تتلوى فى زرقة المحيط

كأنها البريمات الذهبية ، ونحن على قيد فراسخ من بمباى ...

وفى بمباى راينا « **ابراج السكون** » ، مدافن المجوس العارية ، فوق هضبة مشجرة ، أبراجا تحتوى أجساد موتاهم ، تجرد من اكفانها، وتترك للعقبان الكاسرة تنهش لحمها ، وتلتقط اعينها ، وتطير عنها بعد ساعة او بعض ساعة ، عظاما بيضاء .

انى أرى نظراتك تبتسم فى خبث وكأنها تقول : وما شأننا بكل ذلك العناء ، هلا حدثتنا عما فى حياتك تلك من الغوانى والغزل . وأنا اذ سألتك عن الصيف فلم أعن غير هذا . فالصيف عندنا — ياسيد العارفين ! — هو موسم الحب والهيام ، واقبال الحبيب بنفس مفتوحة للغرام ، ليسلمنا الى فرقة الخريف والشتاء ، أو يتسلمنا أزواجا أسرى .

اقول : كاد صيفنا الطويل يقفر من النساء ، فلميكن فوق السفينة من نوع الانثى .. سوى القطة «مشمشة» ... وكنا ، أكثرنا ، شبابا وامقا ، أن خلا ظعننا من الحب ، فلم يخل نزولنا القصير بالارض من التشبيب والغزل ... على وتيرة الرهبان سالفى الذكر والشعر .

واليك بعضا من حكاية حدثت منذ ثلاثين عاما تكشف لك عن بعض ما تريد أن تسمعه تكريسا للصيف وطقوسه :

.. خرجنا الى الحديقة ، فكانت ملتقى انظارى وانظار زملائى . ولم يخف عليها ان اولئك الشبان من

بني وطنها ، وهذا الشاب الغريب ، وهم يعيشـــون عيشة عزلة تامة فى عرض البحر ، وقد انتشـــت نفوسهم بسحرها ، وشبابها ، وانوثتها . فكانتنظراتنا تمعن فى تورید وجناتها المفعمة عافية تبعا للحيـــاة الجبلية التى تحياها . وكانت روحها ترفرف سرورا ، وكان ارواحنا الواقعة قد عقدت الخناصر حول روحها تدللها . وزاد من دلالها شعورها بفعل شبابها وجمالها فينا ، فكانت كالحجر الكريم يزيده الاجتـــلاء ابراقا ، وكثرة الانوار اشراقا .

.. وقبيل الاصيل خلعنا ملابسنا اليومية ، وذهبنا فى ألبسة البحر ننتظر الغادة التى كانت هدية أفريقيا لنا فى راس سنة ١٩٣٤ . وانتظرناها فى الجبـــلاية الصناعية التى أنشأها [السير] على بن سالم فى ركن من حديقـــة البنجالو ، التى ينحدر الانسان منهـــا الى حمام بحرى زين بالفسيفساء .

.. وجاءت ((السبرينا)) تخطر فى لباس استحمام أخضر ، لـــون ثوبهـــا على مائـــدة الغـــداء ، ألم أقل أنها روح الزمرد فى شكل فتاة ؟ .. وهى سعيدة باحساسها أنها مصدر هناء اربعة من الشبان ، فى ذلك اليوم الباسم من حياتنا .

.. وسوف تظل مطبوعة فى نفسى صورة ذلك الجسم الكامل ، على دقته ، وعلى روح الطفولة المنبعث من صاحبته ، وهو يسبح فى مياه بين الزرقة والخضرة ، وهى الى الخضرة أدنى . مياه هادئة شفافة ، لا ريب انها طالعتنا ذلك اليوم باجمل مخلوقاتها . ولم اشك لحظة وانا ارى « غادة ممباسا » تسبح فى مياه المحيط

الهندى المنسابة بين الجزيرة وارض أفريقيا ، انهـا احدى بنات الماء احبت انسيا يقطن مرتفعات كينيـا، فغادرت عنصرها لتعيش على الارض . وها هى ذى ، اذ عادت الى الماء فى غلالتها الخضراء ،قد اظهرتنا على السحر الذى فنى فيه عشاق البحار منذ بدء الخليقة .

.. وبعد بضعة ايام غادرت السفينة ممباسـا ، وكنا فى هذا الميناء موضع حفاوة البريطانيين الذين لم يساومونا اعجابهم بتلك الباخرة الصغيرة عبرت اليهم المحيط الهندى من بمباى ، بعد أن قضت على سطحه نحو أربعـة أسابيع ، قطعت أثناءها خط الاسـتواء متنقلة من نصف الكرة الشمالى الى نصفها الجنوبى . ولقد اقبلوا يزورونها ويشاهدون ما احتوت فى بطنها من اجهزة ، وما جمعته شباكها من عجائب البحار .

.. وكانت الانظار ترمقنـا من شرفات الجاليـات البريطانية صبيحة سفرنا ، ونحن نجيب على التحيات البعيدة بصفير متواصل . وتابعت السفينة سيرهـا وهى تختال فى البوغاز بين القارة وجزيرة ممباسا .

.. وبينما الضباط منهمكون فى ملاحتهم الدقيقة، بعضهم مشغول بخرائطه واجهزته ، كان اربعة من الشبان — ثلاثة من الانجليز وواحد مصرى — واقفين على ظهر السفينة ، وقد انتحى كل منهم ركنا جعل يدير منـه منظاره نحو « بنجالو » اقامه على شاطىء القـارة رجل عربى كريم يسـتضيف كل وافـد عليـه من « الهنترلاند » .

« هنا وسط حديقة « البنجـالو » ، والى جانب

الصارى الذى رفع عليه السير على بن ســـالم راية التحية لنا ، رأت عيوننا جميعا ، وانطبعت على قلوبنـــا جميعا ، آخر صورة لغادة ممباسا ، وقد وقفت فى بيجاما زمردية تلوح لنا بيديها ، وترسل لعشاقها الاربعة آخر أشعة من ذلك الضياء السعيد ، نشره جمالها العلوى على حياة الشدائد التى نحياها فوق ظهر العباب .



الشراع الضائع ... !

■ .. لوحة عشتها أياما .. اطارها الاقصر .. جوها الحر ، ولمستها الفن ، وعبقها التاريخ . وموضوعها : النيل وزورق شراعه الابيض يختال مع الهواء .. وهو من غيره مجرد قماش أبيض . وبه شيء كبير يندفع . قوة تزمجر وترفرف .. حياة وهوى عاشق ومعشوق .. ويصبح وكأنه صدر غزال جامح أو جناحا طير يزقزق فرحا لا يسع أفق الدنيا نشوة . سعادة ..

والنيل يسرى .. وكأنه مسافر حائر بين الجمال والسحر والخيال .. لا يتطلع .. وانما الناس هم الذين يتطلعون اليه

عدسة السائح ..
وشبكة الصياد
ومسقى جحش صغير .
ورزق بحار
ووحى شاعر
وابتهال ملاح
وجرة فلاحة لتروى البيت

حتى الشمس .. تحاول أن تتطلع اليه بين شروق ومغيب .. ربما لتطمئن على ضيائها .. وهى تلمع كما

تريد .. وعلى أشعة شعرها الذهبى تنكسر كما تود أن يراها الناس والخلق .. أم هى متموجة !

والبشر الحلو .. غيرة الهلال .. عندما ينظر من سموه . فيرى انعكاسه زورقا فضيا يختال على الماء !

ولمحات من ألوان السماء والسحب الضائعة البريئة البيضاء .. لا تدرى لها مستقرا بين سماء أو أرض .. الا خيالا مرسوما على صفحة النيل

والنجوم لا تعرف لها سميرا ولا صحبا تشكو اليه ظلمة الليالى وصقيعه .. الا النيل .. فتسبح ببريقها عليه .. ويحنو هو اليها .. وكلام صامت هو الجمال .. وسحر زاعق هو الخيال ..

وأتطلع بدورى الى النيل .. وأرى أيامى الضائع بين نهار وليل وربيع عمرى حائر مع وهم وصورة وخيال .. ونسمة حلوة وحر وبرد .. وألوان وذكريات .

هل ربيعى .. شراع أسمر بلا هوى ولا هواء ؟



جسد .. مرسى مطروح .. !

.. والحكايات عن مرسى مطروح لا تنتهى .. لو سألت عن ظاهرة زحام البدو .. التى ظهرت فجأة عند شاطئها بالقرب، من أحد جوامعها .. لقالوا لك أنه مولد : ((سيدى العوام)) المدفون فى الجامع الذى شيد له .. ويرتفع الى جانبه فندق الليدو .. ويطل على شاطئه ، حيث فرش البدو خيامهم الحمر الملونة المزركشة ، ونصبوا ما يشبه السوق .. ومن حولها حلقات فنونهم الشعبية ، وأطفالهم يجرون فى مرح الى البحر يغتسلون .. انه الموسم .. والفرسان يتهادون بخيولهم المطهمة ..

ولو سألت عن سيدى العوام لقيل لك أنه حدث فى عام ١٩١١ أن جاءت الى مرسى مطروح جثة سليمة لشيخ أبيض له لحية .. نائم على لوح خشبى أدخلته مياه البحر الى حوضها الازرق .. ورأى أهلها أن يدفنوا هذه الجثة .. ولكن محافظها الانجليزى « بيللى » استيقظ فى اليوم التالى ليقول أنه رأى فى المنام ضيف الصحراء الغربية الشيخ العوام الذى

عثروا عليه أمس .. وأن الشيخ ابدى له رغبته فى أن يكون له مدفن واضح المعالم ..

وكان له ما أراد ..

... ...

وفى مرسى مطروح بدوية تبيع لك الان ما تحمله فى سلتها من عقود من خرز ومراوح وطواقى . .واذا سألت عنها قالوا لك أنها أم عيسى زوجة المحافظ بيللى، الذى رحل الى بلاده وتركها لتعيش فقيرة بين الذكريات.



لمـــاذا تذكرت الهرم .. فى هولندا ؟

■ .. آخر ما كنت أتخيل وأتصور أن أتذكره .. وأنا فى هولندا .. أزور أمستردام ذات صيف .. أو على وجه التحديد يوليه ١٩٦٢ .. أقف مع الفضول.. وراء زجاج بهو فندق ((كراسنابولسكى)) المطل على ميدان ((الدام)) .. حيث الحمام الابيض يملأ الجو .. ويدور ويلف حول النصب التذكارى الرخامى الضخم المقام لشهداء الحرب أمام واجهـــــة القصر الملكى بامستردام .. وفيه تجمع الناس .. مئات الناس .. ألوف الناس .. لا للقصر ومن فيه .. اذ لا أحد يسكنه. فالعائلة المالكة هنا تسكن الريف القريب .. ولا تستعمله الا للحفلات الرسمية . وانما الناس المؤلفة المجتمعة.. كانت تزدحم من حول فرقة موسيقية جاءت تستعرض أنغامها بمناسبة شهر مهرجان هولندا الفنى .. ولاأخرج عن عنوان الموضوع .. اذ فوجئت فى كل هذا الجو المرح .. بخبر وفاة الكاتب الاديب العـــالمى : وليم فولكنر .. وأذنى تستمع الى أخبار الاذاعة ! .

وفجأة أصبح اللوح الزجاجى الكبير لبهو الفنــدق كأنه شاشة بيضاء .. استعرض عليه صورة مكانها سفح الهرم عند ربوة الجيزة . وزمانها ١٥ سنة مضت، رجعت فى ومض البرق . وبطلهـــا وليم فولنـــكر . وكلماته وصوته ـــ وعجب من الذاكرة ـــ يحكى تفاصيل سره الذى قصه لى يومهـــا .

ولأرجع الى بعض التفاصيل ..

فى أواخر ١٩٥٥ .. فى ضحى ٧ ديسمبر .. وأنا أدلف الى فندق مينا هاوس لموعد هناك . تباطأت قدماى ، وأنا أرى رجلا تحت ومضات الشمس التى تسللت من سعف نخيل الحديقة الى شعر رأسه الابيض يلمع كأنه أسلاك من الفضة . وما أن وصلت اليه حتى وقفت . وتأملته . لم يكن موعدى معه . ولكن تذكرت أن هذا الرجل قد رأيته من قبل . ومن غير المعقول أن يكون فى بلدى ولا أحد يدرى به . لان أحدا لم يكتب عنه .

وكان الرجل ينظر الى تحت .. الى ملعب التنس.. وفيه فتاة شابة مرتدية الشورت تلعب مع المرن .. والرجل القصير الواقف ، الذى أكاد أعرفه من صورته. مهتم جدا بكل حركات الفتاة ، يكاد يلتهمها بعينيه .. وقد رفع قدمه اليسرى ليريحها على بسطة من الرصيف، بينما أسند ذراعيه لترتاح قبضتاهما فوق ركبته .

وفجأة أدار الرجل اتجاه عينيه .. الى .. ليقول لى مبتسما :

.... ــ أليست جميلة .. وجميل هو صبا الشباب!

قلت له :

.... ــ نعم ، مستر وليم فولكنر ..

ولم يبد الرجل أى دهشة لانى عرفت اسمه وشخصيته .

وأردت أن أحييه أكثر قبل أن يتابع كلامه .. قلت له :

.... ـ لقد رأيت هذا الاسبوع صورتك .. ولكن لا اذكر أين بالضبط .. ربما فى جريدة عالمية أو مجلة.. أعتقد أنها مجلة « تايم » ..

ورد وليم فولكنر ، وقد تغيرت ملامح وجهه ، وراح الانبساط منه ، وهو يتطلع مرة أخرى الى الفتاة التى تلعب تحتنا ، ومستوى الملعب غائر الى تحت :

.... ـ انى لا أقرأ مجلات ولا جرائد . لا أهتم بها ، ولا بما تنشره ! .

وحاولت أن أتأمل بدورى سر اهتمامه .. ولكنى كنت أتطلع اليه مرة أخرى وأنا حائر .. أهو فعلا لا يقرأ .. أم أن غرور النجاح والشهرة هو الذى دفع به الى ان ينكر اهتمامه بالصحف والصحافة .. وخاصـــة مجلة ((تايم)) ، وهى مجلة ناجحة وعالمية .. وكدت أصعق، اذ رأيت مجلة تايم تطل من جيب سـسترته . وتأملت فوجدت أنهــا مطوية على الصفحة التى كانت تحكى عنه !! .

ولم أسكت . قلت له :

.... ـ مستر فولكنر ، بل أنك تهتم بمــا يكتب عنك .. بدليل هذه المجلة المطوية !! .

تبسم أديب أمريكا الكبير وليم فولكنر ، الحائز على جائزة نوبل وجائزة بوليتزر .. وقال :

.... ـ الحقيقة أنا أعتذر . أنا خجل لانى كذبت عليك . انى أهتم بالصحافة . ولكن لمـــاذا لا نهتم بهذه الفتاة الجميلة ..

ودعانى لنجلس معا .

وتحركنا الى شرفة مينا هاوس . وتحرك هــو أو بمعنى أصح ترنح فى مهل . أكد لى كل ما قرأته عنه . أنه دائما مخمور . اذن صحيح ما قاله مرة فى أحــد أحاديثه المعدودة القليلة جدا .. انه يريد أن ينسى .

وأخذت أتطلع اليه وهو يحتسى الكأس وراء الكأس.. وهو يروى لى سبب مجيئه الى القاهرة .. ان شركة سينمائية اتفقت معه على أن يكون مستشارها لرواية فيلم اسمه « أرض الفراعنة » . وهو يعتقد أنه فيلم سيكون سخيفا . ومع ذلك فهناك من يعرض عليــه مالا .. فلماذا يرفض .

وأعود لأسأل فولكنر أحد أعمــدة الادب العــالمى المعاصر عن سبب هوايته للخمر .. وكان رده هــو مفتاح شخصيته الحزينة غير المبالية .. قال :

.... ــ منذ سنين وهناك فتاة .. انها تكاد تكون طبق الاصل من التى رأيتنى أتطلع اليهــا وهى تلعب التنس . ان فتاتى لها من العمر الان ١٧ سنة ، انى أعشقها لدرجة الجنون . ولكن فارق الســن ؟ كل ما عملته لها أنى ــ وبغير ما تشعر هى ــ أرسلتها فى بعثة الى باريس على نفقة الجائزة التى أسستها باسمى للتعليم .. واهتممت بأن يجد النشىء عن طريق المنحة أو الجائزة فرصة لاستكمال فرصته فى الحياة .. وكثير من أبناء الجنوب .. جنوب أمريكا حيث ولدت وأعمل فلاحا .. ومنهم الامريكيون السود .. يستفيدون بها.. أن كل ما أستطيعه مع فتاتى الامريكية التى لا تعــرف عنى أكثر من اسمى وشكلى .. هو أن أمر على باريس

وأراها يوما أو يومين كل عام وفى النهار وأثنـــــاء دراستها ! أليس هذا ظلما !!

وأردت أن أحول الحديث وجهة أخرى ، فسألته عن أهم أديب فى أمريكا فى رأيه . فيرد وليم فولكنر الذى مات عن (٦٤ سنة) بالسكتة القلبية ، والذى لمع كما لم يلمع أحد من أدباء عصره ، رغم أنه لم يستكمل تعليمه الجامعى ليعمل بحثا عن لقمة العيش .. التى وجدها عندما عمل موظفا بمكتب بريد ، فصل منه عندما رآه رؤساؤه يدمن قراءة الروايات ولا يهتم بتوزيع البريد.!!

رد وليم فولكنر .. وكان رده عجيبا :

.... ـــ اعتقـــد أن أعظم أدباء أمريكا هو توماس وولف .. ثم يأتى أرنست هيمنجواى بعدى أنا .. أما رابعنا فهو دوس باسوس .. واذا بحثت عن الخامس فهو أرسكين كالدويل .

عجبت للقدر الذى جعل أرنست هيمنجواى ووليم فولكنر يموتان فى أسبوع واحد فى شهر واحد .. ولكن بين الاثنين عاما واحدا فرق بينهما وجعل اسم فولكنر يأتى بعد نعى هيمنجواى الذى انتحر بعده بعام !

فرقت : [بنط] .. أو فرقت [سنة] .

□ □ □

تفاحة حمراء .. أوصلتنا الى القمر !

■ .. لا حديث يشغل الناس هذه السنوات .. الا .. القمر .. !!

لم يعد مجرد قمر للعاشقين الهائمين .. ولم يعد قمرا للشعراء يوحى اليهم بقصيدة عصماء !

ولم يعد القمر الها ـ كان يتطلع اليه أجدادنا منذ ٥٠٠٠ سنة وأكثر ـ نسميه : تحوت . وننسب اليه أسماء بعض من حكامنا مثل الفرعون الفاتح : تحتمس: أى [وليد القمر] .

ولم يعد القمر أيضا رمزا للحكمة والذكاء مثل القرد الافريقى المؤله : جحوتى .. ولا .. رمزا حسابيا لبداية كل شهر عند الفراعنة وكانوا يطلقون على هلاله : اسم ((آبد)) .

أبدا .. أصبح القمر هدفا لرحلات الفضاء المثيرة اليه هذه الايام .. تدور حوله وداخلها عدد من بنى آدم .. ويهبطون عليه ويتمشون !! ويتقافزون فرحا وغبطة لانتصار خيال الانسان اذا ما أراد الله وحقق له الامال !

ولكنى أعود .. لاقول لولا كل هذا الاهتمام من أجدادنا وشعرائنا به لما كنا جعلناه هدفا للوصول .. كمرحلة أولى .

ومع ذلك . وهنا بيت القصيد . فان الانسان اذا ما أثارته الدهشة وشده الفضول فى أشد المغامرات غموضا واقتداما وجرأة ينسى الذى وضع اللبنة الاولى .. أو ساعد على بناء الامل .

ففى ٢٥ ديسمبر .. ولكن منذ ٣٢٨ سنة : ولد مع اجراس عيد الميلاد .. والصقيع يصاحب الضباب ليلتف فوق قرية « وولز سوربب » الانجليزية : اسحق نيوتن [٨٥ سنة] : الانسان الذى أهدى البشرية تفسيرا علميا والقى ضوءا على : جاذبيـة الارض والكون !! وحاول أن يثبت أن هناك انجذابا طبيعيا بين كل أجسام الكون ، من الذبذبات الصغيرة الى الاجرام السماوية ، كل يشد غيره اليه ، وأن الكون كله فى حالة توازن دقيق . وهو صاحب نظرية قوانين الحركة الثلاثة . او القانون الثالث للحركة : لكل فعل رد فعل . مماثل له فى القوة . ومضاد له فى الاتجاه .. وهو ما أدى الى صناعة الطائرات .. التى كانت خيالا أسطوريا يداعب امل الفراعنة .

وقيلت حكايات كثيرة كيف اكتشف نيوتن .. حكاية جاذبية الارض . !

قيل أن الحب أضناه .. ظل ساهرا ساهما ذات مساء فى حديقة لم تكن حديقته . فقد كان فقيرا . معدما . اضطر أن يترك التعليم وله من العمر ١٤ سنة ليساعد والدته فى فلاحة الارض . ولكن عمه رأى نبوغ الولد . فألحقه بالمدارس . ثم بجامعة كمبردج .. وفيها كان يخدم زملاءه الاغنيـاء ، يقف وراءهم وهم يأكلون . ليستطيع أن يأكل ويتعلم . ولكن شاء قدره أن ينتشر

الطاعون فى بريطانيا . أقفلت الجامعة أبوابها . ذهب الى بيته .

وفى حالة فراغ .. أحب .. سهر .

وفى ذات مساء .. فوجىء بصوت شىء يسقط على الارض ينبهه . يخرجه من حالة الهيام والسرحان .. يرى تفاحة حمراء تترنح .. من تحت شجرة يهزها هواء الليل .

وبدأ يسرح من جديد .. كيف سقطت التفاحة .. ولماذا .. وما الذى شدها الى تحت .!؟

وعاش حالما بمعرفة الجواب .. لماذا ؟

ثم وصل الى الحل :

وكانت نظريته .. « جاذبية الارض » .

وكان له من العمر ٢٣ سنة .

وعمل مدرسا وأستاذا فى جامعة كمبردج ٣٢ سنة . وانتخبوه نائبا للبرلمان البريطانى مرتين عن دائرتها. وكرمته بلاده فعينته رئيسا لاكبر هيئة علمية فيها وهى الجمعية الملكية .. حتى مات منذ ٢٤٣ سنة .

ولكن أين هو : اسحق نيوتن .. بين الاسماء التى تتردد كل يوم فى كل العالم حول رحلة الانسان ودورانه حول القمر لاول مرة .. بعدما انفلت مع صاروخ مركبة الفضاء من جاذبية الارض الى جاذبية القمر .. ليخرج منها عائدا الى جاذبيتنا من جديد !

وسلام .. على : نيوتن .

الذى لولا .. الطاعون والحب .. لمـــا تفرغ وسهر الليل يتأمل تفاحة كان من حسن حظ الانسان أنها وقعت لحظتها أمام عينيه !

ومن قبل كانت هناك تفاحة حمـــراء .. هى التى أخرجت آدم ـــ أبو الانسانية ـــ وحواء ، من الجنة الى الارض .



كلب يكتشف مدينة عالمية

■ .. تصور أستاد القاهرة وقد تضاعفت مساحته ١٠٠٠ مرة .. ولكن جمهوره تحول الى ملايين الشجر .. وتحول لاعبوه الى بيوت وفنادق .. وخطوطه البيضاء الى نافورات طبيعية .

اذا تجمعت ملامح هذه الصورة .. اذن هى المدينة أو القرية الجميلة : كارلوفى فارى . أو . كارلسباد القديمة ، التى تحول هدوؤها الى مهرجان : يسمونه مهرجان السينما .

والقرية أو المدينة القابعة فى ((قمع)) مترامية على بعض الجوانب المـــائلة المنحدرة للقمع الاخضر .. يرجع فضل انشائها الى كلب !!؟ .

اذ يحكى أنه منذ ٦٠٠ سنة كان مليكها شارل الرابع ــ الذى كان له فضل اقامة براج الجديدة أيضـــا ــ فى رحلة صيد بين أحراشها الكثيفة . واذا أحد كلابه يعوى ويعوى من بعيد .. ويصل الى مسمع شارل أو كارلو الرابع .. نبـــاح كلبه الامين . ويتكرر ذلك مرارا . فيتساءل : ما الامر . ؟ ويتجه اليه فوق فرسه .. فيجده يتلوى وهــو يصرخ هازا ذيله .. فرحا . متـــدلى اللسان .. ونقط من المـــاء تتساقط منه . ودخان من حوله .. وما لبث الملك وحاشيته التى من حوله .. أن

عرفوا أن الماء يجىء من نبع دافىء .. تتدفق منه المياه .. مع الصحة .

وكانت الاسطورة التى تحولت الى حقيقة . ومع الايام أقيم تمثال للملك كارلو أمام النبع أو الحمام رقم واحد من الينابيع التى اكتشفت فيها فيما بعد . وعددها ١٤ نبعا . لكل منها نفع لجزء معين من الجسم . للكبد مثلا . أو الامعاء . أو للروماتزم .

وأراد فناننا الممثل عماد حمدى أن يجرب حظه .. وهو يرى كل الناس يحمل كل منهم فى يده ابريقا صغيرا من الخزف .. يملأه من العين المتدفقة .. ويرتشفه . وجرب عماد حمدى . وكان أن التزم حجرة نومه يوما كاملا ! فقد كان مفعولها سريعا ساحرا .!!.

ولا أخرج عن الموضوع حسب انسياقه التاريخى الذى يحكونه عن كارلوفى فارى (ومعناها حمامات الملك شارل) .. فهنا أكثر من واحد وأكثر من كتاب يقص عليك كيف أعجب بالمكان كل العظماء واصحاب المواهب من حكام وموسيقيين وفلاسفة ممن جاءوا بعد شارل الرابع . فهنا استوحى شيللى بعض قصائده ومشى بيتهوفن سارحا على نغم يدوى فى رأسه ولا يسمعه أحد . ان اللحن لم يولد بعد . وهنا .. جلس جيته . وهناك عزف موزارت وقدم لاول مرة أوبرا دون جيوفانى .

ولترجع الى ما حدث أمس فى المدينة التى يجيئها الباحث عن الصحة والهدوء . انها أشبه بقرية بون

التى أصبحت عاصمة سياسية لالمانيا غ . ولو ان كل ما فيها — بعد مرور يومين — يشير الى الملل والفراغ الاخضر . الكل ينام بعد العاشرة مساء !!

ولكن المدينة الآن تسهر الى العاشرة والنصف مساء ؟ ..

ولو سألت عن هذا الحدث لعرفت أنه المناسبة الدولية التى تقام وتستمر ٣ أسابيع وهى مهرجان السينما . وفيه وفود ٥٠ دولة طلعت كلها على مسرح المدينة الصيفى (٤٠٠٠ متفرج) فى الهواء الطلق . وبعض الناس — فى حذر الاحتياط — يحمل تحت ابطه « شمسيته » فى حالة المطر ويحمل معه من باب الحرص بطانية يفردها على ساقيه اذا ما داهمه البرد ..

وأكثر من خطاب يلقيه ٣ وزراء بعد أن يقدمهم على المنصة رئيس المهرجان . وأعلام ٥٠ دولة من ورائهم . وفرقتان عازفتان من حولهما . احداهما كلاسيكية والاخرى للجاز .

وفى وسط هذا الجو المرح تنطلق الصواريخ . ثم يبدأ عرض البرنامج السينمائى للافتتاح . وبالطبع عرضت فيه تشيكوسلوفاكيا فيلمين احدهما قصة مرح عن اعداد المهرجان . وفيه « تريقة » على تنسيق المهرجان . والفيلم الثانى هو الفيلم الطويل .. وكان يميل الى التهكم . وهو طويل نسبيا . ولكنه ممتاز من ناحية التنفيذ التصويرى . اذ أنه عبارة عن خليط

بين الصورة والرسم . اشبه بالاسطورة . ملون بلونين فقط . لون صور به . واللون الثانى أضيف فى المعمل على الفيلم نفسه . اسم الفيلم : « البارون » . أخرجه كارل تسزيمان . ومثله يانا بروشوفا مع ميلوس كوبكى . حكاية خرافة أشبه بالاحلام . بل بالعلم والعلماء .

□ □ □

كاتبة الجبـــل

■ .. جاءت لتتعلم فى القاهرة .. وتركتها لتعود الى بلدها لتعيش عند سفح الجبل .. جبل لبنان .. ثم عادت الينا وفى يدها كتاب : غلافه أخضر عليه مساحة طوليـــة ســـوداء وســـطها لمســـة بنفسجية اللون .. والى جانب بقعة اللون عنـــوان : « لن نموت غداً » .. ومن تحتـــه اسمها هى : ليلى عسيران .

والكتـــاب هو أول قصة لها .

أما هى .. ليلى عسيران .. فهى الاديبة اللبنانية ، التى كانت قد جاءت الى القاهرة منـــذ ســـنوات وتعلمت فيها فى كلية البنات الامريكيـــة . ثم رجعت الى بيروت



□ .. ليلي عسيران .

لتستكمل دراستها للاقتصاد السياسى فى جامعتها .
وما أن تخرجت حتى عملت فى الصحافة محررة تهتم
بالتحقيقات السياسية وبشؤون المرأة . ثم تزوجت من
الاقتصادى البرلمـــانى أمين الحافظ : وأنجبا وحيدهما
رمزى .

ولكن حنين القلم الى أناملها والحبر الى الورق الذى
امامها .. أوحى اليها بأن تنتقل الى عالم القصة .
فألفت أول رواية لها « لن نموت غداً » . تبحث فيها
على حد قولها : « عن هدف يربط الانسان فى بيئته .
ويجد هذا الهدف فى القاهرة » .

واذا كنت قد بدأت سطورى عن ليلى عســـيران
(٣٥ سنة) بصورة لونية قدمتها من تصميم غلاف
روايتها . فانك فى كل صفحة من صفحات قصتهـــا
ـــ وتزيد على ٢٥٠ ص ـــ ستجد مدى اهتمامها باللون
والصورة .. لدرجة أنك تحس وأنت تقرأها .. انها
ترسم أكثر مما تكتب . فهى تميل الى اســـتكمال جو
البيئة التى تحيط ببطلتها عائشة وأخيها كمال وصاحبه
البيروتى نبيه وصاحب عقلها ومشاعرها القـــاهرى
أحمد .. ومن خلال صورها وألوانها التى حولتها الى
سطور يفردها حبر أسود فوق ورق أبيض .. وضعت
مشكلة حاولت أن تجد لها حلا .. وهى ما يعانيه الجيل
الجديد للمرأة العربية بين انطلاقه وتحرر الحاضر وما
يشدها من تقاليد المـــاضى . وعواطفها التى تتردد
كمركب هائم فوق بحر : أمواجه بشر . وزرقته أمل .
وعواصفه اثارة ورغبة وشر . وصفاؤه انسانية وعقل
وفكر !

واسأل ليلى عسيران عن الطريق الذى تسلكه فى أدبها . فتقول ، وعيناها لا تراهما من وراء نظارتها الرفيعة بعد أن ضاعتا مع سواد رموشها :

.... — اتجاه يبدأ من ديستيوفسكى .. سيمون دى بوفوار .. سارتر .. كامى .. كافكا . ويكاد ينتهى عند صموئيل بيكت .

.... — والجديد الذى تكتبينه ؟

.... — روايتى الثانية التى ستصدر بعد أسابيع هى : « الحوار الاخرس » . وفيها أعالج جو لبنان السياسى من خلال قصة انسانية .

وأترك ليلى عسيران .. التى تقضى أياما مع أدباء القاهرة .

وانتهى من قراءة قصتها . واتطلع الى غلافها الاخضر من جديد . وتكاد صورته تتلاشى . وومضة ملامح غلاف جواز السفر الاخضر تحتل مكانه .. وخاطر يمر سريعا وكأنه يقول : ان كتابها الاول هو جواز تدخل به الى الصف الاول لحاملات الاقلام العربية أو مؤلفات القصة عندنا فى أمتنا : عائشة عبد الرحمن [بنت الشاطىء] . أمينة السعيد . ليلى بعلبكى . مى زيادة . غادة السمان . كوليت خورى . صافيناز كاظم . زينب صادق . سناء البيسى . صوفى عبد الله . جاذبية صدقى . د. نوال السعداوى .

□ □ □

بيكاســـو .. !

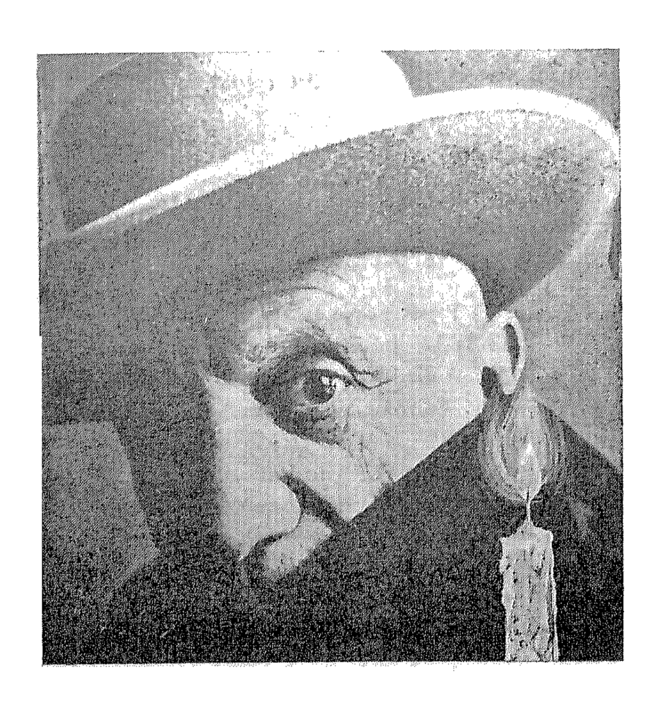
■ .. أشهر من عاش وعمر بين أهل الفن المرسوم :

□ الامريكية : جراند ((موسز)) (١٠١ سنة) .. وقد بدأت حياتها الفنية مع مستهل عامها الـــ ٧٠ !

□ الايطاليان : تيسانو (١٠٠ سنة .. الا شهرين) و ... مايكل انجلو (٨٩ سنة) .

□ وهذا الشهر أو على وجه التحديد فى ٢٥ أكتوبر .. سيحتفل الاسبانى المتفرنس : بيكاســـو .. أشهر فنانى القرن العشرين بعيد ميلاده الـــ ٨٩ . أى أنه سيضرب الرقم الطويل الذى بلغه الايطـــالى الخالد الفنان المصور المثال المعمارى مايكل أنجلو . اذ تعداه منطلقا الى دائرة التسعين . اذ أن مايكل أنجلو عاش ٨٨ سنة و ١١ شهرا و ٢٦ يوما .

واذا كان بيكاسو سيحتفل بنفسه ، بعد وفاة صديقه أديب فرنسا فرانسوا مورياك [٨٥ سنة] فى أول سبتمبر المـــاضى أى بعد أقل من شهرين من فقده ، فان فنانى العالم المعاصرين سيذكرون بيكاسو بالخير مع محافلهم ومعاهدهم . فهو الفنان الاول الذى [بصم] بشخصيته الفنية وأسلوبه الفنى المتطور المتغير على فن القرن العشرين .. وقد بدأ يلمع مع الســـنوات الاولى من عشرينات عمره ، عندما رحل ثم هاجر الى باريس .. فتـــأثر بـــ [نعـــومة] فن : رينـــوار



□ .. بيكاسو ونظرة الى شمعة جديدة ؟

و [سخرية] : تولوز دى لوتريك ، ومن ثم ترك المتابعة والتأثر الى ذاتيته ، وتغلبت صفة الابتكار والابداع على المحاكاة ..

ومن هنا انطلق : بابلو رويز بيكاسو : من مرحلة الى أخرى .. فتتابعت أساليبه فى فترات ومراحل ذاتية .. أطلق عليها نقاد الفن [الزرقاء] . ثم رحلة

[السيرك] الى الفترة [الوردية] ثم (بدائية الزنجية الافريقية] .. وعمل مع : براك ، فأبدع الفن التكعيبى بتصميماته المختلفة من تثليث الى دائرى .. ومنه انطلق الى مرحلته [الحوشية] واندفع فى صاروخية الى نفسه .. الى الـ [بيكاسوية] .. ومنذ ٣٣ سنة قدم للعالم لوحته الكبرى : جورنيكا .. اسم بلدة صغيرة فى أسبانيا — وطنه الاول — مصورا مأساة الحرب الاهلية هناك .. وأفرد ألوانها على مساحتها التى تطول نحو ٧ ١/٢ متر .

اتجه الى النحت والخزف .. أيضا .

لم يتوقف فكر بيكاسو .. على شخصية واحدة .

والى عالم الشعر .. كتب قصائده .

والى دنيا الرواية . فألف .

والى عالم الغناء والموسيقى .. وان لم يترك أثرا ممتازا يلهث صغار الفنانين وكباره .. ليقلدوه كما فعلوا ويفعلون فى عالم اللوحة واللون والتمثال .

بيكاسو : لا يعرف لذاتيته ولا لسنوات عمره حدودا

تزوج زوجته الثانية .. وله من العمر ٧٩ سنة . وربما ليس فى هذا غرابة .. فهو فنان يتأثر . وكانت نموذجا يرسمه : [موديل] . ولكن العجب أنه كان يكبرها بأكثر من مرتين ونصف مرة اذ كان عمرها ٣٠ سنة يومها ؟

وعاشا ٨ سنوات .

وتطلقا بالطبع .

وكتبت عن حياتهــا معه كتــابا أعجب . أغتنت معــه . عرضت فيه هى بمداد قلمها الصور التى لم يرسمها بيكاسو لذاته وانما رأتهــا هى فيه .. ورأيها فى تصرفاته التى تبدو مع الشذوذ توأما .

وبيكاسو .. يستمر فى حياته الفنية وغير الفنية .. رجلا غريبا فى دنياه .. يعيش عند شاطىء فرنســا الجنوبى بالقرب من الريفيرا حيث كان يعيش الروائى البريطانى : سومرست موم .. يردد فى مرسمه شيئا أغــرب : [هل أنا مهــرج أم مجنــون .. أم فنــان حقيقى .. ؟ !!] .

وتاريخ الفن الذى سيقول كلمته .. لا ينتظر .. انه قال فعلا كلمته .. نفى عنه التهريج والجنون فى أكثر من ٥٠٠ كتاب كتبت عنه بلغات الارض . وعلى رأسه يضع : الفن تاجه

□ □ □

أم كلثوم : والبحر والبترول ..



■ .. والنكتة ، على لسان أم كلثوم ، كالاغنيـــة .. بل هى توأم لسرعة بديهتهـــا !

قالت : ونحن على شاطىء ((السخنة)) ، الذى يبعد ٥٠ك. جنوب السويس : .. يا سلام على النسيم العليل .. وعلى النسمة الحلوة ((الباردة)) .. دى !!؟؟

وقد رحنا الى هناك لنحضر احتفاء محافظة السويس بيومها القومى ، قبيل حرب ١٩٦٧ ، بأربعين يوما .

وعلى الشاطىء الازرق سرنا .. وحديث يسرى بيننا ، يروح ويجىء ، كالموجة الهادئة التى تنفرد من بحرنا الاحمر .. من تحت أقدامنا .. وعلى صفحة خيالات : شعب المرجان التى تتمـــاوج من تحتهـــا وكأنها : عرائس المـــاء .. تتراقص ،

فى جو أسكرته نسمات مطلع ربيع .. وجبل ضخم أسمر ، من الصخر ، يحرسه .. وقناة ـ على القرب ـ بالخير والعملة الصعبة .. تتدفق ، وأنابيب بترول بالذهب الاسود تنبض .. وأم كلثوم : تتحدث وتمرح على الرمال .. وتجرى الى الماء ، ثم تخرج منه لتضحك سعيدة فرحة بعيدا عن الناس فى حضن الطبيعة ترمى بكل متاعبها لتلتقى بكل بساطتها: .. عادت كطفلة ترى البحر .. لاول مرة ؟

وأسألها مداعبا : هل تصورت لون البحر الاحمر .. أحمر . وانت صبية .. أول ما سمعت عن اسمه ؟

وترد أم كلثوم ، وهى تتلفت الى البحر فجأة :

.... ـ ماكنتش أعرف الا الترعة ، والحاجات دى . الساقية كانت هى البحر ! والمسقى : هى النيل. عمرى ما شفت البحر الاحمر . قبل سنة ٤٨ حضرنا هنا علشان نعمل حفلة بمناسبة الحرب فى فلسطين . ما حسيتش احنا كنا فين !

لكن أول مرة سمعت عن البحر الاحمر كان فى مصر . مش فى البلد . وأيامها تصورته أنه أحمر فعلا . وفوجئت بأنه أزرق .

.... ـ احساسك ايه دلوقت وانت بتشوفى البحر؟

أم كلثوم ـ بأحس بانطلاق عجيب . حاجة غير محدودة . منطلقة . باحس به شىء رهيب . طبعا مش زى الترعة بتاعتنا (وتضحك أم كلثوم) وفيها شوية البط والوز عايم . وانما ده حاجة تانية .

أولا لازم تعرف ان المنظر اللى بياخدنى فعلا ، وأحب أشوفه كل يوم ، هو منظر فيضان النيل فى الترعة ..

يبقى الحشيش طالع أخضر من وسط الميه .. أهو ده المنظــر اللى بيسحرنى صحــيح . أيام كتير أحن اليه . أركب واطلع الى منطقة القنــاطر الخيرية .. خصوصا أيام الميه بتاعة الفيضان اللى لونها بنى .. مش الرايقة .

وده منظر لو قعدت أمامه ساعات ، ما ازهقتش .. أما منظر البحر ده .. منظر رهيب . حاجة ليس لها نهاية .

.... ــ تحبى تشوفيه ناعــم هادىء نعســان .. والا ثائر هائج بالامواج ؟

أم كلثوم ــ لا ناعم حصير .. زى المية الفاترة ، لا هى سخنة ولا باردة ، وانما لمــا يكون ثائر قوى . يكون مخيف . ولكن منظر له شخصيته !

.... ــ أتتذكــرين أول مــرة سمعت : مثــل والا كلام فيه كلمة .. (المــاء) أو (الميه) ؟

أم كلثوم : .. ((وجعلنا من المــاء كل شىء حى)) كنت باسمع قرآن . صحت عليه أذناى مع عقلى فى سن الطفــولة .

.... ــ وكلمة ((البحر)) ؟

أم كلثوم ــ بلدنا كانت على ترعة مش على بحر . لكن يمكن سمعت المثل اللى بيقول أن : .. ((فلان : ده بحر)) . وده يحمل معنيين : بحر علم ، أو ، بحر غريق ما تعرفلوش قرار . يعنى متفهملوش حاجة .

.... ــ و ((الشاطىء)) ؟

أم كلثوم ـــ أول مرة سمعت عنه فى رأس البر .

ثم تضحك أم كلثوم ، لتقول :

.... ـــ ولكن .. يمكن غنيت له قبل ما شفته فى « على شط النيل » !!

.... ـــ بتحبى الموج ؟

أم كلثوم ـــ بأحبه .. ده زى سنة الحياة ، لا يسكت ابدا . حركة : لا تهمد منذ الابد . فيه حيوية غريبة ..

.... ـــ ومنظـــر البحـــر أمتى ؟ فى الشروق أم الغـــروب ؟

أم كلثوم ـــ فى الاثنين ، ولكن لا أحبه فى الظهر . فى الشروق يعطينى : أمل ، وفى الغروب : موعظة .

.... ـــ و .. الودع ..

ام كلثوم ـــ أنا شفت الودع .. واحدة غجرية كانت بترميه من بتوع تبين زين فى الدوار وقالت لقريبة لى : ارمى بياضك .

لفت نظرى ، كطفلة . وضعته بالقرب من اذنى .. سمعت [وش] . اترجيتها أن تعطينى اثنين تلاته .. وأخذنا نلعب بيه . كنا بنعملها تليفون ـــ زى بتـــاع حضرة العمدة .. ! ونحس أنهـــا بتعمل وش زى التليفون ! أهو لعب عيال أيام زمان . !

وتضحك أم كلثوم ، تقهقه . وترفع ذراعيها فى الهواء .. تحاول أن تقلد طفولتها .. وألمح خاتمها الجديد .. لكل سيدة أو آنسة هواية .. ولكن أعتقـــد أن هواية

أم كلثوم هى : الخواتم ، عديد منها رأيته يتغير من حول اصابعها . اشكالا والوانا . ولكن الذوق واحد : رفيع .

الخاتم ، الذى شاهدته ، والحديث يجرى بين عقلين . ويحمله لسانان . وتدلى به ذاكرة تعيه لذاكرة أخرى تمليه على القلم ، الان ، ومنه الى عينيك .. هذه اللحظة .. كان جديدا .. غريبا .. له : «دلايتان» على هيئة صدفتين . اذا مامست احداهما الاخرى فانهما تصفقان كأنما قد هزهما الطرب . ثم تتلامسان وتتلاصقان وكأنهما عاشقان فى قبلة يتخاطفانها بسرعة قبل أن يراهما أحد .. وسرعان ما تتراجعان وتطمئنان فتعاودان العناق .. ثم الفراق .. والوصال .. ألم تتعاهدا على الغرام ؟ من يوم أن صاغهما القدر حول أصبع سيدة الغناء ؟ !

وعودة من سرحة : الخاتم .. الى صاحبته ، أسألها ؟

.... — والبحر عندك . ما يجرى فوقه ؟. أم يقبع تحت سطحه ؟

أم كلثوم — الاحياء : .. فى البحر . مجموعة الحاجات اللى بتطلع منه : ألوان وأحجام وأشكال . منظر السمك بيعجبنى جدا . على فكرة أحب قوى منظرالسمك عن أكله . وأحب قوى منظر صيده .. حتى فى السينما . وفى رأس البر كنت اصحى بدرى علشان أشوف الصيادين وهم يسحبون شباكهم وفيها السمك . منظره زى الفضة .. كده بيلعلط . !! أنا بأتفاءل بالسمك . أحس أنه خير .

.... ـ وأحب أنواع السمك .. اليك ؟

أم كلثوم ــ البلطى .

.... ـ شكلا والا موضوعا ؟

أم كلثوم ــ لا .. طعما . البلطى المشوى على الطريقة بتاعتنا اللى بالرده .

.... ـ واللآلىء .. هل تخيلتها تحت ماء البحر فى أصدافها . أم فى فاترينة الجواهرجى ؟

أم كلثوم ــ الحق .. مافكرتش أبدا فى هذه اللآلىء فى البحر . دائما تحت الاضواء مش تحت الماء والاسماك !

.... ـ اللؤلؤ أو الالماس .. أحسن عندك ؟

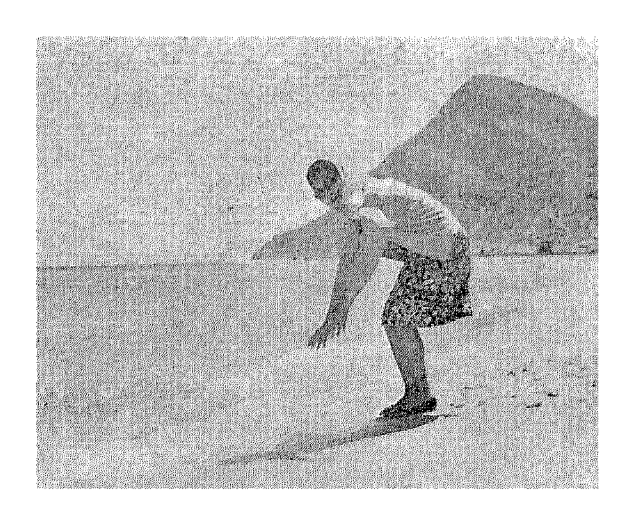
أم كلثوم ــ أحب الحاجات اللى ما تعملش هيصة . زى : الفيروز الازرق والزمرد الاخضر . الياقوت والحاجات دى أكتر من الالماس . أما اللؤلؤ .. فأحبه صغير على حاجات صغيرة . خرزة واحدة أو عقد بسيط كده .

.... ـ والذهب .. ؟

أم كلثوم ــ الذهب طبعا . كل الناس تحبه وأنا منهم . ولكن اللى أحبه أكتر علشان بلدنا هو الذهب التانى . اللى احنا ماشيين عليه دلوقت . من تحت الرمل والبحر ده : البترول .

.... ـ يا ترى أول مرة سمعت عن البترول .. امتى ؟

أم كلثوم ـــ البـــترول والا الجاز اللى كنا بنولع بيه اللمبة نمرة ٥ فى الدار . والا قصدك البترول ، الثروة . الذهب الاسود . ده سمعت عنه قريب . كل يوم أحب اسمع عنه . مشتاقة لاخباره . اسال عنه كعاشـــقة تسأل عن حبيبها . مشغولة به . هو فين ؟ تحت البحر؟ تحت الرمل ؟. تحت الصخر ؟ بادور عليه. اقرا أخباره. مع اللهفة كنمر التلامذة . شاغلنى . يا ترى لقينا والا لسه . باذن الله حنجده . حنقابله . ياما نفسى أشوفه يكبر ويكتر ويطلع أكتر وأكتر من الارض زى الجن ..



□ .. أم كلثوم : أمامها البحر ووراءها الجبل ! ..

نافورات تملا البحر . تملا الصحراء . تملا الارض . بالخير والفرحة !

.... ـــ تعومى ؟

أم كلثوم ـــ ابدا ما اعرفشى اعوم . ولا أعرف أى رياضة الا المشى . السير .. على الصراط المستقيم .

وتضحك أم كلثوم :

.... ـــ اذا كنت راكبة زورق .. انت بتجدفى .. وقعت جوهرة ثمينة منك الى المـــاء . ماذا تفعلين ؟

أم كلثوم ـــ أتضايق . أزعل انها وقعت . لكن ما أغامرشى بنفسى علشان أجيبها ولا أعرض حد تانى لا يعرف العوم .

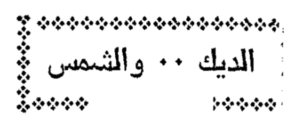
.... ـــ تميلين لركوب البحر .. و لركوب الهواء ؟

أم كلثوم ـــ لو سألتنى رايى الصحيح ، .. أحب : ركوب الارض . !! ؟ لكن الواحد يركب الصعب .. فتكون الميه .. وبعدين الاصعب .. الهوا .

.... ـــ الهوا .. بالهمزة ، والا ، بالياء ؟

أم كلثوم ـــ طبعا الهوى .. بالياء .. أحلى منه بالهمزة !!





الديك .. والشمس

■ .. الاقصر .. الرابعة صباحا .. على شرفة فندق ونتر بالاس .. ولا شيء الا الهدوء والنيل النائم . ومن بعده خط رفيع أخضر من الزرع .. يحرسه جبل أشم .. وكأنه حارس الليل ، بل حارس الزمن .. هو الجبل الذى دفن فيه الفراعنة أجسادهم باحثين عن امنية .. هى : .. الخلود !!

وتأملت ألوان الليل .. وستائر الظلام تبتعد .. بعد أن جمعت نفسها [تلملمها] لتنسحب من فوق قمــة الجبل . ولون من الورد قادم ينعكس مع موكب الدفء .

وتأملت .. وقالت لى نفسى :

الديك هنا لم يصح ليعلن مولد فجر جديد
ولكنها .. لمسة من ضوء
لمسة .. من الشمس
لمسة .. من رب رع
لمسة مبت جبل الخالدين
فهل صحا .. الراقدون ؟
ترى ؟ أين معجزة رع .. الاله ؟!
وأين أمانى الاقدمين ؟
... ...

وسحابة من ندى !
هائمة تظلل رؤوس النخيل
والنيل السارى يتهدهد . .
ليستقبل العابرين . والسائحين
ثم أعود لا تأمل من جديد
هل فعلت الشمس شيئا ؟
واضحك مع القدر
فحتى الحمار قد صحا
ولكن هل صحا الفراعنة الراقدون ؟؟

□ □ □

المحامى الشاطر ؟

■ .. مورد ((الخاطبات)) فى خطر .. !!

عملها الانسانى السهل هو أن تقنع العريس بمزايا عروسه ـــ أيا كانت ـــ ثم كوب من الشربات الاحمر الفرحان اللون . هنا وهناك .. وألف مبروك للطرفين .. وزغرودة [تلعلع] بها فى الهواء لتعلن بها الفرحة، وتغيظ بها العذال !!

ثم يد العريس تمتد مرتاحة بالمبلغ المعلوم الى يد الخاطبـــة مكافأة لهـــا على المجهود وعلى حســـن اختيار ((بنت الحلال)) له

هكذا تصورت الخاطبة التى زوجت أحد المحـــامين بعروســـه

وتخيلت الخاطبة أنها أشطر منه ، فقد اتفقت معـــه على مبلغ معلوم أعطاها منه مائة جنيه ، ولم يدفع لها الباقى وهو ١٥٠ جنيها كما قالت فى المحكمة .. فقد وصل الخلاف فعـــلا الى المحكمة لاول مرة فى تاريخ الخاطبات ، وتحولت شطارة العروس ومزاياهـــا .. التى كانت الخاطبة تشرحها للعريس ليتزوجها .. الى شطارة حقيقية .. لانها ساندت زوجهـــا المحـــامي العريس .

فكان أول عريس يقف ليترافع أمام القضاء ضـــــد الخاطبة التى كانت سببا فى التوفيق بينه وبين قرينته

وقالت المحكمة كلمتها .. وخيبت أمل الخاطبة .. وكل خاطبة .

قال القاضى : ((ان العقد الذى استندت اليهالخاطبة فى طلبها بالزام العريس بدفع ١٥٠ جنيها باقى الاتعاب عقد باطل من أوله الى آخره)) .

ولم تكتف المحكمة بهذا . . بل حكمت على الخاطبة برد المائة جنيه التى أخذتها منه مقدما لعدم أحقيتها فيه،فلا يوجد فى القانون ما يسند لها حقا بالنسبة الى أى من الطرفين .

لماذا لا تبحث الست الخاطبة ، وكل خاطبة ، عنعمل جديد تتعيش منه . . لانها لو سألت لعرفت أنها تحيا فى القرن العشرين .. عصر الصواريخ !

لماذا لا تترك العريس يختار عروسه ! ؟

... ...

.. ومع ذلك .. هل تريد أن تتزوج بطريقة غـــير انسانية ، أشبه بسوق الرقيق ؟!

ما عليك الا أن تشترى جريدة وتقرأ فيها لتختار عروسك !

فالحكاية أبسط من أن تسأل الست « الخاطبة »

ولكن هذا التقدم ــ ولله الحمد ــ لم يصل الينا ... انه

هناك فى بعض صحافة أمريكا التى تقدم لك اعلاناتها الزوجة التى تريدها ! ··

ان سماسرة الزواج .. أو الفئة التى تقوم بدور «الخاطبة» .. هى اليوم انشط فئة هناك !.. انها فئة مجددة باستمرار .. أصبحت اعلاناتها اليوم لا تقتصر على السن والطول والعرض ولون العينين ، بل أصبحت تكتب بطريقة مثيرة !! .

مقابلات اجتماعية .. رجال وسيدات من أحسن العائلات ·· مستوى الاخلاق والتعليم مرتفع جدا ·· المكتب مفتوح يوميا من ٩ صباحا الى ٩ مساء ·· مناقشات حرة ! .. قابل الشخص الذى يناسبك بطريقة مهذبة ·· فنحن نستعمل طرقا ومناهج علمية حديثة ·· مخ الكترونى يهديك الى الصعب من الاسئلة ·· المكتب معروف منذ ٤٩ سنة ·· ويمكننا اثبات ذلك بآلاف الزيجات السعيدة التى تمت عن طريقنا

··· وفى الصالة الرئيسية للمكتب يمكنك أن تقرأ بسرعة آخر المعروضات :

أرملة مهذبة (٥٢ سنة) تملك ١٠٠ ألف دولار

ارملة جميلة (٣٨ سنة) تعمل فى بيع المجوهرات

أرملة (٤٥ سنة) تعمل فى البيع بالجملة

أرملة (٦٠ سنة) تملك محلا لبيع المجوهرات

أرملة (٣٥ سنة) جذابة تملك ٣٥ ألف دولار .

آنسة (١٩ سنة) جذابة ، ثروة والديها ٢٠٠ الف دولار ٠

آنسة (٢٢ سنة) تعمل مدرسة ٠٠ ثروة والديها ٣٠٠ ألف دولار

قام المكتب بتزويج ٣ أجيال متعاقبة .. وزبائنه من الرجال .

... ...

وهناك مكتب آخر نشر اعلانا يقول :

دكتور (٣٠ سنة) طويل مهذب

طبيب أسنان (٣٨ سنة) طوله ٥ أقدام محترم

صيدلى (٢٦ سنة) ٦ أقدام ، يملك مخزنا كبيرا للادوية

... ...

أما الاخلاق ، والعواطف ، فيبدو أن ليس لها حساب فى الميزان ٠٠ !؟



الباخرة : ((بوبيديا))

■ .. شربت الفودكا وأكلت الكافيار الاحمر والاسود في عز الظهر ... على سطح أول باخرة روسية أركبها .. وكان ذلك منذ نحو ١٢ سنة ! . وفي خيالي طيف : بيرم التونسي ، وكيف جال في الارض ولفها عدة مرات على ظهر باخرة روسية أيام الحكم الملكي في مصر .. الذي لم يكن يشـــجع لا كثيرا ولا قليلا الاتصـــال بالسوفييت . وبالتالي كان منع دخوله مصر أمرا واضحا .. الى أن تشفع له المعجبون بفنه وقصائد أشعاره ..

ولم أكن مسافرا الى الاتحـــاد السوفيتي .. ولكن الفضول وحده هو الذي دفعني لان أزوره بعد أن علمت من أمـــير البحر يوسف حماد مدير الموانيء والمنائر ــ وقتئذ ــ أن ((بوبيديا)) باخرة الركاب الروسية في ميناء الاسكندرية ..

وبسرعة أقنعت نفسي .. لقـــد رأيت مراكب كثيرة وركبت مراكب اختلفت أحجامهـــا وجنسياتهـــا .. من ((ظهـــر)) .. المظهر الواقعـــي لا التعبيري للبـــاخرة ((اسبيريا)) حيث التحفت بنجوم الليـــل وبرد الفجر وشمس النهار ... الى أفخم جناح في المدينـــة العائمة ((كوين ماري)) ملكة الاطلنطي.. فلم لا أرى ((بوبيديا))؟!

وهنـــاك في جنـــاح قبطان ((بوبيديا)) .. كانت مائدة بيضاوية عليها الفودكا والكافيار ونحو ١٠ زجاجات

من الكونياك ومياه معــدنية وعصير برتقال وليمــون وبسكويت وشيكولاته .. وكلها صناعة روسية .. وفى صدر المكان صورة ضخمة للينين .. على الحائط .. وصورة كارت بوستال لخروشيشيف .. ونبات صبار صغير فى آنية زرع بجوار النافذة .. وعشرات الصور لابن القبطان وزوجته على الحائط وتحت زجاج مكتبه.

وكان حديث مرح مع القبطان الضخم الطيب القلب .. الضاحك .. الذى جلس معنـــا .. بقميصه الابيض وبنطلونه الرمادى .. وقد أعتلى رأسه شعر أبيض واقف كفرشاة .. بينما انسابت أنغام ايطالية مسجلة فى جو الحجرة .

وفهمت من قائد المركب : ((ايفان)) .. انه تخرج فى مدرسة التجربة والبحر .. منذ كان صبيا وعاش فوق الماء أكثر من ٥٠ سنة .. حيث لف العالم كله .. وكثيرا ما زار أمريكا .. وتردد قليلا عندما ســألته أى بلـــد او شعب أثر فيه وأحبه ؟ . قال أنه يفضل مصر الآن .

وعرفت من ((ايفان)) تاريخ السفينة ((بوبيديا)) .. انها قديمة .. عمرها ٣٠ سنة .. ولكنها حرقت منذ ١٠ سنوات فى البحر الاسود خلال رحلة كانت تقوم بها بين ميناء أوديسا بروسيا وأمريكا . احترقت فجــأة وبلا سبب وأصبحت هيكلا .. وكان أن أعادوا بناءها .

وربما هــذا هو السبب الذى جعلنى أفسر طريقة فرشها وتأثيثها من الداخل .. فقد كانت اللمسة الفنية فيه تميل الى العنصر الجمالى القديم .. لا الحديث ... واشتد عجبى عندما شاهدت أربع درجات فى المركب : حجرتين فقط للوكس .. ثم درجة أولى .. ودرجة ثانية

.. ودرجة ثالثة .. اذن هناك طبقـــات ودرجات .. وكنت أعتقـــد أن هناك شيوعية وتوحيـــدا فى درجة واحدة !!

وعلمت أن « بوبيدا » اسم المركب معناها « النصر » وانها تتسع لـــ ٤٣٣ راكبا وحمولتها ٩٨٢٨ طنا ، ويمكنها أن تحمل ٥٤٧٤ طن بضـــائع ، وسرعتها ١٥ عقدة ، وطولها ١٥٤ مترا وعرضها ١٨٫٥ متر ، وربع طاقمها من النســـاء .

وعلمت ان قيمة تذكرة السفر بالمركب « بوبيدا » من الاسكندرية الى أوديسا هى ٨٤ جنيهـــا للوكس و ٦٩ جنيها للدرجة الاولى و ٤٠ جنيها للثانية ، وهى تقطع الرحلة فى ٦ أيام .

وسمعت من القبطان أن « بوبيدا » هى الســـفينة الروسية المدنية الوحيدة التى تعمل فى خط منتظم بين أوديسا والاسكندرية ، وانها تأتى وترحل من الثغر كل ٢٠ يوما ، وتمر على بيروت وبيريه والبسفور والبحر الاسود فى طريق رحلتها . وقال أن للسوفيت ـــ حينئذ ـــ مركبا تجاريا حـــول أوربا ومركبين فى البحر الابيض و ٧ فى البحر الاسود . والقبطان ايفان يتحدث الانجليزية .. ولكن يعاونه بصفة دائمة الضباط : جورجى أوتوف للترجمة ، بصفة ودية .. والمترجمة : « ليـــدا » ، بصفة رسمية .. وهى تتحدث الانجليزية بطلاقة والالمانية وقالت انها تعلمتها فى جامعة : موسكو .. وقالت لى أن أضـــخم سفينة ركاب روســـية اسمها « سوفتســـكى سوجوز » ومعناها « الاتحاد السوفيتي » وعدد ركابها ١٢٠٠ .

وسألت القبطان : « ايفان » ، عن اهم المنتجات التى يحملها مركبه .. قال :

.... ـ اننا نأخذ من الاسكندرية : الارز الى روسيا . ونعود الى ثغركم بالآلات ..

وهنا تدخلت ليدا فى الحديث وقالت :

.... ـ اننا ما زلنا نحمل « الفراغ » فى حجرات الركاب !!

ونظرة منى الى [القمرة] لأرى زرقة البحر .. ثم أعود لالتفت الى مكتب القبطان الى ما تحت (بلور) لوح الزجاج الذى يفترشه .

ونظرت الى صورة ابن قبطان « بوبيديا » تحمله أمه . وسألته عن أسمه ..

وابتسم القبطان .. وهو ينظر بفخر الى الصورة ... ويقول :

.... ـ « ميكل » ... كأسم جده . هذه الصورة قديمة من ١٠ سنوات . أنه الان يكاد يبلغ طولى !

ـ واسمك أنت

ـ ايفان

وأردت أن أثيره قليلا ... فقلت له :

.... ـ « ايفان الرهيب » !

ـ لا لا ... اني رجل طيب ... : « ايفان ميكل بيبسمني » ..

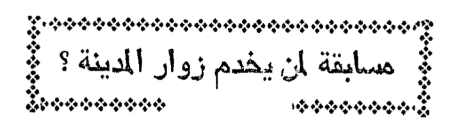
وضـــحك « ايفـــان » ضحكة عاليـــة .. وهو يتطلع الى ابنـــه الذى فهمت منه أنه ابنه الوحيـــد الآن .. فقد كانت له أسرة وزوجة قبل زوجته الحالية .. ولكن الالمان هم السبب فى هلاك أسرته خلال الحرب العالمية الثانية .. وكانت له ابنة من زواجه الأول .. لو كانت حية لاصبح عمرها ٢٦ سنة ..

ويقف ايفان كل ١٠ دقائق ليشرب أى نخب .. نخب البلد والصداقة ، أو نخبى ، أو نخب الضيوف ، أو نخبه هو .. المهم ان يشرب وأشرب فى كرم وضـــيافة لم أتعودهما على المراكب التى ركبتها من قبل ..

وللمرة السادسة وقبل أن نهبط الى رصيف المينـــاء وقف القبطان الضخم الضاحك : ايفان ، ليشرب نخب الصداقة من جديد ..

وملئت الكؤوس بالفودكا .





■ .. هذه فكرة بسيطة أهديها الى وزارة السياحة ومؤسسات الفنادق فى بلادنا . ومن العراق حتى المغرب ومن سوريا حتى السودان .

فى يوم معين من شهر يوليه من كل عام ، تقوم هيئة السياحة فى برلين ، بتنسيق مسابقة عن برلين من الذين يخدمون زوار المدينة : الجرسونات . الطباخين . خدمة الفنادق .

والمسابقة تتم فى الطريق العام . فى مظاهرة سياحية — هى فرجة فى حد ذاتها — اذ أنها تجرى فى قلب المدينة على طول بداية أهم شارع فى برلين وهو طريق كورفير ستندام .

ومع الساعات الاولى من الصباح يمتنع المرور على مسافة ١/٢ ك.م. ويتجمع على الجانبين بعض زوار وسياح المدينة وأقارب المتسابقين .

وتجرى المسابقة على دفعات متتالية مختلفة الانواع . ويشترك فيها كلها نحو ١٠٠ جرسون وجرسونة وطباخ . الكل برداء العمل والخدمة . وبالطبع تنتهز الفنادق وشركات المشروبات الفرصة فتضع اعلاناتها فى كل مكان .. حتى تبدو عند التصوير التليفزيونى أو الصحفى مستغلة الفرصة .

ويبدأ السباق الاول .. بين دافعى براميل البيرة . الى مسافة ٤٠٠ ياردة .

والسباق الثانى بين الجرسونات .. الكل يحمل صينية عليها كذا عدد من الزجاجات والاقداح والكؤوس .

والسباق الثالث بين صبية الجرسونات .. الذين دخلوا الخدمة حديثا .. يحملون صينية أخف . وما أكثر الاخطاء التى يقعون فيها بسبب نقص الخبرة .

ثم ينطلق السباق الرابع بين الطباخين . كل واحد يحمل طاسة فيها بيضتان . الفائز هو الذى يطلع صاعدا سلالم هابطا سلالم .. نافذا من أبواب مجنحة يدفعها بكتفه .. دون أن تقع احدى البيضتين .

وبعدها يجىء دور سيدات الخدمة فى المحال العامة والمطاعم والفنادق .. وسباق بينهن يجرى . وكل واحدة تحمل بين يديها شرابا وطعاما فى صحون وأقداح وكؤوس . ويجرين مع الاحتفاظ بالرشاقة والخفة والجمال !!

وتسأل : وما هى الجائزة ؟ ومن يقررها ؟

والجواب يجيئك . الاول فى السباق : صاحب أكثر مجموعة درجات .. ويلاحظ فى النتيجة رشاقة القوام وتهذيب الحركة وعدم الاندفاع .. والا أنطلق ما فى الكأس اثناء الاندفاع .. الى وجه الزبون دافع ثمن المشروب ! والعبرة ليست فقط بالسرعة والرشاقة وانما بالكياسة أيضا . والذى يقدم الجائزة الاولى هو هيئة السياحة الرسمية فى برلين . والجائزة عبارة عن تذكرة سفر

بالطائرة من برلين ــ ميونخ ــ برلين . وذلك للفرجة والسياحة .. التى تفيد الجرسون أو الطباخ أو الذى يخدم فى المحل السياحى العام .

والى جانب جائزة الطائرة عدة جوائز مالية ونوعية .

نسيت أن أقول انهم مع سباق هذا العام أضافوا مسابقة جديدة خاصة بالناشئين من موظفى الفنادق الصغار .

المسابقة على هيئة حقائب سفر يحملونها ــ بالطبع فارغة ــ ويجرون بها .. والشاطر من يطلع الاول . والهدف فى هذا هو السرعة لاراحة الزبون عندما يصل الى الفندق ويريد أن يغير بسرعة بعض ملابسه بعد تعب السفر . أو عندما يريد مغادرة الفندق واللحاق بوسيلة الترحال .



صيام : الهلال مع الصليب

■ .. القاهرة التى يسكنها ٥ ١/٢ مليون نسمة وبها ٢٠٠٠ مئذنة و ٤٠٠ برج كنيسة ترتفع بين زحـــام البشر وعمائر العاصمة الى السماء لتصلى مع كل أذان ودعاء أو رنين الاجراس مبتهلة الى خالق السماوات والارض وما فيها وما عليها .. تصوم بعد أيام .. مسلمين ومسيحيون معا .

وفى الطريق الى ساحة الازهر الشريف وزمن يطل مع ألف سنة منه واليه .. التقى بالشيخ أحمد حسن البـــاقورى . وحمام أبيض يرفرف فى زرقة السمـــاء وابتهالات تسمع همهمتها بالقرب من الجـــدران .. وطرقات هامسة تصلى بها حبات عددها ٩٩ بعـــدد أســـماء الله الحسنى : تهمس بها ســـبحة الشـــيخ البـــاقورى ..

ومن الطبيعى أن يبدأ الحديث من حول الصـــيام عند اهل محمد وأهل المسيح ، بعد أن جمع الزمن بين الصيامين ، بشرى لوحدة دامت على أرض النيل ١٢ قرنا ويزيد .

وأسأل الشيخ الباقورى : عن المعنى اللغوى لشهر رمضان الكريم . فيجيب الشيخ :

.... ــ رمضان : هو شهرسمى باســـم الزمن الذى جاء فيه أول ما صامه المسلمون : أى أول ما عرف

وأن لم يغير الاسم عن المسمى دائما لان رمضـــان من الرمضاء وهى : شدة حرارة الارض الرمضاء ، وهو اسم قديم كان مستعملا قبل الامر بالصوم اسما للشهر .

.... ـــ هل كان المشركون يصومون فى هذا الشهر ؟

.... ـــ كان لهم أشهر حرم غير رمضان . أربعة أشهر يحرمون فيها على أنفسهم القتال . اذا لقى الرجل قاتل أبيه فى هذه الاشهر لا يقتله . وهى : ذو القعدة . وذو الحجة . والمحرم . هـــذه ثلاثة أشهر متتابعة . ثم رجب الفرد .

.... ـــ أول مرة جاءت كلمة شهر رمضان فى العربية؟

.... ـــ لا أستطيع أن أحدد هذا الا أن نرجع الى بحوث طويلة ذات سند . وهذا بحث يجب أن يقوم به باحث . وكثير من الشهور سمى باسم اللحظة التى حدثت فيها أسبابه ، مثل جمادى الاولى ، من التجمد ، أى أن الماء يتجمد من شدة البرد . وسموه جمادى وان لم يتجمد الماء فى هـــذا الشهر . ورمضان من الرمضـــاء ، وان جاء فى غير شهر حر . ويفهم من هذا أن أول شهر سمى رمضان فى اللغة العربية جاء فى شهر شديد الحر . وأن صوم رمضان لاول مرة جاء فى شهر حار جدا . فهو صفة للحرارة الشديدة ، أى من الرمضاء .

.... ـــ اذا ما رجعت بالذاكرة .. ما هى الظاهرة العربية التى جاء فيها لفظ رمضان ؟

.... ـــ جاء ذكره فى القرآن الـــكريم مرة مضـــافا اليه : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » . ومرة أخرى لما يقع فيه ، وهو ليلة القدر ، لانها فى شـــهر

رمضان ، وذلك حيث نقرأ فى القرآن : « انا أنزلناه فى ليلة القــدر » . وليلة القدر فى العشر الاواخر من شهر رمضان ، فذكر رمضان هنا ليس باسمه ، ولكن بصفة فيه ، هى وقوع ليلة القدر فيه .

□ ومرة بلفظه : « شهر رمضان الذى أنزل فيهالقرآن هدى للناس » .

□ ومرة بوصف لا يكون الا فيه : « انا أنزلناه فى ليلة القدر » ، وليلة القدر فى رمضان .

□ « انا أنزلناه فى ليلة مباركة » ، وهى ليلة القدر ، وهى فى رمضان .

اى أنه ذكر باسمه مرة فى قوله تعالى «شهر رمضان» .

وذكر مرة ثانية بخاصة من خواصه وهى ليلة القدر حيث يقول الله تعالى « انا أنزلناه فى ليلة القدر » .

وذكر مرة ثالثة بهذه الخاصة نفسها وهى ليلة القدر معبرا عنها بالليلة المباركة كما يقول تعالى : « انا أنزلناه فى ليلة مباركة » .

سيدنا عمر أول من أرخ للتاريخ الهجرى واستعمل الاشهر المعروفة من قبل فى الجاهلية . وهذا الاستعمال كان غامضا فى ضباب البحث . وهو أمر يستحق أن يبذل فيه طلاب العالمية الازهرية بحثا لو حققوه لاســـتحقوا الدكتوراه .

.... ـــ بعد أيام يكاد رمضان والصيام الصغير عند المسيحيين يجتمعان . فما هى حكمة الصوم عموما ؟

.... ـــ الحكمة من الصوم تهذيب النفوس وتقوية الارادات وتمكين النـــاس من السيطرة الكاملة على شهواتهم عن طريق تقوية ارادتهم بالصيام .

وأنا هنا لا أتحدث عن صيام رمضان عند المسلمين فقط ، فانه فى رمضان هذا يقع صيام اخواننا المسيحيين فيصومون صومهم الصغير مع المسلمين فى صوم رمضان . وهنا يطيب لى أن أذكر الآية التى تشير الى الصــــوم فى القرآن وهى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصـــيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » . ويطيب لى أن أذكر الآية التى فى الكتاب المقدس التى تشير الى صيام أهل الكتاب وهى « متى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك لكى لا تظهـــر للناس صائما . بل لابيك الذى فى السماء . وأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية » .

فقد التقى الكتاب المقدس مع القرآن الكريم فى تكريم معنى الصيام ، كما التقى المسلمون والمسيحيون فى هذا الوادى على أيام الصيام .. المسلمون فى رمضـــان والمسيحيون فى الصوم الكبير . وكما ضمت جنبات هذا الوادى الابى العزيز المواطنين جميعا من مسلمين ومســـيحيين فى مودة وســـلام بغير تعصب ممقوت ولا تزمت بغيض ، يصح لنا أن نتفاءل أشد التفـــاؤل بمستقلبنا فى لقاء أيام الصيام عند المسلمين والمسيحيين جميعا فى شهر رمضان وفى الصيام الكبير .

.... ـــ فى صفات الروحانيات كثير من ايمان الوفاء والتأمل . ولا أبعد كثيرا اذا ما قلت الشجاعة . هذه المعانى الانسانية أيها أقرب الى نفسك أولا ؟

.... — أرجو الا أجانب الحق قليلا ولا كثيرا حين اقرر أن التأمل هو أقرب هذه المعانى جميعا الى نفسى . وقد ينشأ عن التأمل الايمان اذا كان تأملا مستنيرا . وقد تنشأ الشجاعة والوفاء كأصل من الاصول الحقيقية فى النفس الانسانية .

ولذلك نرى القرآن الكريم يدعو المسلمين فى الحاح الى التأمل ، وكذلك نرى فى الكتب المقدسة .

فالتأمل هو أصل من الاصول التى ترتبط بها صفات جليلة كثيرة فى النفس الانسانية . وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم ، قبل أن يلاقيه الوحى ، يذهب الى غار حراء ، ولا عمل له فيه الا التأمل . كما كان سيدنا المسيح عليه السلام يذهب الى البرية ويصوم هناك متأملا أيضـــا .

فالتأمل هو خاصة عظيمة من خواص النفوس الكبيرة فى القديم والحديث .

أما الوفاء فاننى فيما أعتقد وفيما أومن به وأحترمه ارى انه أصل من أصول الايمان . ومهما كان الوفاء شاقا على النفس الانسانية فهو من أجمـــل صفات المؤمنين واجلها . وما أقل الوفاء فى دنيا الناس هذه الايام ونحن نرى الصديق يبيع صديقه أحيانا فى سبيل منفعة عاجلة .

.... — هل تعتبر الشجاعة شجاعة الجسد أم شجاعة الرأى ؟ أيهما أفضل ؟

.... — الشجاعة فى رأيى هى شـــجاعة الرأى . فالشجاع فى رأيه عرضـــة دائما لمتاعب وأهوال . أما الشجاعة فى مواجهة الموت فهى شجاعة موقوتة بوقت قصير لا تحتاج فيه النفس الانسانية الى مغالبة طويلة .

ان الشجاع فى مجال الحرب يموت مرة واحدة . اما الشجاعة فى مجال الرأى فانها عرضة لمحن كثيرة كل محنة لا تقل شدة عن محنة الموت . وأكرم موطن للشجاعة حين تلتقى شجاعة الرأى مع عدم التهييب .

.... — وسط خضرة نبت الارض ، أو متطلعا الى زرقة السماء أو الى تيه الصحراء ، أو فوق جبل شامخ، يزيدك التأمل ايمانا بالله ؟

.... — كلما كان التأمل فى جو هادىء بعيد عن الصخب كأن أفعل فى نفسى منه حين يكون فى جو صاخب . فالجبل والصحراء أحسن مكان عندى استغرق فيه متأملا استغراقا شديدا . وأن للصحراء جمالا لا يقل عن جمال الخضرة والورد فى الحديقة الغناء .

فالمرء فى الصحراء يرمى ببصره الى آفاق لا نهاية لها ولا حدود . هنا تتجلى روعة الخلق فى جلال الخالق . ومن هنا أستطيع أن أدرك شيئا من الجلال الذى كان يعيش فيه محمد صلى الله عليه وسلم فى غار حراء . وشيئا من الجلال الذى كان يعيش فيه المسيح صائما فى البرية .

□ □ □

براج واسطورة تحريم الزواج ؟

■ .. اكثر من ١٠ دقائق مرت على فى براج .. أو «براها» عاصمة تشيكوسلوفاكيا كما يحبون أن ينطقوها .. قبل ان تحضر سيارة التاكسى التى طلبتها الدليلة المترجمة

ولم أتحدث ، وكنت فى طريقى مع عماد حمدى لزيارة استديوهاتها الضخمة : « باراندوف » التى تستلقى على غرب نهرها وتؤلف ٧ بلاتوهات كبرى .

ويبدو أن السيدة التشيكية الذكية قد فطنت الى التأخير .. فابتسمت وهى تدلف الى السيارة لتقول :

.... — ان سيارات براج كلها مشغولة . والسبب ...

وتضحك الدليلة د. كارولا — وهذا اسمها — وتقول:

.... — ان هناك خرافة تتوارثها التقاليد فى براج تؤثر على الزواج طوال الشهر الماضى .. الاسطورة تقول انه اذا تم زواج فى أحد أيام شهر مايو من أى عام .. فان أحد الطرفين .. العروس أو العريس.. تجيئه مصيبة ويموت ! .. ولهذا فان الضغط كله فى اجراء مراسم الزواج يشتد فى شهر يونيه من كل عام !

ورحنا الى الاستديو الكبير .. وفيه عناية بالتفاصيل والتصوير السينمائى . وينفرد عن استديوهاتنا بأن الاضاءة فيه كلها معلقة متدلية من السقف .. لا منتصبة على جدران أو أعمدة خشبية . كما أن التمثيل يتم غالبا

على طبلية خشبية تعلو الارض حوالى متر حتى يتمكن المخرج والمصور من كل لقطات المنظور .

أهم ما رأينا فيه تصوير فيلم موضوعه عن طرزان الراسمالى .. قالوا انه طرزان ألمـــانى اغتنى فى وسط أفريقيا وامتلك مساحات شاسعة من الاراضى والغابات والبحيرات .. وأنه جاء فى زيارة خاطفة لالمـــانيا غ. وتتهافت عليه بنات بلده للزواج منه ، لا حبا فيه ، ولكن طمعا فى أملاكه .

وقـــد ذهب خيال المخرج الى تعليق عـــدد كبير من (نجف) الكريستال فى أسقف قصره .. وتدلى تحت كل منها (عقلة) يقفز بها طرزان من نجفة الى نجفة عندما يريد أن يتحـــرك فى قصره المملوء بالقردة والغوريللا المحنطة .. تماما كما يتحرك بين فروع الشجر المدلاة !

وأعجب ما رأينا فى الاستديو ثعلب حقيقى صغير يربيه ويدلله الفنان المسئول عن تماثيل الديكور .

ولكن أغرب ما حدث .. أنه بينما كنا نغادر الاستديو .. اذا بالسيدة الدليلة التشيكية المتعلمة .. وهى على قدر كبير من المعرفة .. تفاجىء عماد حمدى بأن تسأله عن رقم جواز ســـفره واســـمه بالكامل ومكان ولادته وتاريخ ميلاده .

وذهل عماد حمدى ..

وردت بأنها الاجراءات .

وثار عماد حمدى ، وكان له حق . اذ أن جواز سفره كان فى ادارة الفندق . وسبق أن دققوا فيه النظر فى

المطار وفى فندق موسكوفا وفى كارلوفى فارى . وفى فندق الكرون عندما رحنا الى براج ٥ ايام وغادرناها وعدنا الى الفندق واحتجز جواز السفر للمرة الثانية .. وقبل كل هــذا كان عماد حمدى مدعوا رســميا من ادارة المهرجان ووزارة الخارجية لزيارة الاستديو !

□ □ □

البرج .. يميل !.

■ .. فلان بخته [مايل] ! .. يا خسارة !؟
الحكاية انقلبت .

[البرج] .. طلع [مايل] . خاف الناس . اندهشوا . إنه لم يقع فورا . ما أن اطمأنوا قليلا حتى فرحوا . انبسطوا . كادت الفرحة تجننهم ، وهم يرون الناس تزحف الى قريتهم الصغيرة . ناس جيران . ثم غرباء . ثم سياح .

جاءوا ليشهدوا الحال المائل . !

وتتدفق الفلوس . الليرات الايطالية .. فى جيوبهم .

وهكذا تمر أكثر من ٦ قرون .. والناس فى حيرة من أمره .. وأهل القرية خائفون عليه . على مورد الرزق الاول الذى أهداه الله اليهم .

ولكن من ١١ سنة بدأ أهل القرية يضعون أيديهم على قلوبهم .

وخرجت البرقيات من ايطاليا الى العالم تدق ناقوس الخطر .

ان احدى عجائب الدنيا ... فى خطر !

وأعنى .. برج بيزا .. المائل .. فى ايطاليا .

لا لانه مال .. فحكاية ميله قديمة ترجع الى ٦٨٧ سـنة

ولكنه فى خطر .. لان جماعة من السياح توجهوا الى بلدة « بيزا » هذا الاسبوع بسيارتهم واوقفوها على مقربة من البرج المـائل ثم أخذوا سلكا سـميكا من الصلب ولفوه حول قاعـدة البرج .. ثم ربطـوه فى « تصادم » السيارة .. وبدأ احدهم يحاول أن يحـرك السيارة فى الاتجاه الذى يميل البرج اليه .. وانشد السلك .. ولم يقع البرج .. ولكن النتيجة كانت التواء التصادم .. ثم انفصاله عن السيارة ..

وثار الايطاليون أهل البلدة .. خوفا على برجهـم التاريخى .. ومورد رزق بلدتهم .. التى دخلت التاريخ السياحى والمعمـارى من أوسع أبوابه .. وفرضت نفسها .. وهى القرية الضئيلة .. على عجائب الدنيا السبع .. فأصبح برجها على مستوى عظمة الاهرام ومنار الاسكندرية القديم ، وتمثال العملاق فى رودس ، وحدائق بابل المعلقة ، ومعبد أفسوس ، وتمثال جوبتر المصنوع من الذهب والصاج ، ومقبرة موزلووس التى تنافس فى المركز السابع للاعاجيب : برج بيزا ، وتاج محل ، وسور الصين !!

بل لقد فرض البرج نفسه على العلم .. حين ساعد جاليليو على تأكيد نظرية الجاذبية !

اذن فلولا ميل البرج .. لمـا كان لبلدتهم خبر .. ولظلت مجرد قرية من آلاف القرى فى العالم .

فما فائـدة بيزا لو كان البرج مسـتقيما عاديا ؟

سيكون كغيره من الابراج .. اذن فلماذا يذهب السياح لرؤيته والتقاط صور الذكرى من حوله ..

وربما هم يحتجون على أى مشروع هندسى جديد للبرج .. ومع ذلك فبرجهم يميل كل عام ميلا لا تراه العين .. ولكن تحسبه المقاييس الهندسية المتعددة داخله .

ان برج بيزا .. الذىيزوره ٢٠٠ ألف سائح كلعام .. سيقع بعد ٣٠٠ سنة ! هكذا تقول الحسابات !

وبذلك ستنقص عجائب الدنيا الفريدة وتختفى أعجوبة وتنقص واحدة حين يتساقط البرج فى زمن لا يشهده هذا الجيل ولكن بعد أجيال ثلاثة ! الا اذا بعثت قصة أهل الكهف من جديد وعاش واحد من أبناء جيلنا هذا ليشهد هذا الحدث التاريخى العظيم .. اختفاء برج بيزا المائل الذى جعل لايطاليا ابتداء من القرن الثانى عشر اسما يتذكره السائحون حين يشاهدونه ويحكون قصته

برج بيزا الدائرى ، الذى يرتفع حوالى ٥٦ مترا ، أو على وجه التحديد ٥٦ر٧ متر من الجهة الشمالية و ٥٥ر٨٦ متر من الجنوب ، بينما قد انتقل مركز جاذبيته ٥٥ر٤ متر اذا ما تتبعنا الدقة ، وكما تذكر آخر العمليات الحسابية هذا العام !

وحكاية برج بيزا غريبة فعلا ، فقد كانت فضيحة كبرى فى عام ١١٧٤ حين شيده « بونانو دا بيزا » . فما كاد يرتفع بالبناء حتى الطابق الثالث ، حتى حدث ما لم يكن فى الحسبان .. فاذا الارض تذساب تحته ، واذا هو يميل ، فيوقف العمل .

ويتشجع « جيوفانى دى سيمون » ، فى القرن الثالث عشر ، لاستكمال البرج ، ويصعد بأطباقه حتى الدور السابع ، والميل واضح فيه كل الوضوح . ومع ذلك يأتى من يضيف الى الاعجوبة المعمارية برج بيزا طابقا جديدا أخيرا فى عام ١٣٥٠ حين أضاف توماسون بيزا الطابق الثامن !

ويشتهر البرج بانحرافه عن الطابق المستقيم ! ويبدو اى أن الناس دائما تميل الى رؤية هذا الطريق لا للسير فيه ، وتشتهر البلدة .. بيزا ، التى يتدفق اليها الزوار والسائحون ، وتصبح الفضيحة المعمارية عملا فنيا رائعا تفتخر به ايطاليا ، ولم يتوقف الامر على الفن والجمال بل تأثر به العالم كله ، حيث أجرى « جاليليو » من أعلاه تجربة القاء الاجسام والجاذبية !

ان مهندسا بولنديا معاصرا طار من وارسو الى روما ومنها سافر الى بيزا التى يسكنها ٤٨ الف نسمة .. تلهف كبارهم على لقياه عندما راح يقنعهم باستعمال طريقته المعمارية فى وقف الميل وتثبيت البرج .

وهو يدعو الى طريقة « التحجير الكهربائى » ، وهى عبارة عن حقن طبقة معينة بالسيلكا التى تشبه البلاستيك فى الطبقة البركانية الرخوة تحت البرج ، وبهذا يوجد بالارض مجال كهربائى يزيد من صلابتها .

ويقول مهندسو الآثار فى ايطاليا أن الآلات التى وضعوها داخل البرج تشير الى ترك الارض تحت البرج الذى يميل كل سنة ٧ر٠ ملليمتر . وأنه لو مال ٢١ سم أكثر من ميله الحالى فسيسقط حتما لانه سيفقد اتزانه ، ومعنى هذا أن البرج سيقع بعد ٣٠٠ سنة !

ولكن العلم والامل يحلقان فوق راس اصـــلع هو المهندس العالم الاثرى كليمان السويدى . الذى يدرس فكرة حقن الارض بالاسمنت !

فهل تظل عجائب الدنيا عددا مرموقا !

أم تضيق أرض بيزا بجمال برجها المـــائل الذى يجذب نحوها ٢٠٠,٠٠٠ سائح كل عام .. فتجذبه اليها ، ويقع

أعتقد .. أن هذه أول غلطة لمهندس أقام مبنى ومال .. فباركه الناس بدلا من أن يلعنوه ! .



عندما يتماوج البحر من جسد انسان

■ .. خصلة من ذهب ، تتأرجح وتتراقص كظل لهب ساخن أحمر .. فوق جبين وجه نحيف ، ابيض كثلج بلاده : روسيا .. كورقة شجر ، تهزها نسمة ربيع فوق فرعها الاخضر الفضى .. فى الهواء .

ولم يكن الفرع الا جسدا . رفيعا . طويلا جدا . يكسو صدره قميص واسع رمادى ، على نسيجه دوائر بيضاء هافتة .. يغطى بدوره بنطلونا رماديا وجوربا أبيض وحذاء أسود .. يضرب به على الارض مؤكدا وجوده .. وكفاه قد حولتهما أعصابه الى قبضتين يضرب بهما .. بثقة .. الفراغ من حوله .. وجسده يهتز الى الامام والوراء .. وذراعاه فى الهواء تتحركان فى انسياب .. وشفتاه تضغطان على عصارة فكره وخيالاته وأحاسيس وجدانه..فتنطلقان .. تهمسان . تصرخان. بالكلمة . بالكلمات .

كله .. خلجات تتفاعل فى بوتقة : .. انسان .

كان مثل : رجل الفضاء .. الذى يسير ويمشى ، فى الجو المطلق .. لا يربطه بدنيانا الا احساس : . . فرد ..

كان مثل : البحر ، عندما يتهادى . ثم فجأة يثور . يموج ، مع عاصفة الرياح التى تهب من بين يديه .

ولم يكن البحر : الا أعماق نفسه ، ورؤى أحلامه .
ولم يكن الموج : الا معانى كلماته .

وهكذا وقف شاعر روسيا المعاصر : « يفجينى ايفتشنكو » (٣٧ سنة) ، على مسرح دار أوبرا القاهرة ــ ذات عصر ساخن ، والدار بلا تكييف .. سبق حرب ٥ يونيه بــ ٥٠ يوما ، منذ أكثر من ٣ سنوات ــ ليلقى بعض قصائده قبيل أن يغادر القاهرة فى طريقه الى مدريد وربى اسبانيا ومنها الى باريس .. ثم يطير عائدا الى موسكو ، حيث يقيم وينشر ويلقى أشعاره بأسلوبه الخاص ، الذى بدا به لاهل القاهرة وأضواء عدسات التليفزيون والسينما موجهة اليه : .. ظاهرة ، فى عالم الالقاء والشعر . ظاهرة فى بساطة الاداء وتحكمه فيه دون أن يتقيد بمظهر ثابت كلاسيكى . رزين من فوق منبر عتيق .. وانما كان يموج ويثور ويتلوى ويندفع ويصمت ثم يتأوه ويصرخ ويتراجع ليتقدم وينثنى لينفرد شامخا مترفعا .. بالكلمة .. يعبر بها عما أحس وتخيل فى رنين وموسيقى الشعر . انه شاعر العصر التليفزيونى . حتى تعى كل معنى لحروف كلكماته .. يجب أن تراها وهى تتحرك معه .

شاعر : قذف بالنشاء بعيدا عن شخصيته .!!

قال أنه فى سبيل قصيدة عن رحلته الى أرض النيل ، التى وصفها وهو يقدم لقصائده السبع التى القاها .. انه أحس ، وهو فى الاقصر ، بأنه ولد فيها ، وأنه جزء منها . من خلودها .

ويضحك : ايفتشنكو كثيرا ، وشاعرنا عبد الرحمن صدقى يلقى كلمة رقيقة يقدمه بهــا الى جمهــور


□ .. ايفتشنكو : أمواج الفكر ..

الاوبرا .. عندما قال فى نهايتها : ((فلاناده باسمه الصغير الذى اشتهر به فى بلاده : جينا)) .
وهنا استغرق ايفتشنكو فى الضحك كطفل سعيد من هذا الخطأ غير المقصود لان اسمه هو ((جينى)) وليس باسم البنت : جينا . !
ولكن قبيل الحفل لم يضحك ايفتشنكو كثيرا .. اذ حدث أن ضاعت ترجمة قصائده من الروسية الى العربية . أضاعها الفنان الممثل : عبد الله غيث ، الذى كان مفروضا أن يشترك مع محسنة توفيق فى القائها كلما جاء دور قصيدة منها قبيل أن يلقيها صاحبها بالروسية
وضاعت الاوراق .. وضاع معها جهد ترجمتها . ولم يبق على الحفل لا لحظات . ماذا يفعلون .. هيصة . بحث عن الشاعرين

صلاح عبد الصبور وعبد المعطى حجازى مع مترجمين. وأخيرا وفى اللحظة الاخيرة تنفسوا الصعداء . فقد صاغوا الترجمة من جديد . وطلع حجازى بدلا من غيث الذى اختفى من خشبة المسرح .. ووقف عليها شاعر روسيا المعاصر .. ايفتشنكو .

وتصرخ أعصاب ايفتشنكو .. متحررة من قيد قافية الشعر ، متمردة على القيد ، معبرة عن حرية الانسان : ويهدر صوته الاسير الهارب من بين شفتيه :

نامى يا حبيبتى
وانسى خصامنا
وتخيلى

... ...

ابتسمى مع النوم
لا حاجة الى الدمع
واقطفى الازهار

... ...

نامى يا حبيبتى
أنت وأنا على الارض
وكوكبنا يطير مرتاعا فى الفضاء يهددنا بالانفجار
لابد من أن نتلاصق حتى لا نقع
ولنسقط معا اذا هوينا

... ...

نامى يا حبيبتى

بددى يوم الاحزان
وليأت ساحر النوم الى عينيك
فما أصعب أن نقاوم الارض على هذه الارض ؟
نامى يا حبيبتى

... ...

□□□ .. وفى القاهرة التقى بشاعر .. آخر .. خصلة من فضة تتأرجح وتتراقص كظل لهب ساخن .. اختلط بها الدخان .. فما زال اللون الاسود يعربد مع شعيراتها البيضاء .. انه عراك الشباب الثانى .. أيهما يبقى وأيهما يزول . الابيض القادم أم الاسـود الكائن الموجود فوق جبين وجه نحيف ، لفحته شمس الربى والوديان فى سوريا ولبنان وبيارات فلسطين وغزة تتأرجح بينها وبين مصر ، وكأنها أرض المعاد . يحبو هناك ، ويتعلم هنا ، ويجاهد ، ويعمل ، ويحمل قلمه سلاحا ، ومداده طريقا ، وكلمته يمضى بها معبرا عن الانسان العربى ، الصامد .

كان يأمل فى صباه أن تكون لعبته البريئة بين السهول التى تفترشها الزهور . زهور الزنبق الابيض والياسمين والنرجس تتمايل على الارض .. وزهور اللوز والمشمش والتفاح والبرقوق وبراعم الليمون تهتز على الفـروع وتفوح .. تعلوها عصـافير ملونة ترفرف بالحب . بالنغـم فى الافـق الازرق . ويجـرى ويقفز علـى ظلال أشجار الزيتون و ((البطم)) الضخمة والجميز والبرتقال . ولكنه ينمو على دوى الرصاص والمدافع . القنابل تفجر الدم . العدو الغادر يفجر السلام . يدميه .

.. ولا يرى مع سنوات عمره الا أسلاكا شائكة تحيط تلك الربى والسهول التى حلم بها طفلا ثم صبيا .

فحمل قلمه ومشى .. على درب الحرية ..

يكتب كلماته

يحفر كلماته

يصرخ بكلماته

يغنى كلماته وحروفه .

هكذا رأيته فى دار « الاهرام » منذ سنتين . لم أقابله من قبل وان كنت أقرأ له دواما من قبل . وعندما تعارفنا سبقت ابتسامتى كلمتى الاولى اليه .

قلت له :

.... ـ كنت أحسبك ممثلا لم أتعرف به . ان وجهك سينمائى التعبير . لماذا لا تعمل فى السينما ؟!

ويجرنا الحديث طويلا وقصيرا . وتتعدد مقابلاتنا . وأحسبه ضمن قلة أصدقائى . أخرجته من دائرة عديد معارفى .

وأصبح الشاعر : معين بسيسو : صديقا .. كثيرا ما نلتقى خارج الدار وداخلها . وحوار متصل . حوار فكر .

لازمته خلال مسرحية ((**ثورة الزنج**)) . وحيرته بين ارتباطه بسهير المرشدى لتمثلها ثم انصرافه الى محسنة توفيق .. لقد أرادهما أن تتابعا تمثيل بطولة مسرحيته .. وأزمة يدوى اعصارها فى كرامة من اتفق معها أولا .. وصحافة القاهرة المسرحية والفنية لا تسكت . تناقش الوضع .. وضع ممثلة لا ترضى وممثلة

ترخى .. وستار المسرحية على موعد مع الناس . يتأجل .. ثم تنفرج الازمة وينفتح الستار ..

مسرحية شعر .. اذن تضاف الى مسرحيات الشعراء فى بلادى .

واذكر كيف حكى شعراء مصر القدامى أيام الفراعنة مسرحهم شعرا ..

ثم أنتقل مسريا الى حاضرنا ، الى قرننا العشرين .. لاقرأ وارى مسرحيات المسرح السياسى على جسر الشعر مثل : ... « كليوباترا » لشاعر العروبة وامير شعرائها أحمد شوقى التى قال فيها فى غلاف : الحبوالعاطفة..

أسمع الشعب ديون .. كيف يوحون اليه .. ؟

ثم : « العباسة » لعزيز أباظة .. و « جميلة » و« الفتى مهران « لعبد الرحمن الشرقاوى .. و «مأساة الحلاج » لصلاح عبد الصبور .. ومسرحية « مأساة جيفارا » التى رأيت مؤلفها : معين بسيسو ، يقرأها لزبيدة ثروت ، بعدما رشحها لتمثيل بطولتها .. كأول مسرحية لها . بجانب السينما وشاشتها .

وأذكر انى كتبت عن « ثورة الزنج » .

□□ .. رغم الضجة التى التفت حول انسحاب سهير المرشدى من البطولة النسائية لمسرحية « ثورة الزنج » للشاعر معين بسيسو بعد أن اختار مخرجها نبيل الالفى ممثلة أخرى هى محسنة توفيق لتمثل تتابعا معها ذات الدور كل ٣ أيام . فان البطولة الحقيقية لهذهالمسرحية الصارخة بحق شعبلحقه الضيم، الصارخة

بحق فلسطين فى الوجود كانت لمعانى كلمات شاعرهـــا والفنان التشكيلى : عمر النجدى : الذى صمم أجواءها وألوانها وأزياءها وديكوراتها .. فى أول تجربة مسرحية له . فلولاه لمـــا استطاع نبيل الالفى مخرجهـــــا أن يجسد لمحاته الخاطفة فى العودة الى خلفية التـــاريخ بينما هو يبدأ المسرحية بأحدث ما وصلت اليه ((آلية)) القرن العشرين .

واذا كان نبيل الالفى قد عرف كيف يصل ويخلط بين المـــاضى والحـــاضر ذهابا وايابا على جسر : التزام واحد ، فكر واحد ، وثورة واحدة للحق ، يجـــددها التاريخ . فانه أضاف بحركة الفنانين دخولا وخروجا فرادى أو مجموعات ، على دراسته للاضواء ، جديدا الى مسرحية شعرية جادة .. فاستطاع أن يجذب اليها الجمهور ــ رغم تغليب شاعريتها ــ دون أن يفلت منه، وخاصة أنه اختار الفنان اللامع التعبير والالقاء عبدالله غيث ليمثل بطولتها ، ومعه نجوم ستلمع مع الايام : حسن شفيق ومحمود أبو زيد وعبد العزيز أبو الليل ومحمـــد عبد المعطى ومرسى أبو العباس ومحمد وفيق .

كما أتاح مسرح الجيب فرصة عرض فن تشـــكيلى معاصر من لوحات وتماثيل عمر النجدى فى حديقتـــه وأبهائه .

شىء جديد : نلمحه مع التقدير . هو اتفاق المؤلف م . بسيسو والمخرج ن . الالفى والمصمم ع . النجدى.. على أن توضع أسماؤهم دون ذكر أيهم المؤلف أو المخرج أو المصمم . أى أنه اشتراك ثلاثى فى عمل ناجح واحد.

... ...

وأعود لاسأل شاعرى الصديق عن شعراء المعركة . شعراء فلسطين الجريحة فى رايه ؟

ويهمس معين بسيسو بأسمائهم :

.... — محمود ردويش — سميح القاسم — توفيق زياد : هم البراعم التى تفتحت من خلال البارود وبالذات فى أعقاب نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧ ، وهم فى الوقت نفسه ذلك الجسر غير المرئى الذى يربط بين الكلمة خلف الاسلاك الشائكة والكلمة العربية هنا وهناك .

□ **محمود درويش**

— يمتاز شعره بالانسياب والرقة ، والطفولة ... تحس دائما أنك تصغى الى طفل ، طفل يلهو بالدمى ... بعرائس من الشمع والطين ... وربما الصخر .. ومن أجل هذا فأشعار محمود درويش هى بطاقته الشخصية ، التى يقدمها للناس .

□ **سميح القاسم**

— كلماته كأنها قد نحتت من صخور جبال النار فى نابلس .. أو من صخور شواطىء عكا .. انه محارب يقرع الطبل ... وينفخ فى البوق .. وهو فى الواقع ... تمثل أشعاره « عناقيد الغضب » .. أو الثمرات المرة فى فم الاحتلال ...

□ **توفيق زياد**

تحس وأنت تقرأه ... أنك تتابع بعينيك جدولا من الماء لا ينساب فى أرض خضراء ... بل فى تلك القطعة

من الارض التى تنطلق الذئاب على ضفتيها ... والشعر بالنسبة له ، يجب أن يظل فى حركة النهر ، فى حركة المـــاء ، والا تجمــــد واصبح كالبركة الصغيرة ، أو المستنقع ... وتوفيق زياد يمثل شعره هذه الحقيقة ... فهو يقدم لك دائما تلك الجرعة من الكهرباء فى كأس ، أو كما قال بابلونيرودا الشـــاعر التشـــيلى العظيم ذات يوم : « ان الشعر الحقيقى .. هو جرعة من البرق فى كأس ... »

والشعراء الثلاثة فى الارض المحتلة قد قدموا لنـــا تلك الجرعة من البرق ... فى كأس ... شربناهـــا معهم .

... ...

وأعود لاسأل شاعرى الصديق :

.... ـــ ورأيك فى شاعر من لون آخر . له هدف ورؤى . شاعر .. تصادفت معه مع الايام يوم قابلته فى موسكو ثم التقيتما كثيرا هناك وهنا .. أعنى رأيك فى : « ايفتشنكو » ؟

.... ـــ « ليس للشاعر جلد ، فأنت تستطيع أن تلمس دمه » . هذا ما قالته « لينـــا استيفانوفا » ، المستشرقة السوفيتية ، وهى تقـــدمنى للشـــاعر « يفجينى ايفتشنكو » أو « جينيا » كما يدعوه أصدقاؤه .

لقد كان يرتكز بظهره على أحد الاعمدة الخارجيـــة لفندق طشقند ، ومد يده وقد التمعت عيناه الزرقاوان اللتان تشبهان عينى سمكة القرش ، فلايفتشنكو ، كما

عرفته عن كثب ، خلال زيارتى لموسكو ، وجه التنين ، وقلب العصفور .

وفى مقهى صغير قرب الحديقة العامة فى مدينـــــة طشقند ، جلسنا نتحدث ، كان يريد أن يعرف الانتفاضة الجديدة والقسمات الجديدة فى الشعر العربى المعاصر ، وبعد الخامس من حزيران بالتحــــديد . وهو يذكر باعتزاز أسماء الكثيرين من الشعراء العرب الذين التقى بهم ، يذكر صلاح جاهين ، وأحمد عبد المعطى حجازى ، وأدونيس ، وصلاح عبد الصبور ، ونزار قبانى .

.... ــ انهم أصدقائى ، فالشعراء من شوارع مختلفة .. ولكنهم من قرية واحدة .. انهم جواسيس المستقبل ..

كان يقول هذا وهو يتناول قدح النبيذ ، وبعد الجرعة الاولى وضع الكأس على المنضدة ، وقال بتأفف :

.... ــ لقد كان هذا النبيذ ذات يوم عنقودا طيبا ..

وارتفع صوته وهو يغرس عينيه فى وجهى :

.... ــ لقد وضعنى بعض مثقفيكم فى قفص الاتهام لاننى كتبت قصيدة عن « بابى يار » (أحد معسكرات تعذيب اليهود) .

وأجبته :

.... ــ قد يكون هذا رأى بعض المثقفين ، ولكن الاغلبية العظمى من مثقفينا وشعرائنا وفنانينا ، بل مجرى الحياة الســـياسية الجديدة فى بلادنا ، لهـــا موقف آخر ، فنحن لسنا مع معسكرات التعذيب ، اننا لا نقف أبدا تحت راية معسكر « بوختنالد » أو « معسكر أوشفتز » ، لسنا مع الجلادين أينما كانوا ، وفى الوقت

نفسه فنحن نريد من الشعر أن يأخذ موقفا متكاملا من كل قضايا عصره ، وأن يكون صاحب نظرة شمولية للعصر كله ، فالذى يقف ضد الجريمة فى « بابى يار » والذى يقف مع « ان فرانك » اليهودية المضطهدة ، عليه أن يقف أيضا مع « فاطمة العربية » . عليه أن يقف ضد معسكرات الاعتقال أيضا أينما كانت .

وللمرة الثانية التمع ذلك البريق الحاد فى عينيه وهو يقول :

... — اننى لم أزر غير بلدين عربيين هما لبنان ومصر بمبادرة طيبة شجاعة من دار الهلال ، ومن صديقى أحمد بهاء الدين ، ولقد تعرفت خلال هذه الزيارة على الكثير من وجوه الحياة المتعددة فى بلادكم وأصبح لدى الكثير من الاصدقاء . وبهذه المناسبة فقد هدانى بعض الرسامين المصريين عددا من اللوحات ، هل يمكن أن تذكر صديقى كامل زهيرى بأن يرسلها لى ؟ .. انها لم تصل الى حتى الان ...

وازدادت قسمات وجهه حدة ، بينما أخذت عينا سمكة القرش تدوران ،ورفع صوته ليطغى على الانغام الصاخبة المرتفعة :

.... — اننى لم أزر بلدا عربيا غير بيروت والقاهرة ، لم أزر الاردن ولا الكويت ولا العراق، ولا أعرف حتى مسقط رأسك « غزة » ، ولم أزر مدينة فلسطينية واحدة .. وكم كان بودى أن أزور البلدان العربية كلها وأتعرف الى شعرائها ومثقفيها .. اننى أعرف القليل عنكم ، ولكن هذا القليل يشجعنى على طلب المزيد .

.... — انك شاعر ذو الف وجه ..

وضحك ايفتشنكو حتي لفت أنظار من كانوا فى المقهى، وقال وقد تحولت الضحكة الى ابتسامة :

.... — حين نغادر طشقند الى موسكو ستكون ضيفى فى بيتى ، وساريك شيئا مثيرا ، وسأريك ايفتشنكو صاحب الالف وجه .. والان أريد أن أسمع شيئا من شعرك ، أريد أن أصغى الى موسيقى الشعر العربى رغم أننى لا اعرف العربية ..

واعترف أننى ارتبكت وترددت كثيرا . فلقد كنت أحس رغبته الملحة فى أن يتعرف على وجه الحياة الشعرية فى بلادنا ، بعد مرحلة الابواق النحاسية الطويلة ، وبعد مرحلة المنجنيق، وبعد مرحلة الطبول المربوطة فى الاعناق والمدلاة فوق الصدور .

واحس هو ارتباكى وترددى فى الاختيار فقال :

.... — اننى كتبت أربعين ألف بيت شعر ، وثلثها على الاقل شعر سيء ، وقد تكون القصيدة التى تخشاها هى أقرب الى نفسى .

ولا أدرى كيف تذكرت « الملك تبع اليمانى » ، وطبله الكبير ، المعروف باسم « الطبل الرجوج » ، الطبل المنسوج من جلد مائة فهد ، الذى كان يقرعه مائة عبد ، والذى كان دويه يسمع على مسيرة سبعة أيام حينما كان ينطلق الى الغزو . وأنشدته قصيدة «الطبل» .

وحينما انتهت أبيات القصيدة طلب أن ألخصها له بالانجليزية .. وحاولت جاهدا أن أقدم له صورة بالانجليزية قريبة ما أمكننى ذلك الى صورة القصيدة

العربية .. وفرغت من تلخيص القصيدة .. ونظرت الى وجهه ، نظرت الى عينى سمكة القرش .. كنت أريد أن أرى تأثير القصيدة فى نفسه رغم ترجمتى الركيكة لها بالانجليزية .. وسرعان ما أخرج بعض الاوراق من جيبه ، وقال :

.... — أرجو أن تكتبها لى ، باللغة العربية ..

وفى الصباح جاءتنى المستشرقة السوفيتية لينا استيفانوفا لتقول لى أنها قد ترجمت قصيدة « الطبل » حرفيا للغة الروسية بناء على طلب ايفتشنكو ، وأنه يريد أن ينظمها شعرا بالروسية ويلقيها فى الندوة الشعرية التى ستقام فى قصر الفنون الشعرى ويحضرها شعراء آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ...

لقد كانت تجربة مثيرة فى قصر الفنون بالنسبة لنا نحن الشعراء العرب ، وأمام هذا الحشد الذى يتجاوز عشرة آلاف ، أن نلقى قصائدنا باللغة العربية أمام حشد كبير لا يعرف كلمة واحدة منها ... ثم تترجم بعد ذلك للروسية . ولقد كان هذا تقليدا رائعا من تقاليد الشعراء السوفيت ، وفى الحق ، وبعيدا عن أى مجال من مجالات المجاملة ، فاننى لم أسمع عن شعب من قبل، ولم أر من قبل شعبا ، يحب الشعر ويحتشد من أجله ، كالجماهير فى الاتحاد السوفيتى . وكنت أرتعش كلما اقترب دورى ، وكأنما أحس ايفتشنكو بارتعاشى وخشيتى ، فقال وهو يبتسم :

.... — لا تخف ، اننى ممثل بارع .

وانتهت الندوة الشعرية ، ألقيت القصيدة بالعربية

والقاها ايفتشنكو بالروسية ، وأعتقد أنه كان أكثر من ممثل ، فبعد القصيدة وبعد أن أخذنا مقاعدنا فوق المنصة ، جاءته ورقة صغيرة من احدى الفتيات المستمعات وعليها بضع كلمات ، وكانت الكلمات تقول :

« جينيا ، كف عن قرع الطبول ... »

وكانت الكلمات موجهة لى أيضا .

وفى موسكو ، وبعد عودتنا من طشقند ، دعانى ايفتشنكو ، وأعتقد أنه لا يوجد شاعر فى الغرب لا يحلم أن يكون له مثل هذا البيت ، وليس هذا وضع أو مستوى ايفتشنكو وحده ، فلا توجد دولة فى العالم تنظر الى فنانيها وشعرائها كما ينظر الاتحاد السوفيتى، فلقد قابلت العديد من الشعراء والكتاب السوفيت : فيسين كوليف ، ودافيد كزجسلتينين ، وبيبيلا أحمدولينا، ويورى نجيبين ، وشاعر من الاسكيمو ، الذين لا يزيد تعدادهم على بضعة آلاف ، ومع ذلك فللاسكيمو شاعر وثقافة . وأعمال هذا الشاعر قد ترجمت الى اللغات الروسية كلها . فليس فى الاتحاد السوفيتى أية ميزة لشاعر من جورجيا على شاعر من جمهورية بلغاريا أو قرغيزيا أو الاسكيمو .. فلشاعر الاسكيمو كل الفرص المتاحة لشاعر روسى كبير كسفونوف .

فى بيت ايفتشنكو ، توجد لوحة لرسام مكسيكى تمثل الشاعر ، وعلى اللوحات كتب الرسام المكسيكى :

« الى ايفتشنكو . الشاعر ذى الالف وجه . وهذه اللوحة ليست الا وجها واحدا من الوجوه الالف » .

كان ايفتشنكو يحتفظ بالصورة فى صدر الصالة فى بيته ، وحينما قادنى اليها وأخذ يترجم لى ما كتب عليها ضحك وقال :

.... ــ لقد قلت لى فى طشقند ما قاله لى الرسام المكسيكى وما كتبه فوق هذه اللوحة .

وكأنه كان يفكر فى شىء فسرعان ما قال :

.... ــ ألم تلتق بعد مع بيبيلا أحمدولينا ، أريد أن أعرفك بها ، يجب أن تراها ، انها أشعر امرأة فى العالم .. آه كم هى موهوبة .. ان الوحل فى يديها يتحول الى الماس ...

وانطلق بى الى بيت بيبيلا .وقبل أن ننطلق وقف طويلا الى المرآة وراح يحدق بامعان فى وجهه .

وارتفع صوت « جالا » زوجته ضاحكا :

.... ــ أنظر ، انه لا يكف عن التطلع الى المرآة ، هل تفعل مثله ؟

ولم تكن الاجابة سهلة بالطبع ..

لقد انتقلنا الى وجه شعرى آخر .. هو وجه بيبيلا احمدولينا .. برفقة «قيصر الاوغاد» .. كما كان يحلو لى أن أسميه .. ولا أدرى كيف قدمنى لها .. ولكننى أحسست أننا أصبحنا أصدقاء .. وابتدأ جينيا الحديث فقال :

.... ــ ان بيبيلا تعتقد أننى شاعر دوجماتيكى .. شاعر مباشر .. وهى تريد أن تعرف ما هى القضية التي يقف شعراؤكم من أجلها .. ؟

وارتفع صوت بيبيلا :

.... — لا أريد محاضرة ولا خطبة عن الشعر العربى . أريد أن أسمع قصيدة .. هذه هى القضية .. أنها قضية الشاعر ..

وفى نهاية الزيارة ، وقبل أن تودعنى ، وضعت فى كفى صليبا صغيرا ، وهى تقول :

.... — اقبل هذا الصليب الصغير تذكارا .. لا يوجد لدى ما أقدمه لك غيره .. غير هذا الصليب .

وخرجت وقد ازداد رصيدى صليبا جديدا .. ورغم علاقتى القديمة بالصلبان .. فلقد أصبحت أحس بمسئوليتى أكثر كمصلوب . !!



القزم : .. الذى انحنى له الفن

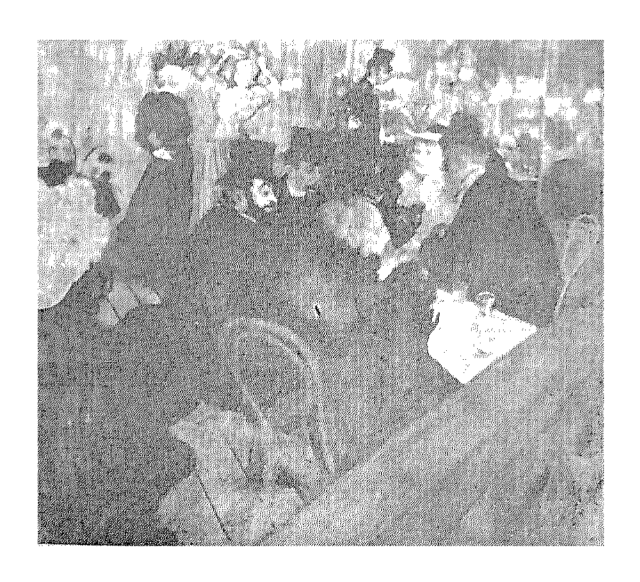
■ .. لم يكن صاحبنا قصيرا مثل المباقرة القصار : شارلى شابلن ، هتلر ، بيتهوفن ، نابليون .. لينين .. ومن قبلهم : تحتمس الثالث وسنب وخوفو ، !! بل كان أقصر منهم طولا ، كان قزما بالنسبة لاسطورة « الاقزام السبعة » ، وان لم يكن حظه أقل منهم ،

كان .. قزما ، يترنح ، يدب بكعبى حذائه الصغير .. لا ليلفت نظرة اليه .. وهو يهرول فى معطفه الاسود السميك ممسكا بأصابعه القصيرة بدوسيه يضم بعض لوحاته تحت ابطه وهو يتجه بين دهاليز ملاهى الليل فى عاصمة البهجة : باريس ، أو تحت خيمة سيرك .. حتى ليظنه البعض أحد أقزامه .. وما أن يبتسم أحد اليه .. حتى ينظر اليه ، يرميه بكل الجدية التى ترتسم فجأة على ملامحه .. فيرد اعتباره فى ثانية، وتختفى ابتسامة من يبتسم ..

حادثتان .. فى سنواته الاولى .. قد حددتا طول قامته بـ ١٣٥ سم ، حتى لحظة وفاته يوم أن كتب طبيب الصحة : « أن هنرى ماريا دى تولوز – لاوتريك – مونفا .. ابن الكونت لاوتريك .. قد مات فى ٩ سبتمبر ١٩٠١ ، وله من العمر ٣٧ سنة ، بانهيار عصبى لازمه شلل خفيف » .

وكانت الحادثتان متشابهتين . تعاقبتا . أحداهما وراء

الاخرى وهو فى الحادية عشرة من عمره.. عندما سقط المرة وراء المرة عن حصانه على ساقيه. فتكرر كسرهما، فوقف نموهما .. فراح يكبر ليحمل ثقله وعقدته طوال عمره .. يترنح فوق ساقيه القصيرتين .. وفى يده عصا أشبه بالعصا التى مازال يحملها قزم السينما — نسبيا — العبقرى الحى شارلى شابلن ، الذى مازال يعيش فى هدوء سويسرا محاطا بأولاده وبناته التسعة،



□ .. (المقهى) بريشة : تولوز لوتريك

قابعا الى بحيرة جنيف .. وهو يكتب الان جزءا جديدا من ذكريات عمره ، الذى بلغ منه — حتى الآن — ٨١ سنة .

وكان من قبيل توافق الصدف أنه فى السنة التى شاء القدر للصبى تولوز لاوتريك أن يتكرر فيها كسر قدميه . فيعجز عن النمو البدنى . قد ولد العمالقة الاربعة : شارلى شابلن فى ظلال حوارى لندن .. وزعيم الهند نهرو وتراتيل الفرحة تنشد فى قصر والديه فى الله أباد . وعملاق الفكر العربى الراحل : العقاد ، تحت شمس أسوان .. وعميد الادب طه حسين بالقرب من مزارع القصب التى تحيط بمغاغة فى صعيد مصر .

ويبدو أن التوافق تستمر مصادفاته على موعد مع الارقام الدائرية المتعلقة بأهل الفن . فخلال أيام عام ١٩٦٤ — أى منذ نحو ٦ سنوات — احتفل العالم بمناسبات مختلفة لمرور :

□ ٤٠٠ سنة على وفاة ميكل أنجلو (٨٩ سنة) . وهو الذى سيحتفل العالم بعد ٥ سنوات بمرور ٥٠٠ سنة على ميلاده عام ١٤٧٥ .

□ ٤٠٠ سنة على مولد وليم شكسبير (٥٢ سنة) .

□ ١٠٠ سنة على ميلاد الموسيقار ريتشارد شتراوس (٨٥ سنة) .

□ ١٠٠ سنة — وعلى وجه التحديد فى ٢ نوفمبر — على ذكر مولد الفنان الفرنسى الكبير تولوز لاوتريك (٣٧ سنة) . وأن كانت فرنسا ورئيس وزرائها احتفلا به — قبل ذلك بشهرين — عند افتتاح معرضه الشامل

لاعماله ولوحاته التى جاءت بها من أنحاء الارض من متاحف ومجموعات خاصة فى القارات الست . من نيويورك . لندن . موسكو . برلين . جنيف . بروكسل . باريس . لاهاى . فيلادلفيا .. لتعرضها فى متحفه المقام بقصر البيربى بمدينة « البي » مسقط رأس تولوز لاوتريك .. حيث أزاح رئيس وزراء فرنسا الستار عن لوحة رخامية تحمل ذكرى المناسبة المئوية على واجهة المنزل الذى ولد فيه .

كما احتفلوا به فى متحف اللوفر بباريس .

ثم انتقلت أعماله مرة ثانية فى يوم مولده .. لتعرض تحت سماء باريس . فى قاعة ملهى الـ «مولان روج» .. الاسم الذى أطلقته السينما الملونة على فيلم صورته عن حياته . مقتبسا من اسم أشهر رواية عن شخصيته !!

واذا كانت العقد النفسية .. قد تحكمت فى بعض الشخصيات سواء فى الاساطير أو الواقع .. سواء لطولها الزائد أو قصرها أو لتشوهها .. مثل : دون كيشوت العملاق الرفيع الهزيل . أحدب نوتردام . سيرانو ذى الانف المطوط . بيتهوفن الاصم القصير . هتلر . موسوليني . نيرون . نابليون .. قيصر : المصروع .

فان فناننا القزم.. راحت قدماه .. تمليان على روحه احساسا ولد معه . فأخذت تجسمه .

انهم يذكرون له — وأعنى أهل بيته الاقطاعى — يوم راح وله من العمر ٣ سنوات فقط ليحضر معهم حفل

تعميد أخيه .. أنه رغب في أن يكون شاهدا . فقالوا له أنك صغير . لا تعرف كيف تكتب اسمك ؟ فكيف توقع ؟

فما كان أسرع رده : .. ولكنى أستطيع أن أرسم ثورا . !! .

ويكبر الصبى الفنان وهو يملأ كراساته بالرسوم . متفاخرا بها بين زملاء دراسته ، التى ينقطع عنها ليتتلمذ على رينيه برنستو الرسام الاصم الاخرس صديق والده . ثم على ليون بونيه . وبعده فرناند كورمون .

ويحاول أن يعرف نفسه . أن فرنسا — وباريس بالذات — مهتمة بظهور المدرسة التأثيرية الجديدة فى الفن . ولكنه وهو يتأثر بالفنان مانييه قليلا يحاول أن يبتعد الى أحلامه . الى الرياضة التى يعجز عنها . الى كل ما يتحرك ويجرى . ولا يقف مثله . الى الكلاب . الخيل والفروسية . وحاول هنا أن يرضى غريزة نفسه . ونجح . ثم حاول أن يمارس شبابه . أن أحدا لا يرضى به . اذن .. فالى ملاهى الليل بكل ألوانها مهما رخصت . ومهما غلت . والى مواخير الساقطات ومضاجع الهوى . ورسم وما أكثر ما لون ورسم .

كان يعلن احتقاره بالاسلوب التأثيرى الذى اتجه أول الامر الى ارضاء الذوق البرجوازى . والمناظر الناعمة . وأخذ يقول .. أنه سيستمر فى اتجاهه . فالدنيا كما هى أجمل .. لا كما يجب أن تكون . أن فيها من المآسى والجمال ما يمكن للفنان أن يلتقطه . ولهذا سجل ما رآه وتأثر به . وصمم على أن يكون مكانه فى حلقات

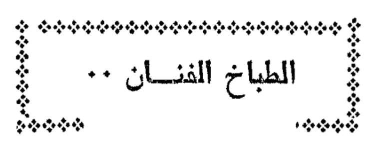
النوادى الرياضية وتحت خيمة السيرك وعلى خشبات الملاهى وبين جدران حجرات النوم ! ..

ولم يذهب الى الطبيعة ليرسم مناظرها . كان يؤمن بأن .. « لا شىء موجود يستحق الاهتمام .. مثل الانسان ! »

ولكنه يتأثر بعض الوقت باتجاه مونيه ، وديجا . ويتأثر بموجة الفن اليابانى التى غزت غرب أوربا وقتئذ . ويتخلص منها بعد أن تركت رواسب فى فنه . الذى اتجه به الى المبالغة أحيانا . الى الحد الذى كاد يفقد فيه عمقه . فقد كاد يتجه الى فن الكاريكاتير . ولكن عظمة الفنان الساخر دوميه من قبله .. جعلته يعود الى أصالة فنه وألوانه وأجوائه الصاخبة .. التى أبعدته عن أهله . وقربته من فنه الذى انحنى له يقبله فى وقت اعترف فيه بزملائه الفنانين الخالدين مثل : الهولندى الذى تفرنس فان جوخ . اميل برنارد . جوجان . سورا .

ولكن..وبعد وفاته..ومرور ١٠٠سنةعلى ميلاده.. لو قال النقد الفنى كلمته عن أعمال لاوتريك .. لكانت كلمته : لقد ترك فنه جوا معبرا عن فترة عاشها . وكأنه مؤرخ باللون والريشة والحركة . ربما لم يصل الى كل أعماق الفن . ولكنه ترك بصمة فى طريق الفن وهو ينطلق باحثا عن جديد . غير عابىء بحدود . ولا بتقاليد . فالدنيا قد حرمته . فلماذا لا ينطلق فى عالمه الخاص !

□ □ □



الطباخ الفنـــان ..

■ .. قابلت أسير حرب فى ضـــيافة الملك جورج الخامس !.. فى ألمـــانيا !!

وكان حديث عن اقامته وراء الاسلاك الشائكة أربع سنوات فى صحرائنا ــ أثناء ضيافته ــ يرسم ويطبخ ويتأمل ويضحك ! . ثم ينتهزها فرصـــة فيدون بعض ذكرياته . يخصص لها كتابا من كتبه الخمســـة عشر المطبوعة بالالمـــانية وبعضها بالانجليزية ، عن الطعام والاكل والطبيخ والحلوى .. طبع منها جميعـــا حتى الان ٣٨٠ ألف نسخة .

فى مدينة الاساطير : روتنبرج ، التى توقف الزمن بها عند أيام القرون الوسطى . أسوارها . قلعتها . أسرارها . آبارها . مبانيها . طرقها .. وتركوها هكذا مدينة سياحية فى منتصف المســـافة بين شتوتجـــارت وميونخ .. دخلت فندقا لاقيم فيه . وكأنه الفنـــدق المسحور . كل ما فيه صغير مرسوم . حتى لافتتـــه الحديدية الممتدة على ذراع حديدى فوق مدخل بابه تحمل اسمه : ((آدم)) .. الفندق الصغير . رسوم على الحائط . مئات من التماثيل الخشبية الصغيرة . ملائكة . أوان نحاسية . زهور . فونوغراف قديم جدا من أواخر القرن المـــاضى . معصرة من خشب غشيم ،

في قلب المدخل الذي هو في الوقت نفسه المطعم ، المفروض أنهم كانوا يعصرون بها أيام القرون الماضية عناقيد العنب • ومن خلال السلم الصغير جدا الى حجرة النوم ترى مئات اللوحات الصغيرة على حائط بير السلم • على حوائط الممرات • جدران حجر النوم •

وما ان هبطت الى صالة الطعام حتى تقدم منى رجل قصير ألمانى ليقول لى بالعربية سائلا :

.... — من مصر حضرتك ؟

واستغربت . آخر ما كنت أتصور . ويستمر الحديث ليؤكد لى الرجل الالمانى الطيب صاحب الابتسامة قدرته فى الحديث بالعربية •

.... — أيوه أنا أعرف : صباح الخير • صباح النور • صباح الفل •• عيش وجبنة •• كويس كتير•• مبروكة •• لغاية هنا وبس ••

ويضحك الالمانى القصير • وهو يسحب أنفاسه وكأنه جرى رحلة طويلة رجعت به ٢٥ سنة •• ثم يجرى فى ذاكرته ما يتذكره •

.... — تقصد مبروك .

.... — لا .. مبروكة .. اسم واحدة ! انا باعرف أتكلم . أنا قصدى مبروكة .

ويستمر الحديث . ولكن بلغة غير لغتنا . ليقول :

.... — هل يعجبك الكتاب ؟ انه من تأليفى .

.... — ولكنك طباخ . ان منظرك والطرطور الابيض الذى يحمله رأسك دليلك .

.... — نعم ، أنا لست مؤلفا فقط لـ ١٥ كتابا هذه بعضها ، ولكنى أرسم أيضا .

والكتب فى منتهى أناقة الطبع . وتصفحى لبعض صفحاتها يؤكد جاذبية وسلاسة أسلوبها الذى يميل الى المرح أيضا .

ثم يشير باصبع احدى يديه بحركة دائرية الى الجدران التى تحيط بنا .. ويستطرد :

.... — بعضها . أعنى هذه اللوحات .. رسمتها . بالزيت . بالالوان المائية . بالحبر .. لقد كنت أسير حرب عندكم فى مصر .. أيام معركتنا مع الانجليز . كنت فى ضيافة صاحب الجلالة الملك جورج الخامس وأبنائه . وبدأت أتأمل البحر . الصحراء . وجدت نفسى أرسم دون أن يعلمنى أحد .. كما أن أحدا لم يعلمنى كيف أطهو أو أطبخ . وعدت الى بلدى ألمانيا . أحمل موهبتين جديدتين صقلهما الأسر . وبدأت أعمل طباخا . ذاع اسمى كطباخ ممتاز . هكذا يقولون . وبدأت أؤلف كتبى . لى برنامجان كل منهما ٤٥ دقيقة فى تليفزيون كولونيا وميونخ كل أسبوع . غير المجلات الالمانية الكبرى التى تطلب منى مقالات عن الطهى . وهكذا بدأت أكون ثروة لا بأس بها . اشتريت هذا البيت . حولته الى فندق صغير ومطعم . ماذا تريد أن تأكل لاعده لك بنفسى ؟

.... — نكمل حديثنا أولا .

.... — اذن لماذا لانعبر الطريق .. لترى مرسمى؟

وذهبنا معا الى المرسم ، لم يخلع رداءه الذى يفخر به . من يعلم لعله يحتفظ بطرطوره الابيض فوق رأسه

ليعلى من قامته ولو من بعيد . ولكن « الفوطة » التى تتدلى على صدره حول جسده يحتفظ بها أيضا .

وطلعنا الى بيته . وعلى سلم ـ على هيئة سلالم البحارة فى الغواصات ـ منحدر جدا . ضيق جدا . صعدنا الى مرسمه الذى يحتل ما فوق بيت الزوجية . ويضم أكثر من ١٠٠ لوحة . ومكتبة .

ويضحك ((هان كارل آدم)) .. الطبـــاخ الالمانى الفنان .. فيقول لى :

.... ـــ هنا برجى العاجى .. مطبخ الفكر ! . ان تشرشل كان يرسم . وأنا أرسم . ولكن لوحاته تباع أغلى لان اسمه أكبر ! . لقد أسرونى .. ولكنى حولت قيدى الى آفاق أخرى .

وأرى اللوحات الزيتية . وفيها عمق الفنان الاصيل فعـــلا .

والمح تمثالا . لرأس طباخ .. انه رأســـه هو . رأس : ((هان كارل آدم)) : أشهر طباخ فى المـــانيا .

ويبتسم : « هان كارل آدم » قائلا :

.... ـــ لقد صممت هذا التمثال لنفسى . لم ينحته لى أحد . وعرضته . واشتراه متحف ميونخ للفنون الجميلة المعاصرة . انه يعرضه الان مع بعض لوحاتى، ومن بينها مناظر من مصر .

□ □ □

عندما مات شكسبير

■ .. عندما مات شكسبير (٥٢ سنة) سيد الادب العالمي منذ ٣٥٥ سنة لم يحس به أحد الا بعد أن مات بزمن طويل !

ولكن منذ ١٠ سنوات عندما مات شاعر روسيا وأديبها الكبير الذى رفضت أن تعترف به وبجائزة نوبل للادب التى فاز بهـا قبيل موته عن ((قصة دكتور زيفاجو)) .. قام هوس البرق والراديو وموجات التليفزيون تهتز وتتجمع لتعلن أن بوريس باسترناك (٧٠ سنة) قد مات . ويدور مع الخبر آلاف البرقيات وملايين الكلمات المطبوعة بكل لغة .. لتعلن على الصفحات الاولى فى صحف العام تفاصيل وفاته .. وكيف وافاه القدر المحتوم وهو نائم .. فكره حالم ضائع مع الاحلام .. وجفونه مسدلة على عينيه اللتين انطبقتا الى الابد لا تريان أشجار الغاب الجميل المنحدر أمام بيته الريفى فى الضاحية ((ديشا)) التى يسكنها على بعد ٢٠ ميلا من موسكو .. وسرطان ينهش صدره .. ودماء تنزف من معدته .. واسم .. وشهرة .. ومجد .. ولكن بلا سعادة !!

ومن جديد .. ألهب خبر وفاته الريح التى سكنت .. رجعت مع الصدى تحكى كيف أن الحرب الباردة والعناد والصراع السياسى بين الغرب والشرق .. كل

هذا هو الذى ألقى الضوء على باسترناك عندما اختارته السويد ـــ مدفوعة ـــ لتهدى اليه جائزة نوبل .. على قصته ((د. زيفاجو)) التى ترجمت وطبعت بكل لغة وبيعت فى كل مكان الا روسيا .. فكانت الكتاب الاول عام أن نشرت .. وأيامها انهالت تصريحات واحتجاجات رجال الادب فى العالم ..

ولم يحدث لشكسبير شىء من هذا !

وأشياء من هذا أو جزء منها لم تحدث بعد وفاة أحد من روائيى روسيا .. حتى تشيكوف (٤٤ سنة) أودوستويفسكى (٦٠ سنة) وتلستوى (٨٢ سنة) .

ولنرجع لنقفز مع حياة باسترناك ونحاول أن نرسم بعض ملامحها ..

كان والده فنانا يرسم .. ووالدته تعزف وتؤلف الموسيقى .. وهو أكبر اخوته الاربعة : هو ومهندس وأختان رحلتا الى لندن .. والكل يعيش فى رغد نسبى .

ويحاول باسترناك أن يكون موسيقيا فيفشل فى صباه .. ويحاول أن يتعلم القانون ويلحقه الفشل أيضا . وللمرة الثالثة حاول أن يتعلم شيئا .. وكانت الفلسفة هذه المرة فى ألمانيا . وتتلمذ على الفيلسوفين هيج وكنت

واحب باسترناك وله من العمر ١٨ ربيعا ، ولكن فتاته رفضت الزواج منه .. فترك كل شىء حتى الفلسفة .. ورجع بلا شهادة مع الحزن الى موسكو . !

ويمر زمن .. ليصبح باسترناك أحد الفرسان الثلاثة للشعر الحديث فى روسيا .

وكان زميلاه ميياكوفسكى شاعر الثورة الروسية .. وسيرجى ايسنين .

ثم يعجب باسترناك بأدب تلستوى .. ولكنه يميل الى « الصيغة التلغرافيـــة » فى أسلوبه والى الخيـــال الشاعرى .. فالليل البارد الذى تتساقط فيه الثلوج هو عنده مثل عروس عمياء تتهادى من فوق رأسها نقط من اللبن !!

والعالم كله عرف قصة الدكتور زيفاجو .. وبعدها انفجـر اسمه كصاروخ يعلو ويدور فى سماء الادب العالمى . وترجمت القصة الى ٢٢ لغة ، وطبع ووزع منها أكثر من مليون نسخة ، ومازالت المطابع تعيد طبعها لتلاحق الدعاية العريضة التى أحاطت بمؤلف الكتـــاب ورفضه الجائزة مضطرا .. والصراع السياسى .. وانى لأتصور كأن يدا تمتد من اليمين تحـــاول أن تمسك بغلاف الكتاب .. فتأتى من الشمال يد لتشده .. فتصبح صفحات الكتاب مفتوحة ليقرأها العالم كله .. فيعرف أنها تقع فى ٦٥٠ صفحة تصور قصة طويلة انسانية تعبر عن مبادىء سياسية فى جو روسيا .. بين سطورها حياة وارهاب وانتحار وحب وتعذيب وحرب ونار ومرض ودم وعمال وأسى وسعادة باكية ومفارقات وتاريخ ودين وانحلال ! . والمصادفة هى وحدهـــا منطق الكتاب والمكتوب ٥٠ حـــكاية طويلة داخـــل قصة طويلة بطلها اسمه : دكتور زيفاجو !

ولكن لباسترناك كتبا أخرى قبلها .. حيث بدأ يكتب منذ ٣٤ سنة ٣ قصص قصيرة وبعدها بعشر سنوات

كتب قصة « الصيف الاخير » و « قسوة الحياة » و « الحياة والحب والجمال » .

وفى حكم ستالين ترك التأليف ليترجم كل أدب شكسبير .

وباسترناك خلال أدبه .. تزوج وطلق ، ليتزوج زينيا الايطالية ، وانجب منها ٣ أولاد .

ولو تتبعت حياته لعرفت أنه صورة مما صوره فى كتابه عن دكتور زيفاجو .. فقد اشترك فى الحرب وجرح فى أول ساعاتها وهرب .. ومن قبل اشترك سومرست موم وهيمنجواى فى الحرب أيضا وفاز كلاهما فيما بعد بجائزة نوبل . !

... ...

ولا أجد وأنا أحاول أن أضع نهاية لهذه السطور .. خيرا مما ألفه باسترناك شعرا .. وهو يصف لمحة من نفسه عن حياته الضائعة :

« أنا تائه .. تيه الوحش فى الغاب
« انى أسترق السمع .. ورائى جلبة المطاردين
« ولا أرى أمامى أى مخرج
« فأرى غابة مظلمة تحف بشاطىء البحيرة
« وجذع شجرة كسرتها الريح
« لا أبالى ما يحدث لى الآن
« ترى أى شر أتيته ؟
« هل أنا قاتل وشرير ؟

« أنا الذى أرغم الدنيا كلها
« على أن تهتف بجمال بلادى
« والآن .. أنا أرنو من القبر
« ويوما ما سيأتى
« تعلو فيه روح الخير على الشر والحقد !!
... ...

ويمر عامان . وتتحول قصة باسترناك : [د . زيفاجو] الى فيلم ملون عالمى ، يخرجه دافيد لين ، ويختار ممثلنا عمر الشريف ليمثل بطولته .. وعنها رشحته هوليود للأوسكار .

□ □ □

الفنان الملعون

■ .. اذا كان : بيكاسو : هو أشهر مصور رسام فى عالمنا الحديث .. فان المثال البريطانى : هنرى مور : هو أشهر نحات فى قرننا العشرين ! ومع ذلك فليس الفنان العالمى هنرى مور قضية مسلما بها فى بريطانيا ، ولا هو نبى فى وطنه !! وانما اختلفوا فى شأنه .. يلعنه بعض النقاد ، ويحترم فنه من بقى منهم !

ولكن لاعنيه ومحبيه : احتفلوا معـــا بمثالهم ، الذى تلقى اللطمات قبل زهور التقدير .. وكان احتفالهم فى يوم واحد ، هو آخر يولية الماضى . والسبب أغرب !.. الا لتمثال جديد نحته أو صممه ، وأجمع أهل الفن على تقديره ، ولكن لأن هنرى مور الذى أعطى الكثير من عالمية الفن المعاصر لبريطانيا ، قد أعطاه القدر ٧٢ سنة أتمها وبدأ عاما جديدا .

وكانت بريطانيا ومجلس فنونها الاعلى قد أقاما عرضا عاما لاغلب أعمال حياته فى قاعات متحفهـــا الكبير : ((بيت جاليرى)) فى قلب لندن ، افتتحته الملكة منذ أكثر من سنتين يوم احتفاله ببلوغه السبعين .

وبمناسبة اتمام سنى عمره السبعين وتاريخ افتتاح معرضه ، وهو الاول من نوعه فى بلاد الانجليز ، وعدد الكتب التى صدرت بهذه المناسبة .. فان هنرى مور مختلف عليه فنيا ممن لم يتجاوزوا أربعين سنة وممن تجاوزوها .

الذين تحـت الـ ٤٠ ــ وبعضـهم من تلامذته ــ يتصـورون أنه رغم زعامتـه للفـن فى بريطانيـا متخلف عنهم . توقف وتمهل تطوره . وهو عاقل متزن فنيا أكثر مما يجب فى عصر تروج فيه فلسفة الخنافس وضجيج الالات الموسيقية لا نغم الموسيقى !



□ .. (الفورم) .. هو كل ما يحلم به هـ. مور

والذين فوق الـ٤٠ يتهمون هنرى مور بأنه كافر بالقيم الأكاديمية ، يحاول أن يسبق زمنه ، حتى لا يتهمه الجيل الجديد فى بلاده بأنه رجعى قديم فنيا .!

وهكذا يقع هنرى مور .. أعظم فنانى بريطانيا عالميا وأشهر مثال فى الدنيا فى العصر الحديث .. بين المطرقة والسندان . لا يهدأ له بال . وانما يصمم وينحت .. ثم لا شيء يهمه .. فيما بعد هذا أو قبله .

لقد تعود الهجوم والاعجاب .

ولم يهمه الاول ولم يهمه الثانى .

قلت له وهو يتجول معى فى ركنه الفنى القابع تحت خضرة الريف وفوق تلاله :

.... ـ كيف ترى نفسك ؟

ويرد الفنان العظيم ابن عامل المنجم فى لانكشير :

.... ـ انى لا أبحث الا عن « الفورم » الذى يحيط بأشكال أحلم بها .. أو يشكلها القدر .. مثلا : تمثالى المعروف باسم « الملك والملكة » ..

كنت جالسا ذات مرة فى الاستديو ، أصابعى لا تجد شيئا الا ان تعبث بقطعة من الطين اللين المخلوط بالشمع .. وفجأة تقع من يدى .. واذا هي تتشكل مع ضغط الصدمة بالارض . فأرى فيها وأتصور راس ملك يحمل تاجا فوق رأسه ، فى شيء من التجريد . ولا أعرف لماذا تم كل شيء بسرعة بعد هذا . وجدتنى أنحنى لارفع هذا الرأس (الملك قدرا) وأكمل جسده .. ملكا وقورا جالسا ، كحاكم أسطورى . ثم وجدتنى أيضا أبحث عن طين لأشكل به ، الى جانب الملك ، شريكة له فى الجلسة وفى الحكم الفنى الصامت .

ومن انتروب جاء الى مرسمى على غير موعد .. من يمثل المجلس البلدى الذى يود أن يشترى هذا التمثال .

ولكن فى اليوم الموعود والساعة المحـــددة ، لم يحضر المندوب حسب الموعد المضروب . أكدت لنفسى أن الضباب الذى لف جو لندن وسماءها هو الذى منعه وسيمنعه . ثم ألقيت نظرة الى التمثال . ولم يعجبنى رأس الملكة . قضمته بمنشار لاشكله من جديد . ولكن بعد أن انفصل الرأس عن الجسد دق الزائر جرس الباب . دخـــل وسط الضباب الذى زحف الى الداخل قليلا . واذا هو يندمج فى التحية . كنت مذعورا اذ يرى التمثال على هذا الوضع .. ولكنه كان على ما يبدو مزهوا بأنه قابلنى . استمر فى الكلام والحديث معى متطلعا الى هنا وهناك .

ودفعنى الفضول أن اسأل الزائر عن رأيه فى التمثال ؟

قال منـــدوب المجلس فى وقار العـــالم ببواطن الفن والامور :

.... ـــ يا سلام .. يا له من فن عظيم . انه تمثال رائع .

وحمـــدت الله انه لم ينتبـــه الى الـــرأس الملكى المنشـور « مقصوف الرقبـــة » ! وما أن خرج .. حتى أعدت تصميم رأس جديد .. والتمثال يعلو الان هضبة المدينة .

ثم تسألنى بعد ذلك عن الاعجاب والهجوم .. !!

□ □ □

بافالوفا .. رقصت فتحولت الى زهرة

■ .. كانت فقيرة .. ولم تكن جميلة .. ولم تكن قريبة لأحد !!

ومع ذلك فقد أوسع لها التاريخ أفق الخلود ، وما زال يذكرها بعد ٤٠ سنة من وفاتها .. وينحنى العالم الفنى الــراقص لأشــهر راقصـــــة فى تاريــــخ الباليــــــه ((آنا بافالوفا)) ، التى ولدت وماتت فى نهاية شهر يناير .. والفرق بين الشهرين ٥٠ عاما !! صعدت فيها ((آنا)) من أرض روسيا الى بحار الارض وجزرها وذاع اسمها فوق سحب السماء . وتنقلت بين قاراتها الست .

الكل سعى اليها . وتمنى الكل أن يكون تلميذا لها . حتى قالوا أن سيدة غنية سمينة جدا ، يعجز أن يضمها حزب أشجار الجميز .! حاولت أن تتعلم الباليه على يد بافالوفا . التى رفضت . فقالت لها أنها مستعدة أن تدفع ولو ألف دولار فى سبيل درس واحد حتى تباهى وتفخر فيما بعد بأنها تتلمذت على أستاذة فن الباليه بافالوفا .

ولنبدأ القصة من جديد ..

بيتر سبورج : روسيا . ثلوج الشتاء القارس البيضاء تتهـــادى .

فى منزل صغير . وعلى أضواء لهيب يتراقص . يدخل الاب بافالوفا مخمورا الى حجرة زوجته بعد أن أنبأته جارته بان زوجته قد وضعت . ويقتحم الباب . وتختفى



□ .. حذاء بافالوفا.. تمسك به زائرتان لمتحف (بافالوفا) أمام لوحتها

ابتسامته . فقد كان ينتظر ولدا . فما فائدة البنت التى تعلن صرختها أمامه !

وأخيرا يطلقون عليها اسم : ((آنا ..)) آنا بافالوفا !

وينطفىء اللهب . وتترمل زوجته وبين جناحيها هذه الطفلة التى جاءت الى الدنيا مع الثلوج البيضاء التى تراقصت تحت السحب فى ليلة آخر يناير ١٨٨٢ .

وتكبر الطفلة . وفى احدى الليالى تذهب بها أمها الى فرقة باليه . وتتأمل « آنا » وهى قابعة فى (الترسو) رشاقة الراقصات فى باليه « الامير الحالم » . وتتحرك أناملها على أرضية المسرح مع النغم . وتشد يدها الصغيرة ذراع أمها أكثر من مرة وهى تشير الى المسرح، وتبتسم الأم ، وبعد اسدال الستار تسير الطفلة وهى تدور حولها كالفراشة على رصيف الطريق تقلد ما رأته عيناها .

ولا يهدأ لها بال الا بعد أن تعدها الام بأنها ستذهب بها الى مدرسة الباليه . وفى الصباح يقول لها مدير المدرسة أن ابنتها ما زالت صغيرة فى الثامنة من عمرها ، رفيعة ، نحيفة .

ووعد أن يبحث الامر بعد عامين !

وتمر الايام وتدخل الامتحان مع مائة ليختاروا عشرا منهن ، وتكون هى الاولى .

وتتخرج فى السابعة عشرة لترقص فى ريجا وكوبنهاجن

وتتعجب بافالوفا لهذا الهوس والتصفيق والاعجاب الذى قوبلت به هناك . فتقول لها تابعتها :

.... — لقد اعطيتهم السعادة ، فنسوا أحزانهم .

فقد كانت ترقص كالفراشة . حتى قال عنها النقاد يومها : انها لو رقصت على عيدان القمح لما مالت حتى سنابله !

وبدأت أوربا تتحدث عن عبقريتها . اتفقت مع دياغليف توأمها فى فن الباليه ، ثم اختلفت معه . وتركت باريس الى لندن حيث كونت نواة الباليه الانجليزى . وذهبت الى أمريكا عند اعلان الحرب العالمية الاولى . أصيبت بفشل كبير فى أول حفلة فى بوسطن . اضطرت أن تظهر فى نمرة صغيرة على مسرح الهيبودورم بين استعراضات ظهور الفيلة والخيل ومهرجى السيرك ! وبدأت تلمع من جديد . جنت بها الامريكتان وأوربا . انهالت عليها النياشين والورود والهدايا .

ذهبت ورقصت فى كل مكان .. أستراليا . آسيا . افريقيا ، حيث ظهرت على مسرح الاوبرا فى القاهرة .

وفى أواخر ١٩٣٠ جرحت ركبتها فى اسكندنافيا ، وصممت على متابعة الرقص ، غير مهتمة بالتجاعد ولا بالزمن ولا بالعمر . ومرة أخرى تضعف مع برد باريس .

وتذهب الى هولندا لتظهر فى لاهاى ..

ولكن الموت يتراقص أمام عينيها . وتموت بينما يدها تشير الى ملابس ((البجعة)) وكأنها كانت تود لو قابلت الموت برقصة .. بدورها العظيم .. رقصة ((موت البجعة)) .. ألم تكن تموت فى دورها كل أمسية أمام

الجمهور ! فلم لا ترقص أمام الموت ! ويحرقون جسدها الذى رقص للملايين . ولكن هـــذه المرة للهب يذرون رمادها على شاطىء ((حديقة الراحة)) بلاهاى . وتنبت زهور .. زهور التوليب . وتشيد هولندا في ذات المكان تمثالا تذكاريا . يحكى معنا ومع التاريخ .. قصة ((آنا بافالوفا)) .. الفتاة العليلة الفقيرة .. التى لم تكن جميلة ولا قريبة لاحد .



من ١١١ سنة عرفت أوربا ((عمر الخيام))

□ .. منذ اكثر من ١١١ سنة أعجب أديب انجليزى من أصل ايرلندى ، بشاعر فارسى قديم من الشرق .. فاذا هو يترجم أشعاره .. ومن يومها وكان حجرا لامعا قد سقط فى مياه الفكر .. فاذا دوائر تتسع وتزداد لتردد فى العالم كله .. وأوربا وأمريكا وروسيا .. اسم شاعر الشرق وفلسفته ورباعياته .. بكل لغة من لغات الدنيا .. حتى فى السينما دخلت أشعاره .. ومنها ((الهولندى الطائر)) الذى مثله جيمس ماسون .. وكانت فى مقدمته عبارة عن حكمة قالها شاعر الشرق .. وكتبها فى شطرة بيت من الشعر !!

والشاعر هو .. عمر الخيام

أما المترجم فمعروف للخاصة من المثقفين ، وهو ((وليم فتزجرالد)) الذى كان أول من أشار بالضوء والشهرة والمجد الادبى العالمى الى ((عمر الخيام)) عندما ترجم رباعياته الى الانجليزية فى ١٨٥٩ .

... ...

وقد ترجمها فيتز جرالد وهو فى حالة طلاق من ابنة عمه .. وكان يقول دائما : لقد ولدت لاكون أعزب .. ولعل ترجمته الرباعيات هى أهم أعماله الادبية .. اذ أضاف خلال سطورها بعض لمحات نفسه .

ويسخر التاريخ والزمن أحيانا .. ففى شيء من الفلسفة قال له تنيسون عن الترجمة بالنسبة للتأليف .. انها مثل الكوكب الصغير الذى يتلاشى بالنسبة للشمس !

والايام لا تذكر فيتز جيرالد — كما نذكره اليوم — الا لانه ترجم عملا خالدا ! لا لانه ألف كتابا أو شعرا .

واذا كانت الدنيا كلها ستتحدث عن عمر الخيام وخاصة هذا العام بمناسبة الذكرى المئوية للترجمة .. فان أحدا فى انجلترا بادىء الامر لم يهتم بالترجمة التى نشرت فى مجلة فريزر ، وكانت تباع بمليمين ونصف مليم!!

ولكن بعد عشر سنوات .. أقبلوا عليها وأعادوا طبعها .. وبحثوا عن النسخ الصفراء القليلة منها ليشتروا النسخة بعشرين جنيها أو أكثر !

... ...

واذا حاولت أن تعرف اسم « عمر الخيام » .. فستتعجب ..

فاسمه الاول هو « أبو الفتح » وليس « عمر » !
واسمه الكامل هو : أبو الفتح غياث الدين بن ابراهيم الخيام .

والخيام لقب جاءه والتصق به نسبة الى أنه بدأ حياته .. يصمم ويطرز الخيام . !

وهناك قول بأن « الخيام » اسم قبيلة عربية قديمة لا فارسية .

ومع ذلك فعمر الخيام ولد ومات ولم يتحرك من بلدته

نيسابور عاصمة خراسان احدى مقاطعات بلاد فارس القديمة !

••• •••

وعمر الخيام الشاعر الفارسى .. يكاد يكون أسطورة بين شعراء العالم كله قديما وحديثا .. فلم يشتهر فى حياته (٧٣ سنة) بالشعر ولا بالرباعيات التى احتاروا فى عددها بعد موته .. ولا بمجونه وعبثه وفلسفته والحاده .. وانما بخلقه القويم ! وببحثه وعلمه فى ضرب الارقام وطرحها وجمعها مع الكسور .. وبالتطلع الى النجوم ، لا كعاشق وانما ليحسب الفلك .. وبالتأمل لا فى الطبيعة والجمال وانما فى الجزور والارصاد الجوية !

وكان عمر الخيام أحد ثمانية منجمين عهد اليهم السلطان ملكشاه (عام ١١٠٠ م) باصلاح التقويم .. فوضعوا التقويم الجلالى الذى فضله المؤرخ جيبون عن التقويم اليوليانى وقاربه فى الدقة من التقويم الجريجورى!

ومن الغريب أنه قبل أن يترجم فيتزجرالد رباعيات عمر الخيام بثمانى سنوات .. طبعت باريس لعمر الخيام رسالة فى الجبر والمعادلات التكعيبية عن طريق الجزور بتقاطع قطعين مخروطين !!! وكان الخيام قد كتبها بالعربية ، ومن ثم نشرها العالم الالمانىويبكه ، واحتفظت بها باريس .

وللخيام أبحاث فى علم الطبيعة ورسالة فى الوجود والكون والتكليف ، وتعمق فى تغيير فصول السنة ، ثم

بحث عن معرفة مقدار كل من الذهب والفضة فى سبيكة امتزجت منهما !

... ...

واذا كان فى المتحف البريطانى بلندن ١٣٥ كتابا مختلفة عن عمر الخيام ورباعياته وعن ترجمة فيتز جرالد له فقد صدر حديثا كتاب عنه فى القاهرة ، ألفه نجيب جورجى ، ورسم غلافه ابنه الفنان فريد نجيب . ومن قبل ترجم محمد السباعى ما كتبه فيتز جرالد ، ثم كتب وديع البستانى عن عمر الخيام وحول رباعياته الشعرية الى سباعيات . ثم ترجم رباعياته عن الفارسية أحمد رامى .

وكتب عن الخيام أيضا أحمد الصافى النجفى والزهاوى من العراق .

... ...

ولاحصاء رباعيات عمر الخيام تحتار فى الرقم الذى تقف عنده . فبعض المراجع يؤكد انها حوالى ١٠٤٠ رباعية ، والآخر يؤكد أنها ٦٠٤ رباعيات كما جاء فى مكتبة بنكيبور . وفى مكتبة باريس الاهلية نسخة تتضمن ٣٤٩ رباعية . بينما نسخة بولدين باكسفورد تذكر أنه كتب ١٥٨ رباعية فقط .

ولكن كل من بحثه يؤكد أن ١١ رباعية فقط هى التى لا شك فى أن عمر قد كتبها . وأما على وجه الدراسة والبحث فهناك ٨٢ رباعية هى ما يمكن أن تنسب اليه

فعلا .. أما الرباعيات الاخرى فقد ألحقت باسمه دون أن يكون هو قائلها .

... ...

وسلام على « عمر الخيام » الذى أصبح اسطورة من من أساطير الشرق والغرب !

□ □ □

ولا أقفز من الموضوع .. الذى يبدو كأنه قد انتهى . وانما أسرح الى رجل وسيم .. عرفته فى القاهرة . كنت أرى فيه.. ومازلت.. ملامح رجل قادم من الشرق.

ظنى لا يخيب . رأيته وسط زحام القاهرة الديبلوماسى .. وفيها نحو ١٢٥ سفيرا وديبلوماسيا يمثلون دولا تفترش بعضا من الست الجزر الكبرى . هى القارات الست فى عالمنا فوق منحنى كرتنا الارضية . ومع ذلك لم تلخطئنى ملامحه . كان فعلا قادما من قلب آسيا .. من المساحة الواسعة لبلاد الفرس القديمة . من أفغانستان الحديثة . وهكذا عرفت : محمد موسى شفيق (٣٩ سنة) سفير بلاده فى القاهرة وبيروت والخرطوم واكرا .

واستمعت اليه مع أيام صحبة فكرينا .. فكان حديثه بالعربية ذكيا طليا عميق المظهر والجوهر . انه لغوى . الى درجة تعجبت لها ذات مساء . عندما كنا مع عميد لغتنا الجميلة د. طه حسين ، فى صالون بيته [رامتان] تحت

ظلال أشجار تعلو على الجانب الايمن لوسط طريق الهرم الاكبر .

وأذكر الان بعضا من حوار نسجه ذلك المساء عندما دلفت الى الحديث .. ذاكرا : ((سيبويه)) : الافغانى الذى حفظ قواعد لغتنا العربية فى موسوعته الكبرى . لاقول لعميد الادب :

.... ـ سمعت من السفير ، أن معنى اسم ((سيبويه)) يقابل عندنا اسم ((عبد النور)) .

السفير : الاسلام ، أدخل اللغة العربية الى أفغانستان ، كما أدخلها الى بعض نواحى الهند والى ايران .. نحن عجم ، كنا نحتاج لتعلم اللغة العربية .

طه حسين : العجم هم أكبر الناس فضلا فى استنباط القواعد العربية . ان سيبويه هو أول من ألف كتابا فى النحو ، ما زال يدرس حتى الان .. اللغة العربية تقريبا غلبت فى الثلاثة القرون الاولى فى بلاد العجم ، مستعمرات عربية كثيرة جدا ، أقامت فى أنحاء فارس : خراسان ، اصفهان ، وما الى ذلك .

م. م. شفيق : العربية كانت اللغة الرسمية لافغانستان حتى القرن الثالث الهجرى ، حتى أعلن السلطان محمود الغزنوى ابان الامبراطورية الغزنوية استقلاله الثقافى عن الدولة العباسية .

ومن جديد أدلف الى الحوار ، لاذكر : جمال الدين الافغانى ، الذى احتفلنا بمرور ١٠١ سنة على ميلاده منذ شهور .

طه حسين : جمال الدين الافغانى ، كان مهما جدا . .
مضىوقت طويل وتقدمتمصر والناس كادوا ينسون الامام محمد عبده . هو الكويس فى جمال الافغانى « المجلة » التى أنشأها فى باريس مع محمد عبده : مجلة العروة الوثقى .

م. م. شفيق : بالمناسبة . . كتابكم [الايام] ترجم الى لغة الباشتو الافغانية .

ويستمر الحديث ثلاثيا طويلا .

ويودعنا العميد بعد أن زحف الليل يواصل رحلته الى مطلع يوم جديد .

وفى السيارة . . فى طريق العودة . . يستمر حوارنا ثنائيا . . ولكن عن [عمر الخيام] .

ويسرح السفير م. موسى شفيق . . الى بعيد . أرضا وزمانا . ليعود من سرحته . . وكلماته معه تتهادى :

□ . . فى أمسية ما سادت نفسى وحشة . فاختليت الى حجر اعتلى ربوة شبه خضراء على ضفاف النهر ـ نهر هدسن تحت سماء نيويورك ـ وبدأت أتأمل النجوم فى قعر الماء الذى بدا وكأنه الكون الذى لا نهاية له نراها . وسرى على لسانى دون ما قصد :

جهلت يا نفسى سر الوجود
وغبت فى غور الفضاء البعيد
فصورى من نشوتى جنة
فربما أحرم دار الخلود

وفجأة – ومرة أخرى دون ما قصد – وجدتني أرتمي في أحضـــان الرباعيات وأبحث لديها عن ملجأ يغيثني – لا من مهاجم يقصدني بأذى ولكن من أفكار وخواطر الفتني وحيدا تحت تلك الشجرة النائية في ظلام تلك الامسية المحـــرومة من نور القمر ، فانهالت على رأسي وعلى صدري وعلى قلبي دون رحمة أو هوادة .

وهكذا .... وبعد أقل من ساعة مددت يدي نحـــو الصندوق الخشبي الانيق الذي يحفظ البطاقات الخاصة بالقناطير المقنطرة من كل تلك الكتب المكدسة أو المرصفة التي تحـــويها في جزيرة مانهاتان مكتبة مدينـــة نيويورك الامريكية . كنت أريد أن أقرأ لعمر الخيام قائل الرباعيات وان أعيش معه في جوه الذي تخيلته أنا له – منذ صباي – وغير من معالمه كما غيرني مر الايام ومد الســـنين . واذا أنا أجد نفسي أمام عدد يربي على خمسمائة عنوان يستطيع الباحث أن يجد تحتها معلومات حول الخيام ، أو حول ما قاله أو ما قيل عنه . وقد قام أحـــد الذين كتبوا عنه باحصاء الكتب والرسائل التي ألفت حـــول عمر الخيام فوجدها حتى عام ١٩٢٩ تزيد – في أوربا وأمريكا وحدهما – على ١٥٠٠ أثر ! . ويكفي أن نعرف ان رباعياته ترجمت ٢٣ مرة الى اللغة الانجليزية و ١٦ مرة الى اللغة الافرنسية و ١١ مرة الى الاردو و ١٢ مرة الى الالمانية و ٨ مرات الى العربية و ٥ مرات الى الايطالية و ٤ مرات الى التركية و ٤ مرات الى الروسية ومرتين الى الدانمركية ومرتين الى السويدية ومرتين الى الارمنية . ويكفي أن نعرف أن ترجمة فيتزجرالد للرباعيات كانت قد طبعت حتى عام ١٩٢٥ أكثر من ١٣٩ مرة . وقد كتب بيير باسكال في آخر كتابه الانيق عن الرباعيات

يقول : « من المستحيل حقا أن نضع قائمة تشمل كل ترجمة وجدت للرباعيات » .

والذى يعرفه من درس حياة أبى الفتح عمر بن ابراهيم الخيام هو أن صاحب الرباعيات لم يشتهر فى زمانه بقول الشعر . بل ان هناك دراسات حديثة تقول انه لم يعرف عنه أصلا نظم الشعر فى أيام حياته . وتكون أشعاره على هذا الاساس قد رويت بعد وفاته . أو أن وريقات عثر عليها فيما تبقى منه من آثار وأشياء تحمل ما قاله من الشعر عندما كان يحدث نفسه أكثر من أن يخاطب أحدا غيره .

لقد كان نظامى العروضى من الكتاب المعروفين فى عصر الخيام ومن الذين حظوا بلقائه واستفادوا من محضره . ويذكر نظامى هذا اللقاء الذى تم بينه وبين الخيام فى مدينة بلخ بأفغانستان الشمالية فى عام ٥٠٦ من هجرة الرسول . كما يذكر بالمباهاة زيارته لضريح الخيام فى عام ٥٣٠ ، فى كتابه المعروف « المقالات الاربع » . ولكن أين جاء العروضى بذكر الخيام فى كتابه هذا ؟ انه لم يشر اليه اطلاقا فى الباب الثانى المختص بفن الشعر بل تحدث عنه فى المقالة الثالثة الخاصة بعلماء الفلك حيث جعله موضوع الحكايتين السابعة والثامنة .

ولعلنا نندهش عندما نعلم أن أول ذكر جاء به التاريخ للخيام الشاعر لم يكن الا بعد مضى أكثر من نصف قرن على وفاته . فقد كان عماد الدين الكاتب القزوينى أول من حمل الى العالم نبأ شاعرية الخيام ، وذلك عند حديثه عن شعراء خراسان فى كتابه المعروف « خريدة القصر » الذى ألفه فى حدود العام الهجرى ٥٧٠ . وما هو أغرب ان هذا النبأ الاول لم يكن خاصا بالرباعيات — السلم

الذى قفزت عليه ذكرى الخيام الى سماء الصيت والمجد فى عالم الادب ـ بل كان هذا النبأ يتحدث عن شعر عربى قاله عمر الخيام فى مناسبة لا يذكرها المؤرخون :

اذا رضيت نفسى لميسور بلغة
يحصلها بالكد كفى وساعدى

وبعد ما يقرب من عشرين سنة مضت على تأليف « خريدة القصر » أشار مؤلف آخر هو: شهر روزى ، فى كتابه «نزهة الارواح» الى أن عمر الخيام كان يقول شعرا لطيفا باللغتين الفارسية والعربية . ولكن حتى هذا المؤلف لا يذكر له أية رباعية أو أية قطعة شعر فارسية ، بل يستشهد على شاعريته بشعره العربى المذكور فى « خريدة القصر » . وهكذا حتى نصل الى نهاية القرن السادس الهجرى ، فنجد أول خيط مما سميناه بعد قرون عديدة برباعيات الخيام فى « رسالة التنبيه » للامام فخر الدين الرازى . فقد ذكر الرازى له رباعية واحدة أردفها محمد بن على الظهيرى السمرقندى بخمس رباعيات لم يقل أنها للخيام ولكن ثبت فيما بعد أنها كانت من نظمه هو .

ثم توالت المراجع تذكر له بل تحمل عليه عددا ضخما من الرباعيات ، لدرجة أن العالم المستشرق الروسى زوكوفسكى انتقى من بين ٤٦٤ رباعية نسبت الى الخيام ٨٢ رباعية ابتدع لها عنوان « الرباعيات الرحالة » ، فى حين أن آخر من كتب عن الخيام وهو الكاتب الكبير على دشتى يعتقد أن عدد الرباعيات الاصلية التى يسميها « بالرباعيات المفتاح » (أى : المفتاح الى معرفة سائر الرباعيات) لا تزيد على ٣٦

رباعية . وقد ازداد هذا العدد الى ٧٥ فى فصل آخر من مؤلفه القيم تحت عنوان « الرباعيات المختارة » .

وقد أدت كثرة الرباعيات الدخيلة الى العثور على تناقضات فكرية ومنطقية فيها . وكان المحققون فى أفكار الخيام من زوكوفسكى الى صادق هدايت يعلقون على هذا التناقض الصارخ بقولهم : « لو كان عمر الخيام عاش قرنين من الزمن وأصبح كل يوم من عمره يغير من فكر الامس ويعتنق مبدأ جديدا لم يكن فى استطاعته أن يقول ويعتقد ما نسب اليه فى كل هذا العدد الضخم من الرباعيات » .

وقد يكون الأقرب الى الحقيقة أن نقول ان : عمر الخيام ، لم يكن شاعرا بالمعنى الذى كان يفهمه جيله وزمانه من كلمة الشاعر . فلا هو من أبطال فن القصيدة فى اللغة الفارسية مثل العنصرى والفرشى والانورى ، ولا هو من عمالقة فن كتابة التاريخ بالشعر مثل الفردوسى والنظامى ، ولا هو ممن يسمون بالمتغزلين من أمثال شاعر الحب الكبير حافظ الشيرازى . ولكنه قال الشعر واستغله كوسيلة لنقل أفكاره الفلسفية أو كذريعة يفرج بها عن نفسه فى وقت ضاقت فيه الدائرة على حرية الفكر والعقيدة . وقد كان الخيام انسانا مهذبا ، وديعا فى أكثر الاحيان ، يؤمن بالاعتدال فى الامور ويختار منها ما هو أوسطها . لا هو بالمساير للسلطة حتى النفاق ولا هو بالثورى الرافع علم الخلاف والطغيان ضد كل ما يراه باطلا . وكان يؤمن ايمانا مطلقا بفلسفة ابن سينا الذى نشأ فى بلخ — وهى البلدة التى ولد فيها الخيام على أصح الاقوال — وكان يلقبه بأفضل المتأخرين .

ومن زملاء الخيام فى الدراسة : حسن بن صباح الزعيم الثورى المعروف للطائفة الاسماعيلية ، والوزير نظام الملك مؤسس المدرسة البغدادية المعروفة فى التاريخ بالمدرسة النظامية .

وقد كان للخيام كعالم كبير فى الرياضيات وفى علوم الفلك وفى العلوم القرآنية وفى اللغة العربية مكانة كبرى لدى علماء عصره ولدى الحكام والملوك الذين عاصرهم . وقد ذكره عالم اللغة الكبير الزمخشرى باسم « فيلسوف العالم » ، كما ذكره آخرون بألقاب مماثلة .

ولم يكن الخيام يجهر بالمعاصى بل كان على العكس كتوما حتى فى مخالفته لما لا يرتضيه من آراء دينية وتقاليد اجتماعية وسياسية تسيطر على الفرد والمجتمع فى زمانه وبلده. ويشهد بذلك ما روى عن حواره المعروف مع الامام أبى حامد محمد الغزالى والامير على بن فرامرز .

وقد الصق اسم الخيام بشكل غريب بالخمر وبما تحدثه من انفعالات فى نفس الذى يتعاطاها . وقد وصل الامر الى درجة أن الانسان يشعر بنوع من النشوة — أو النشاط على الاقل — عندما يذكر أو يقرأ اسم الخيام مكتوبا على باب حانة أو وجه زجاجة أو واجهة ذاعة .

والحقيقة كما أثبتها آخر ما وصلت اليه الدراسات الخاصة بحياته غير ذلك تماما . وهذا لا يعنى انه لم يكن يتعاطى الخمور اطلاقا . فمن الجائز بل من المرجح أنه كان يفعل هذا ، والا كان يصعب عليه أن يستغلها كل هذا الاستغلال اللطيف

البديع لنقل أفكاره وفلسفته . ولكنه لم يكن مدمنـــا للخمور أو جاهرا بشربها .

وحتى لو أمعنــا النظــر فى الرباعيات لرأينا أن من بين ٣١ رباعية ذكرت فى نزهة المجالس لا تتحدث عن الخمر الا خمس منها فقط . وكذلك الحال فيما ذكر من الرباعيات فى مجموعة مؤنس الاحرار . بل نجد أن فى مجموعة [فروغى] المعروفة لا تحتوى على ذكر الخمر الا ١٥ رباعية من بين كل رباعياتها البالغ عددها ١٧٨ رباعية .

وهذا يدل على أن من أفرط فى اضافة رباعيات جديدة من قوله أو قول شاعر أو شعراء آخرين الى ما قاله الخيام فقد أفرط أيضا فى شرب الخمر،ولكن على حساب شاعر الرباعيات حكيم خراسان وفيلسوفه عمر الخيام!

وبعد .. فأرجو أن لا أكون قد شوهت ، بما تطوعت ــ متطفلا ــ من عرض تفاصيل عن خلق عمر الخيام وحياته ، الصـــورة الجميلة التى رســـمها المعجبون والمعجبات به وبرباعياته الخالدة فى أذهانهم لهـــذا الشاعر الاسطورى الذى يحكم خيال الملايين من البشر فى الغرب وفى الشرق ، المراهقين منهم والمراهقـــات والشبان والشابات وحتى الشيوخ على السواء .

ولا أدرى هل يرضى روح : أبى الفتح ، فى العـــالم الآخر ، عما أبوح به أنا كحديث عابر .. أو يســـاير ما ترسخ عنه من خيال شاعرى أنيق عبر القرون وعبر القـــارات .

ولا أجد الا تعبيرا واحدا ، هو : .. ربما . !!

□ □ □

من كاتب زراعة الى حجة لصدر الاسلام

■ .. أول عالم عربى مصرى تقام له مكتبة تحمل اسمه فى احدى جامعات أمريكا هو د. عزيز سوريال عطيــة [٧٠ سنة] عندما احتفلت جامعــة ((يوتا)) باطلاق اسمه على مكتبتها ، وذلك فى احتفال جامعى كبير، قبيل حضوره فى اجازة مارقة الى مصر .

خصصت هذه المكتبة كمرجع عالمى لكل ما يتصــل بالمسيحية الشرقية والاسلام ، خاصة فى بداية انتشاره كدين ورســالة .. اذ تضــم العديد من المجلــدات والمنســوخات والكتب العربية النادرة التى تعــود أن يشتريها د. عزيز عطية ، من القاهرة ومكتبات أحيائها العتيقة ، كلما جاء الى القاهرة فى حدود ٣٠ ألف دولار للمرة الواحدة .

ومن بين الكتب التى تحويها مكتبته : مؤلفاته التى طبعتها وأصدرتها جامعة أكسفورد فى بريطانيا،وأعادت طبعها جامعة انديانا فى أمريكا ، وترجمت الى الالمانية لتطبعها جامعة اشتوتجرت . ومن بين هذه المؤلفات وأحدثها كتاباه عن : فلسفة الحروب الصليبية وتجارة الشرق الاوسط والثقافة العربيــة .. وعن : تاريخ الكنيسة القبطية ويقع فى ٧٤٥ ص .

... ...

وتاريخ حياة د . عزيز عطية .. قصة كفاح ، بدأها

فى مطلع هذا القرن وهو يتمنى أن يكون طبيبا ، وفعلا التحق بدراسة الطب ٤ سنوات ثم ترك كليته مقبوضا عليه أثناء مظاهرة ضد انجلترا . ومن ثم خرج ليستأنف حياته عائلا نفسه بعد ما زادت مسئولياته العائلية ، فاشتغل موظفا فى وزارة الزراعة فى الصباح ، وبعد الظهر كان يوالى دراسته فىمدرسة المعلمين .. وفىالليل يروح ليعلم فى المدارس الابتدائية والثانوية فى القاهرة .. وبعدما طلع الاول بدأ يحضر للماجستير ، بعث الى كمبردج ونال درجة الدكتوراه فيها ، وبعث الى المانيا، واستزاد من العلم كثيرا ليرجع الى جامعة القاهرة ، ثم الى جامعة الاسكندرية ليعمل فيها مدرسا فاستاذا فرئيس قسم التاريخ ووكيلا لكلية الاداب بها . وما أن قارب سن التقاعد حتى طلبته جامعات أمريكا ، فاختار الجامعة التى يعمل بها،بعد أن اشترك فىمؤتمر بحمدون كواحد من أعضائه السبعين للتقريب بين الكنائس المسيحية والمذاهب الاسلامية مجتمعين عند نقط التقابل لا التفارق .

وفى أمريكا ، ذاعت شهرة د. عطية ، كحجة فيما يعلمه ، حتى أن سفيرنا السابق د. مصطفى كامل ، شهد بأن : « .. الاستاذ عزيز سوريال عطية ، عالم من أكبر علمائنا ، ومصرى راسخ فى وطنيته ، وجهوده فى دراسة التاريخ الاسلامى معروفة فى الدوائر العلمية العالمية ، وانه لمما نفخر به أن يكون هذا الاستاذ الكبير مصريا ، قضى حياته يبحث عن حقائق العلم بعزم لا يلين وأمانة لا تبارى ووطنية صادقة ، ولقد تنافست الجامعات الكبرى فى كثير من الدول الغربية ــ بعد أن أتم مهمته فى بلاده ــ على دعوته كى يعمل بها ويعرف علماءها

وابناءها بمدنيتنا الاسلامية والعلاقات البناءة بين الاسلام والمسيحية .. »

ومما يذكر أنه رغم المشغولية العلمية لعزيز عطية ، فانه يتجه فى وقت فراغه لنشر لغتنا العربية فى سولت ليك سيتى التى يقطنها .

فالى جانب الـ ١٠٠ الذين يدرسون لغتنا فى الجامعة و ٢٠ غيرهم يحضرون لدرجة الماجستير فى الدراسات العربية غير ٣ تفرغوا لرسالة الدكتوراه فيها ، فانه أنشأ فصولا لتعليم اللغة العربية فى ٤ مدارس ثانوية هناك، يعاونه فيها : المصرى سامى عياد واللبنانى يوسف خورى،اندهش د.مصطفى الشكعة ، مستشارنا الثقافى فى أمريكا عندما كان يزور كل فصل منها ، وهو يقابل بصوت الطلبة الامريكان ينشدون بالعربية نشيدنا : « بلادى .. بلادى .. فداك دمى » !!



الفنـــان السفير الذى تزوج بمن تصغـــره ٣ مرات

■ .. لندن .. تتحدث عن سرقة : روبنز ؟

باريس ... الناس فيها تهمس بما حدث فى لندن عن : روبنز ؟ !

واشنطون .. تزيد الحراسة فى متحفها القومى خوفا من ضياع لوحة من أعمال : روبنز ؟

متاحف : موسكو وفينيسيا وفلورنسا وروما وميونخ وبرلين وهامبورج ومارسيليا وبروكسل ولوكسمبورج و .. و .. بل كذلك بعض كنائسها الكبرى .. راعها ما حدث . ثم بدأت تبحث وتتدارس : كيف تحافظ على : روبنز ؟

هل بالاجراس الكهربائية .. بالاشعة .. بمزيد من الحراسة .. بماذا ؟ !!

القاهرة : أيضا .. تكلمت عن : روبنز بعد أن اختفت لوحة بريشته ، من متحفنا الفنى بالجزيرة ، ثم سرعان ما عادت الى مكانها فى جو من الغموض . بعد أسبوع واحد .. من ٤ سنوات .

من هو اذن : .. ((روبنز)) .. الذى يتحدث عنه الناس فىكل بلد يهتم بالفن،منذ سنوات ، بعدماانتشرت

((موضة)) سرقة لوحاته من متاحف العالم .. اذا استطاع لص الفن الى ذلك سبيلا .

وراحت السينما تخرج عن سرقة اللوحات والقطع الفنية أفلاما سينمائية ، تطوف بالدنيا .

••• •••

من ٣٩٣ سنة ولد : بيتر بول روبنز فى « سيجان » ، احدى قرى الاراضى الواطئة شمال غرب أوربا ، وذلك بعد مولد : ليوناردو دا فينشى (٦٧ سنة) بـــ ١٢٥ سنة ، وبعد مولد : مايكل أنجلو (٨٩ سنة) بـــ ١٠٢ من السنين ، وبعد : تيتيان (٩٩ سنة) بـــ ١٠٠ سنة ، وبعد روفائيل (٣٧ سنة) بـــ ٩٤ سنة .

واذا كان حوالى القرن .. بسنواته المـــائة ، يبعد بينه وبينهم...فان الخلود قد جمعه معهم فى تاريخ الفن والرسم والالوان واللوحات ، ابان عصر النهضـــــة الاوربى ، اذ كان للفنان مكانته :

لا غنى للكنيســة : عنه

ولا غنى للحاكم عنه : أيضا .

للاولى .. كان يبتكر لوحاته الفنية مخلدا فيهــــا مجسما ما يتراءى له من صفحات الانجيل والخير .

وللثانى مسجلا له ولاسرته غزواته واجتماعاته ، مزينا له قصوره وقصورهم .

فكان للفنان الحظوتان : الدين ... والدنيا ، راضية عنه متقربة اليه !

وهكذا عاش من ذكرت أسماؤهم .. — مقربين مرات ، مبعدين مرة — وراح الطفل : « روبنز » .. بعدما طاف مدن بلاده واستقر فى أنتويرب بعض الوقت وشب عن الطوق .. راح ليدرس الفن بين المدن الايطالية الكبرى وأسبانيا ويحملق فيما تركه هؤلاء الفنانون الكبار ، من لوحات : روفائيل فى روما ، تعلم: التكوين الموضوعى . ومن فن تيتيان فى فينتسيا .. تأثر بسيمفونية الالوان . وعن مايكل أنجلو فى فلورنسا .. أخذته : القوة وحركة العضلات الملفوفة .. ومن رحلته فى أسبانيا .. درس ماينقصه وماينقص بلاده من لمسات الضوء والشمس .. الذى بهره ، وهو : الـ « نون » فأضافه الى فنه ..

وعاد ليرسم الآلهة والانبياء والابطال والشهداء ..

كانت لوحاته أشبه بالاساطير . عواطف جياشة يفردها اللون وتحتويها أجساد بضة فارعة تموج بالصحة وباللون .. وصراع بين الخير والشر .. ولكن لا قبح .

ان : روبنز ، تمسك بالجمال وحده . يعشقه . حتى عالم الحيوان .. ما من فنان أوربى على مدى مراحل الحضارة الاوربية عنى برسم الحيوان الضارى مثل روبنز ..

ان لوحاته الضخمة ومساحاتها الكبيرة جدا تموج بعوالم خاصة به . تملأ الفضاء .. فضاء الكون وفراغ الجدار ! .

وكان يعاونه فى تنفيذ رسمه لفكرته الاولى كثير من تلاميذ مرسمه .

ان ((روبنز)) فى فنه أشبه بـــ ((هومير)) .

روبنز أضفى بألوانه الكثير عـــلى الفـــن الاوربى الفلمنجى ، كما أضاف هومير بأدبه وأساطيره الكثير الى الادب الاوربى اليونانى .

روبنز عن طريق فرشاته كان يتغنى بخياله .

وهومير عن طريق قيثارته كان يتحدث برواياته .

... ...

ومع هذا تمضى ألوان روبنز .. فرحانة تمضى مبتهجة بالحياة ، تسجل أجمل ما فيها ..

وتمضى الدنيا بالفنان .. روبنز .

يعجب به قيصر بلاده وحاكم اقليمه . فيعينه سفيرا ورسولا خاصا له لدى بلاط أسبانيا ، ثم بريطانيا .

ويعيش : روبنز ، الى جانب لوحاته وألوانه وزوجته: ايزابيللا برانت ، التى تزوجها فى أنتويرب وله من العمر ٣٢ سنة . ولكنها تموت بعدما تشهد نجاح زوجها خلال ١٧ سنة عاشتها معه .

ولكن بعد ٤ سنوات . .يترك روبنز فرشاته ليتساءل : ما الذى حدث لى . ؟

كيف . ؟ هذا العشق المفاجىء ؟ كيف يدق قلبى لهذه الفتاة الشابة الحالمة الصغيرة بنت الـ ١٤ ربيعا ؟!

ولكن القدر سخر منه . جعله يتزوجها . فتزوج وله من العمر ٥٣ سنة: هيلين فورمنت ، التى كثيرا مارسمها فى لوحاته عارية تماما ، على عكس زوجته الاولى التى كان يرسمها كأميرة من أميرات أحلامه .

وراح فارق السن يلعب دوره .. فرحة كبرى .. ثم حقد يختلط بها وبه .. ان عمره لا يلحق شبابها الذى يكبر .. وراح يئن مع سنواته القادمة .. لا يشكو لاحد .. الا لوحاته .. فراح فى هذه المرحلة يميل الى رسم المآسى وتسجيلها فى شاعرية رجل بدأ يعتزل الحياة الصاخبة التى تعودها فى القصور .. نزح الى الريف . ترك الاضواء . خاف على زوجته الشابة الجميلة التى تصغره .. أن تلمع أكثر . ويتخاطفها شبان القصر . شباب المدينة . أرادها لنفسه فقط . وانزوى .

سألوه وهو يحتفل بعيد ميلاده الاخير الـ ٦٣ :

.... ــ انك دبلوماسى بارع تهوى الفن .. كيف تجد وقتا للرسم ؟

قال روبنز وعيناه تحملقان ــ فى فخر ــ الى بعض لوحاته .. ثم الى عينى زوجته الشابة الجميلة .

.... ــ بل انى فنان عاشق .. أولا ، ولكنى اذا وجدت فراغا فى وقتى فانى أميل الى الدبلوماسية .

ومات : بيتر بول روبنز .. السفير

وظل : روبنز .. الفنان .

ظل .. لتتحدث عنه عواصم الدنيا وفنانوها ومحافلها ومثقفوها حتى لصوصها ومن ورائهم رجال الامن فيها !

□ □ □

آدم الجديد ؟

■ .. كانت فى حياته عقدة . لم ينتحر . وانما هرب الى عالم آخر . بعيد عن الذكريات . الى صحراء وتلال وجزر النوبة . قبع فى ظلالها وتحت سمائها . يتأمل حاضره . لقد ألغى ماضيه . حتى اسمه ((صموئيل هنرى)) رأى أن يتركه . انه لم يسم نفسه . هكذا سموه وأطلقوا عليه . اذن فليذهب الى مكتب الصـــحة يضع لنفسه ــ وبيده ــ ميلادا جديدا . تحت اسم جديد .

ما أسمك الجديد اذن . ؟

ويسرح فى سقف الحجرة وفمه يتمتم بشىء مبهم . ولكنه .. وفجأة .. يهتف وكأنه وجد نفسه :

.... ــ أسمى : آدم .. آدم حنين . !!

وســـجل موظف الصـــحة : اسمه الجديد . وعيناه تتعجبان من وراء نظارة راح سلك رفيع جدا من المعدن الرخيص يحيط بها .. وطربوشه يبدو وكأنه قطعة من ملامح وجهه .. فعرق الصعيد قد غطى جبين الاثنين !. يتعجب من الشاب الذى وقف أمامه وقد التف على جسده جلباب نوبى فضفاض وعمة بيضاء كبيرةعلى رأسه،ولم يكن لونه أسمر . عيناه لونهما أزرق . اسمه حنين .!! الا تدعو كل هذه المظاهر الى العجب ؟ . ولكنه سكت تأدبا . وراح يغمس قلمه فى محبرة الحبر (الزفر) أمامه ليرفعه وينثره فى الهواء مرة قبل أن يقربه من ورقة الاورنيك يسجل به فيها ما يراه وينطق به القادم اليه من

بعيـــد . من القـــاهرة . المهاجر الى بلاد تصاحبهـــا الشمس نهارا والنجوم ليلا وأحيانا يطل عليها القمر !! هلالا أو بدرا ثم يختفى !

تلك اذن قصة آدم حنين .. آدم الجديد ، الذى ترك القاهرة بكل ما فيها — وفيها بعض أنفاسه وبعض قلبه وكل أحلامه — تركها منذ سنوات بعدد أصـــابع الكف الواحدة ، الى أقصى الصعيد . وفى رأســـه زحام من رؤى وخيالات تدفعها ذاكرته . ألم يقرأ ويسمع منذ كان يتعلم النحت فى كلية الفنون الجميلة رحلات قام بهـــا أهل الفن فى مغامرات أشـــبه بالهرب أيامها : ليوناردو دافينشى من ايطاليا الى فرنسا . فان جوخ من هولندا الى فرنسا ، وصديقه الذى صاحبه واختلف معه وعنه : جوجان ، من فرنسا الى تاهيتى .. تلك الجزيرة النائية القابعة بين زرقة أمواج المحيط !

اذن لماذا لا يتحرك . ويغامر . ويقبع مع أحـــلامه الجديدة ، بعد أن تخلى عن دنياه.. يشكلها كما يروق له.
انه جاء ليبحث عن نفسه . عن كيانه . عن وجوده . فراح يشكل ما يحس به . معبرا عنه .

ومن جديد بدأ آدم فى دنيـــاه .. بعيدا عن المدينـــة الكبيرة .. ينحت وينحت . ويرسم أحيانا .

انه تفرغ للفن .

ولكن للتفرغ قانونا . هو أن يعرض الفنان الذى أهدته الدولة ٤ سنوات تفرغ .. بعض ما عمله رسما أو نحتا.
وهكذا جاء آدم من دنياه الجـــديدة الدافئة بجوهـــا وببساطتها الى القاهرة . الى بيت السنارى بالقرب من ميدان السيدة زينب .

وبيت السنارى هادىء . لا تسمع الاذن فيه همسة ، وان كانت العين تستمع وتستمتع بنغـم زخارفه التى تحددها ظلال ويبرزها ضوء الشمس التى تطل عليهـا بلا حرج من سماء الفناء المكشوف للدار . . التى تسمع الان حوارا فنيا يختلف تماما عن كل ما قيل بين جدرانها خلال قرون وأجيال عاشتها الدار !!

فالنحت الذى يعرضه آدم الجديد . . آدم حنين . كتل صغرت أو كبرت تبعـد عنها التفاصيل . تختفى عن مظهرها الزخرفة . تقرب منها فلسفة الخلق . صـفاء الحجر ، أو جمال الانسـياب فيمـا يحيطه الشـكل بالمضمون .

ان فن آدم المنحوت يكاد يكون انطلاقة هادئة تتابع البساطة المصرية الفرعونية القديمة ، ولكن من خلال الفكر الحديث ، لا مجرد استرسال فى تقليد الايمـان القـديم . والنحت قديما كان على شاطىء النيل جزءا من الدين ، ان لم يكن وحيا للدين .

ولكن عالم الصمت الذى عاشـه آدم حنين على جزيرة أسوان . . متأملا فى الكون والخلق . . هـو الذى عكس عليه تأكيدا للبساطة التى يرى ويحس بها الاشياء : من العصفورة الصغيرة . . الى الصقر المحلق . . الى الحيوان البطىء . . الى الانسان فى بعض صوره . واقعيته وسموه .

والى الاتجاه نفسه ، يحاول فناننا آدم ، أن يرسم ويعـبر عن طريق الفرسك الملون . لوحات تعكس دنيـاه . الا أنه هنـا يختلط عليه الامر نوعا . يترك

بساطة الكتلة توحى بأنه ما زال منقادا الى عصر غير عصره . الى اليونانية الهيلانستية .

ومن هنا أقف لحظة معه للمناقشة .

ان معرض آدم ، الذى أقامه فى قلب القاهرة العتيق العجوز — للروتين واللجنة التى تشرف على التفرغ — حصادا لاربع سنوات من عمره الفنى الجديد .. يؤكد أن هذه السنوات لم تهرب منه ، وبالتالى لم يهرب منها . وانما أضاف قيما جديدة اليه ، يجب أن تفيد منها مصر فى معرض متجول يقام لاعمال النحت : لآدم الجديد فى العواصم الثقافية فى عالمنا .



صالون الهواء .. والبحر . ؟

■ .. وبالقرب من نهاية السهرة .. ختام سهرة هذا الصالون : ((صالون من ورق)) .. لا أتصور كتابا أكتبه عن : الصالون . أى صالون . من غير أن أعود بذاكرتي الى ((صالون)) أضاف الكثير من ملامح حياة جيل أغلبه ممن يحمل القلم الان . وأعنى به : [صالون كامل الشناوى] . بكل ما فيه من مرح وصخب . فكر وعلم . سياسة وفن . لغـة تعلو وعامية لا تهبط . روحانيات وشقاوة . مقالب جـد وهزر . آهات الحب والضحك والجـوى والفلس والغنى . وكل ما هو جديد فى دنيانا وما هو جديد فى مواهب عالمنا، وجد له مكانا فيه : اسما ومعنى ووجودا .

وأنى لاعود بذاكرتي الى جلسة جمعتنا .. كامل الشناوى وفريد الاطرش وأمواج البحر وأنا .. عنـد شاطيء الاسكندرية .. ذات صيف ليس ببعيد . ربما كان هو آخر صيف لكامل قبل أن يبعد بعيدا الى ما وراء زرقة السماء : روحا هائما فوق كل الصالونات .

ومن عجب أن يكون صالوننا من رمال وماء .. ولا جـدران .. وحتى .. بلا أوتاد . هكذا تعود : كامل : فى صالونه .. أن يكون هو [العمود] ينصب ذاته ويجتمع من حوله الاصدقاء والاعداء .. اليمين واليسار .. الناس كلهم عنده أهل وخلان .

ومن عجب أن : كامل .. يـوم اجتمعنـا على

رمال شاطىء الاسكندرية كان يضحك .. وفريد يشكو .

ثم .. راح الضاحك .. وبقى الشاكى ، مد الله فى عمره .

ولأعد بذاكرتى الى ما كان فى جلستنا . الى صالون : الهواء والبحر .

■ ..وجه فريد الاطرش مخطوف . لا من تباريح الهوى والغرام . ولكن من الكبد وآلام الطحال ووجع فى القلب . وان آهاته لا يستعيدها أحد . انما تثير شفقة عند سامعها . ان مطرب العواطف لا يبحث الآن الا عن الاطباء ليستمعوا لشكواه !

قلت لفريد الاطرش ، قبيل أن يبرح الاسكندرية ، بساعات :

... — الى أين ؟

قال :

.... — الى لبنان . ومنها الى لندن للعلاج . أن الذى يحيرنى لا الفتاق فوق الحجاب الحاجز . ولا تضخم كبدى . ولكن . .د. على عيسى ، قال فى تقريره أن عندى عضلة فى القلب تعبانة جدا .

وتطلعت الى الشاعر الاديب كامل الشناوى . لم يسخر كعادته من شكوى فريد . ولا من أمراضه التى يمكن أن يختار منها ١/٢ دستة فى دقيقة . ولكنه أومأ برأسه وكأنه يؤمن على كلمات فريد .

وسألت فريد عن كامل . فقال ان مؤسسة السينما اتفقت مع كامل الشناوى على أن يعطى : احدى قصائده ، ليتغنى بها فريد ، فى فيلم « الخروج من الجنة » الذى سيمثل بطولته عن قصة لتوفيق الحكيم ، عند عودة فريد الاطرش من أوربا .

قلت للشاعر : وما كلماتها ؟

قال كامل الشناوى :

لا وعينيك يا حبيبة روحى
لم أعد فيك هائما فاستريحى
سكنت ثورتى
فصار سواء
أن تلينى
أو تجنحى للجموح
واهتدت حيرتى
فسيان عندى
أن تبوحى بالحب
أو لا تبوحى !
وخيالى الذى سما بك يوما
يا له اليوم من خيال كسيح
والحنان الذى غمرتك فيه
ضاع منى
وخاننى فى جروحى
والفؤاد الذى سكنت الحنايا منه

أودعته مهب الريح
لا وعينيـــك
ما سلوتك عمرى
فاســـتريحى
وحاذرى أن تريحى !

... ...

وأعود لاسأل كامل الشناوى :

.... — ترى منذ كم سنة تقابلتما فى أول لقاء .. وهل تغير رأيك فى فريد الاطرش على طول اللقاء ؟

ويسبق فريد بالرد ليقول :

... — سنة ٤٠ قبـــل المرحومة أختى أسمهان ما تتوفى .. فى أول فيلم : « انتصار الشباب » .. مش كده يا كامل ؟

كامل : .. أيوه اتقابلنا فى فندق الناشيونال فى مصر . ولكنى كنت بأروح واسمعك هناك .

فريد : سنة ٣٢ و ٣٣ .

كامل : (موجها الكلام لى) :

.... — فوجئت بفريد ملحنـــا ونجما ســـينمائيا ، ما كنتش مصـــدق ان اللى يغنى فى كاباريه .. يغنى كده . يصل لكده ! .. هو طول عمره كان رجل يمتاز بأن قلبه كبير .

.... — هو مين ؟

كامل : (متابعا كلامه) :

.... ــ فريد طبعا يحب الناس ويقبل عليهم . وفيه يعنى جاذبية من حيث أنه فيه سماحة ومـــا فيهوش عقد !! أما يزعل من حد يقول له أنا زعلان .. والمسألة دى لمـــا بدأنا نبقى أصدقاء بقينا نســـخر ونضـــحك منها . كنا نقول ونتراهن : أن فريد حيزعل النهارده من فلان علشان ما سلمش عليه كويس .. ويكون كده !

المهم فى الموضوع . أنه فى صالة بديعة شفنا اتنين مطربين . واحد واخد الصدارة هو ابراهيم حمودة . وواحد ناشىء : اسمه فريد الاطرش . فاحنـــا كنا نســـتنى الاطرش ، علشاق نصـــفق له . وفجأة . انقطعنا عن هذا الوسط . وبعـــد كده طلع فى فيلم انتصار الشباب . ونجح . ومن يومها بدات الصداقة .

.... ــ ولكن ما أكثر خلافكما وخناقكما وأقربها منذ سنتين ؟

كامل : .. هذا يحدث بين الاصدقاء عادة . سوء تفاهم عادى . ولكن مافيش واحد يقدر يبعد عن التانى .

.... ــ عرفت أسمهان فى الاول والا بعد فريد ؟

كامل : .. بعد فريد .

.... ــ لو كانت اسمهان عايشة لغاية دلوقت .. يكون وضعها فين بين فناناتنا المطربات ؟

كامل : .. اسمهان كانت فى لون لا يشاركها أحد فيه .

.... ــ (متطلعا الى فريد) ويا ترى فيه كم أغنية أخرى ستغنيها بعد أن تلحنها للفيلم الجديد ؟

فريد : اثنين لمرسى جميل عزيز . وقصيدة« للاخطل الصغير » بشارة الخورى . ومطلعها :

أضنيتنى بالهجر . ما أظلمك
فارحم عسى الرحمن أن يرحمك
مولاى . حكمتك فى مهجتى
فارفق بها .. يفديك من حكمك
ما كان أحلى قبلات الهوى
ان كنت لا تذكر فاسأل فمك
تمر بى .. كأننى لم أكن
ثغرك . أو صدرك . أو معصمك
لو مر سيف بيننا ، لم نكن
نعلم هل أجرى دمى أم دمك !

وأعود لاسأل فريد عمن يستريح له بين الشعراء ومؤلفى الاغانى ؟

ويفكر فريد كثيرا ، لينتهى الى حيرة . أنه يخاف أن يقع فى اشكال لو ينسى أحدا . ولكنه يقول :

.... — فى مستهل حياتى الفنية . أول ما ظهرت جديد اتعرفت على الاستاذ يوسف بدروس . كان مدرس بيكتب شعر . كان يزورنى كصديق . وألف لى أغنيتين : ((بأحب من غير أمل)) و ((ياريتنى أطير حواليك)) . وكانت الاولى سبب شهرتى . غنيتها أول ظهورى فى الاذاعة الحكومية سنة ٣٤ بعد أن ألغوا المحطات

الاهلية . واستمريت أغني ليوسف بدروس لسنوات متتالية . وكانت من أشهر أغانى كفاحى الاول .

.... ــ بلاش تعبير (كفاحى) ده !

فريد : .. لا .. أبدا .. بأصر على هذا التعبير .. وأحب أقول أن الشــعراء ألوان . افتقدنا لون زى : بيرم التونسى . لون شعبى يمتاز بأسلوب خاص ، لحنت لاحمد رامى أول فيلم أنتجته فى حيــاتى وفيه أوبريت رامى : ليالى الاندلس . اقتبسها عن (حلاق أشــبيلية) .

.... ــ أنتجت كام فيلم لحسابك ؟

فريد : ــ ٣٠ فيلما مثلت ثلاثة أرباعها .

.... ــ بيدروا عليك كام فى الشهر لغاية دلوقت ؟

فريد : .. كان زمان . ولكن قدموا خالص . أهم بيجيبوا لى ٣٠٠ أو ٤٠٠ جنيه كل شهر .

.... ــ وكم أغنية غنيتها ؟

فريد : .. العبرة مش بكتر الاغانى وبالعدد ــ ٢٠٠ أو ٣٠٠ ــ ولكن كل الناس بتغنيها .

.... ــ ويا ترى غنيت لحن لحد تانى ؟

فريد : .. فى مستهل حياتى غنيت غنوتين لمدحت عاصم . والراجل ده له فضل على حياتى .

.... ــ والعــود ؟

فريد : .. نعم . أنا عازف على العود . الكل بيشهد

كده . حتى عبد الوهاب . أما النغمة العربية الاصيلة اللى بتطربنى فهى : البياتى . وبعدين : الرصـــد . ويليه : الكرد ، والسيكا .

.... ــ وبقية من تستريح لهم بين شعراء الاغانى؟

فريد (متطلعا الى الشناوى) :

.... ــ كامل الشناوى طبعا . ثم مأمون . فمرسى جميل عزيز . وبيرم التونسى . وعبد العزيز سلام . وفتحى قورة . وأنا سعيد اللى اتعرفت على أحمـــد شفيق كامل . اتفقت معاه على أن أغنى لاول مرة أغنية من أغانيه . اسمها : « غرام الصيف » . ومطلعها :

فاتت سنه . ورجعت آنا

يا بحر تانى

واللى انطـــوى

ده كان هوى

والا أمانى

.... ــ والتانية ؟

فريد : .. «نهاية حب » . وأول شطر من بيت فيها:

نهاية الحب مين يكتبها فينا ؟

□ □ □

صفحة

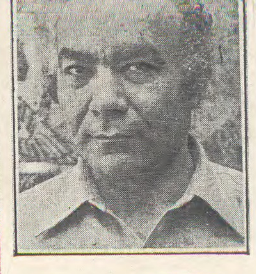
صفحة

صفحة

• • •

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٧٠ / ٥٢٠٠

مطابع الأهرام التجارية



صالون من ورق .

■ .. بيتهوفن : بيته يحترق .. والعالم كله سيحتفل بألحانه بعد شهرين . □ . تفاحة حمراء تقفز بالبشر من الارض الى القمر . □ . بيكاسو فى طريقه الى الـ ٩٠ . □ . نصاب النمسا . □ . نادى الجزيرة.. أشهر نوادى مصر.. ما له وماعليه ؟ . □ . صيام الهلال والصليب . □ . العصفور الاصفر . □ . قضية مجزرة الهيبيز والخنافس التى تهز أمريكا . □ . ٦ جثث تبحث عن مؤلف . □ . كاريوكا والكرة فى البرازيل . □ . تعليم الجنس وبيعه . □ . معجزة توفيق الحكيم مع نجيب محفوظ . □ .

كمال الملاخ

١٠ قروش
فى ج.ع.م